

محمد المجدوب

# خواطر ومشاعر

دار الأحياء

شعر عبد العزيز...



محمد المجزوب

# خواطر ومشاعر

دار الأحياء

## بِإِن يَدَى الْكِتَابِ

الحمد لله والصلاة والسلام على صفوته من خلقه محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فقد كان من حق هذا الكتاب أن يصفح بصر القارئ منذ سنين ، وأن يكون قد أعيد طبعه عدداً من المرات لو مضت الأمور في طريقها الطبيعي ، ولكن المؤسف أن الكتاب قد غاب عن الأعين فضل السيل إلى المطبعة .. ولولا فضل الله بالعثور على نسخته الثانية لا نتهى إلى مصير إخوة له فَقَدْنا أحدها في حماة ، والثاني في دمشق ، والثالث في المدينة الحبيبة ، والرابع في بيروت ، ثم لم نعثر منها على أثر حتى الآن ..

ولعل الأيدي التي احتجزتها تقدمها للنشر ولو بغير اسم مؤلفها ، رعاية للفكر الإسلامي ، الذي تنطوى عليه ، وللأحداث التي اتصل بها ، فإن فعلت كنا لها من الشاكرين المساعدين .

والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

المدينة المنورة - طريق الهجرة

## نفح الطيب من مَدِينَةِ الْحَبِيبِ

لعل أفضل تعريف للسعادة أنها لحظات انخطاف تحلق بالنفس البشرية وراء حدود المكان والزمان ، فتضع عنها آصار التراب ، وتحررها من أغلال الحقد والأثرة ، فلا ترى إلا الجمال ، ولا تستشعر سوى الحب .

وإذا كان لهذا التعريف ظل من الحقيقة فأنا سعيد ، ولكن سعادتي لا تتقيد بلمعات تبرق ثم تمحى ، بل هي جلوات متصلة ، بدأت منذ حطت بنا مآخرة الهواء في مطار المدينة المنورة ، ثم لم تنقطع .. وليس ذلك بعجيب .. إنها مدينة المصطفى التي حقق بها الله دعوة حبيبه محمد ﷺ ، حين أوحى إليه أن يسأله « مدخل صدق » فكانت طيبة هي المدخل الذي سأل .

والدار والإيمان ومدخل الصدق .. إنما هي إشارات إلهية إلى معان لا يدرك مدلولها إلا القلب الذي تفتح في جو الوحي .. فهو يطل من خلال حروف القرآن على عوالم لا سبيل إلى وصفها بقلم أو لسان ...

\*\*\*

في كل مكان كلام عن السلام ، ولكنه كلام منطوق بلغة الحرب ، وادعاء مكذوب تفضحه روائح الحقد ، الذي يمزق وشائج الأرحام ؛ ويحطم وحدة الإنسانية ، حتى ليستحيل الإنسان في جحيمها خنجراً يفتك ، أو ثعلباً يراوغ .. ولكن في هذه الأرض التي باركها الله تسترد تلك الكلمات مضمونها السليب ، فإذا هي واقع يعيشه المؤمن ، وطهر روعي لا يتسلل إليه ضغن .. .. فكأنه شريد انتزع من مرابع أنسه ، فراح يضرب في الأرض على غير هدى ، فما إن احتواه عالم المدينة حتى وجد ضالته ، فاستراح بعد عناء ، وسعد بعد شقاء ، وأدرك في عمق معنى الحديث النبوي الصحيح : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها <sup>(١)</sup> » ولا غرو .. فهو هنا يتفاعل مع حقائق هذا الخبر النبوي بكل وجوده ، بعد أن كان منه على حدود الألفاظ ، يؤمن بها دون أن يستطيع لمدلولها تحديداً .

(١) متفق عليه



في ( طيبة الحبيبة ) يعيش المسلم الحق تاريخ الدعوة الإلهية في مرحلتها الثانية ، مرحلة التنظيم والجهاد والبناء ، يعيش حياة حارة خافقة ، ترجمت فيها الكلمات المكتوبة إلى أشعة وظلال وأنسام وألحان ، يحسها في كل خفقة هواء ، وفي كل ذرة هباء .

هذه الروضة المطهرة بين المنبر والقبر المنور ، قد طالما احتوت شخص الحبيب ، ساجداً ومعلماً ومبلغاً .. فما أسعد المؤمن حين يضع جبهته في البقعة المباركة التي طالما شهدت سجداته .. ويتنفس في الجو نفسه الذي طالما مازج نفحاته ، ويمس الأرض نفسها التي طالما سعدت بخطواته ! .

وأي غبطة يمكنها أن تضاهي تلك التي يستشعرها المؤمن هناك ، وهو يرى إلى جانبه تلك الروضة الأخرى التي شرفها الله ، بأن جعلها مسكن حبيبه في حياته ومثواه بعد مماته ! .

ثم أليس هنا قد وقف صاحبه في الغار وصديقه المفضل يعالج صعقة المسلمين يوم الكارثة الكبرى ، إذ سرى في القوم نبأ وفاته ﷺ فزلزلت المدينة زلزالها ، وذهلت العقول ، وانهار الجلد ، حتى أقبل عليهم يذكرهم بخبر السماء الذي صرفتهم عنه فجأة الهول ؟ . أليس ها هنا قد سالت دماء الفاروق بيد القومية الحاقدة .. التي آثرت المجد الجنسي على الحق الرباني ، فرفضت دعوة الله ، ثم حاولت إطفاء شعلته ، بالقضاء على الرجل الذي صنع الإسلام منه مثل العدالة الأعلى للعالمين .

أليس من هنا .. من هذا الحرم الأطهر بدأت كتائب الإسلام زحفها لاستئصال النكسة الجاهلية ، التي تخطط فيها أهل الردة ، فأماطت عن أبصارهم العمى ، وأعادتهم إلى جنة الإسلام نادمين منيبين ، بعد أن تبينوا أن الإسلام دين الأبد ، ونظام اليوم والغد ، لا يموت بموت أحد ! .

أوليس من قلب هذا الحرم بدأت الانطلاقة الأولى بمشعل الإسلام إلى خارج حدود الجزيرة ، تبدد الظلام ، وتوقظ النيام ، وتنشر أنى ترجعت بذور الأمن والسلام ...؟! .

والمدينة حرم كلها ، وفي كل شبر من هذا الحرم ذكريات وعبر ودروس ، بها يجدد المسلم طاقاته ، ويشحن مدخراته ، ويتزود بالقوة الروحية التي تعده لمجابهة الأحداث ، بأقباس من العزيمة فوق مستوى الأحداث .. إنه حيثما يلتفت يستقبل الآثار الموحية .. فهنا « أحد » الجبل الذى يحبنا ونحبه .. أحد الذى شهد انتصار القلة المؤمنة ، حين أخضعت نفسها لأمر قائدها المعصوم وهو يحركها بقانون السماء ، ثم شهد المحنة الفاجعة التى نزلت بها حين وُجد فيها من تستهويه الدنيا فيخالف عن أمره وهو يظن أنه غير ملوم .

وهنا بقية الخندق الذى يعلمنا كيف فهم المسلمون الأولون أمر ربهم بالاستعداد فلم يدخروا وسعاً لتحسين وجودهم بكل ما وسعهم استخدامه من قوى الطبيعة ، ولم يبخل أحد منهم بجهد يملكه ، وهو يرى سيد ولد آدم المزود بعصمة الله ، يتقدمهم فى جرف التراب ، وشق الصخور ، حتى ليلجأون إليه فى كل ما يعجزهم من ذلك ، كما اعتادوا أن يلوذوا به فى ساحات الروع ، كلما احمرت الحدق ، وحمى وطيس القتال .

وهناك فى الجانب الآخر .. ينتصب مسجد قباء كالحمامة البيضاء ، المسجد الذى تعدل فيه الصلاة عمرة ، لأنه أسس على التقوى فكان بذلك رمز الخلود ، الذى يحققه الإخلاص للأحد المعبود .. تتنابه جموع المؤمنين صباح مساء للتزود من موعود الأجر ، الذى بشر به رسول الله ﷺ مصليه .

ولا جرم أن منظر هذا المسجد الخالد ليذكر أولى الأبواب كل يوم ، بمأساة ذلك المسجد البائد ، مسجد الضرار ، الذى أسس ليكون مركز تجسس لأعداء الله على رسوله ، فكان مصيره مصير الخيانة ، تنتفخ حتى تتراءى ضخمة كبيرة ، ولكنها ما إن تواجه الحقيقة حتى تتلاشى كأطياف السراب ، حين تستكشفها العين المبصرة .

وهناك على مقربة من المدينة الحبيبة خاض الإسلام أول معاركه الأبدية مع قتلة الأنبياء من يهود ، وقد بلغت مؤامراتهم ذروة الهول حين أحاطوا برسول الله وصحابته من وراء ، بينما أهدقت الوثنية بالمدينة من أمام ، بكل ما تملك من حول وطول وخيلاء ، واندفع خفافيش المنافقين من الداخل ييثون ألغام

الخيانة فى الخفاء .. فكانت محنة ابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالاً كبيراً ..  
ولكنها لم تزد هم إلا تثبيتاً وإيماناً ، كما تزد النار الذهب صفاء ولمعاناً ، فلم  
يهنوا ولم يستكينوا حتى دفع الله البلاء ، وهزم الحلفاء وكفى المؤمنين القتال .

تلکم الذکریات .. هى بعض دروس الوحى ، يتلقاها المؤمنون فى مهبط  
الوحى ، فيتعلمون منها كيف يربطون وجودهم بأهداب الرسالة ، التى ألفت  
فى ربع قرن من الأميين الضائعين فى صحراء المجهول خير أمة أخرجت  
للناس .. ثم قذفت بهم إلى الدنيا ، كما تقذف الشمس بأشعتها ، حياة للأرض  
الميتة ، وضياء للأعين الزائغة ، ودفعاً للأكبذ المقرورة ، فإذا هم بعد قسوة  
الذئاب رسل الرحمة الربانية ، يحررون عباد الله من كل عبودية لسواه ،  
ويضعون عن إخوانهم المعذيين أغلال السفاحين ، فتعود بفضلهم إلى الحياة  
الذاوية بهجتها ، وتشرق الأرض بعد ظلمة بنور ربها .

من هذه الذکریات يتعلمون دروس الصبر الذى قهر اليأس ، ليثبتوا فى  
وجه أعاصير اليوم ، كما ثبت أسلافهم على أعاصير الأمس ، واثقين بنصر الله  
كما وثقوا ، مخلصين جهادهم لله كما أخلصوا .

وليس أحوج من مسلمى اليوم - معاصرى النكبة المخزية - إلى  
الاستمداد من هذه المعانى ، وهم يخوضون معركة الحياة والممات ، فى وجه  
أعداء لا عداد لهم ، منهم اليهود ، وفيهم المنافقون ، وبينهم المشبوطون ، وعلى  
رأسهم المتواطئون مع أعداء الإيمان ، المتاجرون بمدعىات الإسلام ، يرفعون  
أصواتهم باسمه كلما رأوا فى الإشادة به منفعة ، ولكنهم لا يستنكفون عن إقامة  
السدود دون أشعته ، خشية أن يفسد مؤامراتهم التى يبيتونها عليه فى  
الظلام !!

إن المؤمن الذى يسعد بزيارة هذا البلد الحبيب ، لا يسعه أن ينسى كونه  
فى عاصمة الإسلام الأولى ، العاصمة التى عرفت البشرية فيها أول أنموذج  
كامل للدولة الربانية ، التى حطمت حواجز العصبية الأسرية والقبلية  
والجنسية ، فردت الناس بذلك إلى أخوة لم يصنعها الدم ، ولكن نسجتها  
العقيدة التى يعلن قانونها الأساسى ، أن البشر كلهم لآدم وآدم من تراب ،



أكرمهم عند الله أتقاهم . العاصمة التي انتهت إليها ذات يوم أزمة الدنيا ، فهي تملئ إرادتها على الحياة والناس ، فتحكم تصرفاتهم ، كما تحكم القوانين الكونية حركة الفلك ، لأن إرادتها من إرادة الله ، وما وظيفتها إلا تحقيق المثل الأعلى للنظام الذى شاء الله أن يكون ضابط الأمن ومناط السعادة ، لكل حى على هذه الأرض .

ولكن سُلِّبت المدينة الحبيبة سلطانها السياسى على ربوع المسلمين ، فلنا أن نتساءل : هل انقطع أثرها فى وجودهم ؟ هل فتر إبحاؤها إلى قلوبهم ...؟  
إن نظرة واحدة إلى هذه السيول البشرية ، متدفقة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، لتقدم الجواب الشافى على هذا التساؤل .. إذ تؤكد أن هذا الحرم المرموق لم يزل هو صاحب السلطان النافذ فى قلوب مئات الملايين من أتباع سيد المرسلين ....

\* \* \*

ولعل أروع ما احتفظت به مدينة المصطفى من تراث الماضى العظيم هو تلك الطمأنينة التى تعم بظلمها الوارف كل شيء ، حتى النبات والطير والحيوان فضلاً عن الإنسان ...

إنك هنا فى معرض بشرى عجيب ، تطل منه على مواكب البشر ، فى مختلف ألوانهم ولغاتهم وأزيائهم .. وأكثر ما تشهد ذلك فى المسجد النبوى ، حيث ينصب السيل البشرى الوافد من أنحاء الدنيا . كيفما اتجهت هناك تجد نفسك مع أخ لك لم تلده أمك ، يعجز لسانه عن ترجمة شعوره ، فتقوم يده مقام لسانه ، يضافحك .. فتحس أنه يضع قلبه على راحته ليقدمه إليك حياً وشوقاً وروحمة .

وتغادر المسجد النبوى إلى الشارع ، ولكن سرعان ما تشعر أنه لم يغادر لك لأن روحه مرفرفة على أنحاء البلد الطاهر .. حتى الباعة الذين عرفتهم فى كل بلد لا يمنحونك من لطفهم إلا بمقدار ما تنفحهم من نقودك ، حتى هؤلاء عليهم هناك من جوار الحرم طابع مميز ، أكثر ما يطالعك فى تلك الثقة الغريبة التى يقابلونك بها فى كل حانوت ، ولا أكاد استثنى .. إنك لتشتري

من أحدهم السلعة فتقدم إليه ورقة النقد ليرد إليك التتمة ، فإذا لم يجد لديه ما يفى ، أعاد إليك ورقتك معذراً وهو يقول : « تعطينى فيما بعد » فكأنك من أحب معارفه إليه ، وأنت الذى لم تره قط ، ولم يلمح لك وجهاً من قبل ! .

وتمضى هنا وهناك متفرجاً مستكشفاً ، فلا تشعر أنك فارقت هذا الوحي أو فارقتك .. أتى سرت تسمع تحية الإسلام ، وأتى اتجهت أحسبت بنفحات السلام ، رقة في الحديث ، ورفقاً في المعاملة ، وأمناً في كل شيء .  
أجل .. إنها نفحات الحرم المبارك ، تغمر بروحها كل شيء ، فالطيور التى عهدتها تجفل حتى من شبح الإنسان ، قد تقع عليك أو تدنو إليك ولا ترى لها نفرة ، إلا أن تخشى منك وطأة الغفلة .. وفي هذه الغمار النورانية يعيش الإنسان آمن السرب ، مطمئن القلب ، خالى الذهن من كل شاغل يصرفه عن الاستغراق في ملكوت الله .

ولا عجب ، إن في مدينة الحبيب لبقية تحسها القلوب من المجتمع الأول الذى أنشأته تربيته المثلى ، فكان صورة من الأخوة التى حُدِّت فيها قيمة الإنسان على أساس من الأخلاق دون الأعلاق ، فلا ترى هنا أبيض يستكبر على أحمر ، ولا تجد في حرمة المطهر من يقول ملون ليس هذا بمكانك .. بيد أنك لا تعدم أن ترى في أى لحظة رجلاً يصافح جاره وهو يقول له: يا أخى .. لا تنسنا من دعائك ...

أوليس في هذا السلام والطمأنينة والأخوة الضالة التى يفتش عنها المفكرون ويتلهف إليها الحزاني والمعدبون ..؟ أجل وربى ، وسيظلون عبثاً يفتشون ، وعبثاً يكدحون ، حتى يعرفوا طريقهم إلى روح هذه البلدة المصفاة ، التى أخبر الصادق الأمين أنها محصنة بالملائكة من الدجال والطاعون .

\*\*\*

ولكن .. ولنعلنها صريحة إن هذه النفعة ، نفحة السلام والغبطة الروحية في خطر .. إنه الخطر يزحف من الخارج مع السموم الوافدة من

هناك وهنالك.. تلك التي تريد ، بكل ما تملك من قوة الإغراء والإغواء ، أن تعكر على الجو الطهور صفاء الفطرة ، وأن تصرف القلوب عن ربها الروحي إلى وهم كالماء الأجاج ، لا يزداد منه القلب عباً إلا ازداد ظمأً .. تماماً كما فعلت في الآخرين الذين خدعتهم تلك السموم الدخيلة ، فسلبتهم من أخلاق الإسلام ، حتى لم يبق في أيديهم من دليل عليه غير الهوية المزورة ...

فليقف أهل الحرم بوجه ذلك الخطر الزاحف .. وليتذكروا أنهم الأسوة وأن المسلمين عنهم يأخذون ، وبهم يقتدون ، وليزودوهم بنفحات مباركات من عبير النوة ، الذي لم يشخصوا إليهم من مئات الأميال وآلافها إلا شوقاً إليه ، وحرصاً عليه ..

\* \* \*

وبعد .. فأنا لم أعد الحقيقة عندما قلت إننى سعيد .. سعيد منذ حطت بى الطائرة فى مدرج الوطن الحبيب .. وطن القلب الذى لا يجد المؤمن قراره إلا فى ظلاله ...

\* \* \*

## تأملات في يوم الذكرى

روى مسلم في صحيحه من حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب » (١) .

في هذا التعبير النبوي صورة رهيبة ودقيقة لحالة العالم أيام مبعثه ، اختصرت التاريخ البشري في كلمات يسيرة ، ولو شئنا تتبع ظلالها في واقع ذلك العالم لرأيناه أشبه بتفسير مفصل لهذا الوصف البليغ المكثف .

فالتصريح النبوي يستوعب أهل الأرض جميعهم على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ومواطنهم ، فيعرضهم في وضع لا يستحق من خالقهم إلا المقت ، ولا يستثنى من هذا المقت إلا بقايا من أهل الكتاب .. وطبيعي أن هذه البقايا لا تشمل سوى النزر اليسير من مجموع الأمم الكتابية ، وهم دون ريب طائفة من حملة العلم الإلهي ، الذين احتفظوا بأمانة الوحي نقية ، كما أراد الله ، وشاء الله حمايتهم واستبقاءهم ليكونوا حجته على عباده ، وشهداءه على رسالته الخاتمة .

ونظرة إلى مخطط الحياة البشرية آنذاك ، من أقصى الصين إلى تخوم الأطلسي ، تبرز لنا هذه الحقيقة في أجلى بيان ، إذ نرى ( العالم - على حد تعبير العلامة الندوي - أشبه ببناء ضربه زلزال فقلب أوضاعه .. فالشعوب قطعان ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج منطلق ، والحكام كسيف في يد سكران .. ) وإذا كان هذا الوصف يلخص الواقع المنظور لأرقى أُمم هذه الكرة وهي أمة الفرس وأمة الروم ، فغيرها من الأمم ، التي لم تبلغ مبلغها في الحضارة والرق العلمي ، أشد تمثيلا لهذا الانهيار ، وقد ضاعت في هذه الظلمات رسالة النبيين ، فانطلقت الغرائز البهيمية تتحكم في مصير الجنس البشري ، إذ أصبحت المنافع العابرة هي مقياس المجد والعظمة ، والتفوق ، سواء في ذلك الأفراد أو الجماعات .

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في ( كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ) راجع شرح النووي ج ١٧ .

وهكذا اشترك الناس كلهم في هذا الصراع الذى لا يعترف بحق لغير القوة ، قوة المال وقوة السلاح ، وقوة العصبية ، وما إلى ذلك من مظاهر الطغيان ، الذى أفلت من كل زمام ونظام ورباط أخلاق .

فالدولة الرومية أداة لترفيه الطبقة الحاكمة على حساب شقاء الجماهير ، ولم يكن حكم اليونان قبلها بأقل قسوة وتحيزاً ، وهو الذى أغرق ديار الشام بالنزاع والشقاق والدماء طوال سبعة قرون .

ولم تقصّر الدولة الكسروية في هذا المضمار ، حيث استطال الطغيان على كل شيء ، وفُرض على عامل الأرض أن يكون شيئاً من متاعها يُنقل معها من مالك إلى آخر ، دون أن يكون له أى حق في تغيير سيده أو تبديل حرفته .

وإذا صرفنا النظر تلقاء الهند واجهنا المجتمع العجيب الذى يعتبر التقسيم الطبقي أصل وجوده ، فالنعيم المترف حظ البراهمة وحلفائهم من الطبقات العليا ، والشقاء والذل نصيب المنبوذين الذين خلقوا - بزعم الوثنية الهندية - من قدم آلهتهم، فليس لهم أن يرفعوا أعينهم عن التراب .

ومع أن سكان الجزيرة العربية أيامئذ كانوا أقرب الخلق إلى سلامة الفطرة ، لم تُعدّ حياتهم أن تكون جحيماً من الرعب لا نهاية له ، لأن قسوة البادية ، وضنك العيش ، وضغط النظام القبلى ، كل أولئك كان يزوج بهم في حروب مستأصلة يقتل فيها الأخ أخاه والقريب قريبه ، فما تكاد دماء الضحايا تجف ولا حملات الثأر تفتّر .. وقد أناخ الشقاء بكلّ كفه على الجميع فلا منفذ ولا أمل ، ولا شعاع من هداية ، إلا لَمَعاً هزيلة مثل أضواء الجباحب يرسلها بعض الشعراء أو الخطباء أو الحنفاء ، في حكم بترء ، لا تعدو كونها تعبيراً عن حاجة الفطرة إلى نور لا تعلم من أين ينبثق ؟ .

وقد زاد البلاء عمقاً انسياق رجال الدين في هاتيك التيارات الجارفة ، فبدلاً من أن يتجردوا للنهوض بأعباء الإصلاح تذكيراً وإرشاداً ، وتحذيراً واجتهاداً إذا هم - أو معظمهم - يقتلون طاقاتهم في تأييد الطواغيت من جانب ، وخوض معارك الجدل العقيم من جانب آخر .. وذلك ما سبب العديد من المذابح الطائفية ، ولا سيما في مصر والشام ، حيث طورد دعاة التوحيد ، وفرضت الدولة فلسفتها الوثنية. على رعيّتها المسيحية بقوة الإرهاب



وفنون النكال .. وهكذا شمل الضياع كل مكان ، إذ بات الناس مقطوعى الصلة بهداية السماء ، فكل خطوة ينقلونها تزيدهم بعداً عن ساحل النجاة وغوصاً في مستنقع النائبات .

وقد أثبت العقل إفلاسه في هذه الظلمات الطاحنة ، فلا سبيل للخلاص عن طريقه ، بل لا أمل بالخلاص إلا عن طريق معجزة إلهية توقظ ضمير البشرية النائم ، وتضئ للعقل الحائر طريق الحق ليسلكه على بصيرة ، ومهما أوتي الإنسان من بلاغة الوصف ، فهو سيظل عاجزاً عن الإحاطة بما يصوره القرآن العظيم من هذا الواقع الأليم في قوله الكريم : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا ... ﴾ .

فالفساد قد شمل الكرة كلها لم يستثن منها براً ولا بحراً ، وهو نتيجة زيغ الإنسان عن سبيل الهدى الحق الذى أخذ الله عليه العهد باتباعه ، منذ أخرج طلائعه إلى هذه الدنيا ، مزودة بوصيته تعالى التى تقول للجنس البشرى ممثلاً بأصوله الأولى : ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبِعْ هُدَاى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ... ﴾ .

تلك الوصية الرحيمة التى تؤكد وقائع التاريخ كل حين أنها العاصمة من كل قاصمة .

فالحياة التى كتب للإنسان أن يعيشها على هذه الأرض شاء خالقها أن تبلغ من التعقيد الحكيم حداً لا تستكشفه العقول كلها ، ولو كان بعضها لبعض ظهيراً ، فهى كالمفازة المهلكة ، لا بد فيها من الدليل الخريّت وإلا ضاع الركب ، وفنى الزاد ، وهلك الرائد .

ولا دليل يصلح فى حياة الإنسان إلا رعاية الله الذى لم يقطع عنه مدده طوال العصور .. فلم يُخل أمة من نذير يوحى إليه بما يكفل لها الهدى الذى يدفع عنها كل ضلال وشقاء .. والويل للمعرض عن ذلك النور إذ لا مصير له سوى الضنك ، والضياع ، وما يعانى به البشر الزائغون عنه من العمى المفسد للحياة ، المدمر للطمأنينة والأمن فى الدنيا والآخرة .

وعلى ضوء هذه الحقائق المشهوددة نفقه دلائل قول الله للذين خاطبهم بوحيه على لسان رسوله : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف

بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار  
فأنقذكم منها ... ﴿١٠﴾ ، فالعداوة أساس علاقاتهم فيما بينهم ، وقد وضعتهم هذه  
العداوة على شفا النار .. فلما اتبعوا ما أنزل الله على نبيه أبدلهم بالعداوة  
أخوة ، وبالجحيم الذى كانوا متهافتين عليه رحمة وسعادة ، أظلتا دنياهم  
وآخرتهم على السواء ، ولو هم أعرضوا عن دعوة الله لاستمروا فى صراعهم  
الشقى حتى يخوضوا به نار جهنم ، لا ينقذهم من ذلك فكر ولا ذكر ، لأن  
المفازة مهلكة ، ولا مندوحة فيها عن الدليل ، ولا دليل يصلح لها إلا هداية  
خالقها المحيط علماً بكل خصائصها ، الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى  
الأرض ولا فى السماء .

(۲)

ومرت البشرية في مراحل متألّفة مع تدرجها الفكري .. وكانت هداية الله مساوقة لذلك التدرج ، ففي مطلع وجودها على الأرض تلقت إشارات السماء عن طريق أبيها آدم عليه السلام ملائمة لاستعدادها ، لا تكلفها فوق ما تطيق ، ثم تكاثرت وتباعدت بها المنازل ، فكانت قبائل وعشائر ثم شعوباً وأممًا ، وظل الرباط القصير هو الذي يشد كلا من أجزائها بعضاً إلى بعض ، وكان الوحي الإلهي تبعاً لذلك يخص كل فريق من الأسرة البشرية الكبيرة بعلم يهديها سواء السبيل ، ولكن الله جلت حكمته لم يشأ أن يكون هذا الوضع هو الخط النهائي لمستقبل الإنسانية ، بل كان التدبير الأعلى قد قضى بأن يمهد هؤلاء المنذرون لعودة القطعان المتفرقة إلى الحظيرة الجامعة ، وهكذا أخذ العهد على كل نبي أن يذكر بأخيه ، وأخذ الميثاق على كلهم أن يبشروا أقوامهم بخاتمهم ، ويأخذوا بدورهم العهد عليهم ، بأن ينقلوا ذلك البلاغ إلى الأجيال المتوالية ، لكيلا يكون للمخالفين عن سبيل الله حجة أو عذر في انفصالهم عن الركب الذي ستُظله راية خاتم النبيين .

ثم هيا الله للرسالة الخاتمة سبيل التجميع البشرى بما هدى إليه الإنسان من  
الكشوف التى قربت البعيد ، وذلت العسير ، ولاقت الأفكار ، ومازجت  
بين المشاعر ، فاستعدت البشرية بذلك لفهم الدعوة الجامعة ، حتى إذا اقترب  
موعد الفجر الصادق انطلقت النذر والمبشرات تهز قلوب البقية الثابتة على

عهد الله من أهل الكتاب ، فتجدد التذكير بالبشير النذير ، وتهبى الأذهان لاستقبال المنقذ العالمى ، ولم يكتف كثير منهم بالكلام فغادر وطنه ونعيم بيته ، ليضرب فى أكناف الأرض يتوكف ظهور ذلك النور الموعود .

ومن هنا كانت النذر تتوالى على ألسنة القسس والحنفاء ، وبقية الصالحين من أهل الكتاب ، وحملة العلم المستضىء بمشكاة الوحي تلفت الأفكار إلى المبعوث الذى بشر به موسى وأشعيا وداود وعيسى ، والذى تحدثت عنه أسفار الهند وفارس وتتبع مطالع فجره العديد من رواد ذلك العهد ، الذين تحملوا أقسى العنت نشدانا لذلك الخير .. فكانوا بذلك كله ترجمة حية لحاجة البشرية إلى المنقذ الذى اصطفاه الله رحمة للعالمين ، وضياء للمدللين وتصحيحاً للإدراك الإنسانى حتى تتم له الرؤية الواضحة لطريقه الأمين .

فتطلعاً لميلاد هذا الفجر السعيد رابط بحيرا على سيف البادية ، يرصد مسيرة القوافل الزاحفة من أرض المبعث ، يتنسم أخباره ، ويتطلب آثاره (١) .  
وشوقاً إلى لقاء الحبيب غامر ابن دهقان جى - سلمان - بحياته ، ففارق الأرائك ، وخاض المهالك ، وأسلم عنقه راضياً للرق ، رجاء الوصول إلى مطلع ذلك الرسول (٢) .

وتلهفاً إلى أنباء النبی المكتوب فى التوراة والإنجيل ، زحف الخبر الإسرائيلى الصالح ابن الهيئان ، يجر شيخوخته الفانية إلى قريظة والنضير وقينقاع ، يثير تطلعاتهم إلى السعادة التى أوشكت أن تظلل يثرب بأجنحتها الملائكية ، لئلا يسبقهم إلى نصره صاحبها المبعوث بالرحمة والحرية سابق (٣) .

وقبل ذلك سجلت أسفار الهند أنباء تلك الرسالة ، وحددت معالمها ومواطنها ، فقرأ الهنود فى كتابهم المقدس ( بهو شيا بران ) قوله فى نعت تلك الرحمة المهداة : « إن رجلاً جاء فى المنام إلى الملك جهوح - ملك السند - فقال له : عليك أن تلحق بدين رجل ظهر فى الصحراء وهو مختون ، له كلام يسمع (٤) اصطفاه برهما ، يأكل الطيبات من اللحوم ، تظهر على يديه معجزات

(١)، (٢)، (٣) سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ١٣٧٥ ج ١ ص ١٨٠ و ٢١٣، ٢١٤ .

وانظر ( البداية والنهاية ) لابن كثير .

(٤) يشير بذلك إلى تأثير كلامه فى نفوس المؤمنين وإسراهم إلى طاعته ﷺ .

كثيرة ، وهو محفوظ من أعدائه اسمه محامد يعنى كثير الحمد » ، وقد طالما طالعهم هذا الاسم المكرم أحمد وأحامد ومحامد فى كتابيهم الآخرين ( أثارويد ) ( سلرويد )<sup>(١)</sup> حتى بات مألوفاً عند أولى الحكمة من فضلائهم على مر الأزمان .

وعلى هذا القائد الرحيم ركز المسيح عليه السلام أنظار حواريه بهذه الصفات التى لا تدع مجالا لتطلبها فى غيره من المصلحين والمرسلين : « إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى ، و أنا أطلب من الأب فيعطىكم ( بارقليط ) آخر ليثبت معكم إلى الأبد .. وهو يعلمكم كل شئ .. وهو يذكركم كل ما قلته لكم .. يشهد لأجل يوبخ العالم لأنهم لم يؤمنوا بى .. وإن لى كلاماً كثيراً وإنكم لستم تطيقون حمله .. وإذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق .. لأنه ليس يتكلم من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما سياتى<sup>(٢)</sup> .

فالمسيح هنا يبشر أنصاره برسول مثله ، يمتاز على جميع الرسل بأن شريعته ثابتة إلى الأبد لأنه خاتمهم ، وأنها تستوعب كل الحقائق ، وموضحة لحقيقة المسيح التى طمسها غلو النصارى وبهتان اليهود .. وفى ذلك تويخ لكلهم أى تويخ .. وهو روح الحق ، لأنه صفوة رسل الله ، والجامع بين أتباعهم جميعاً ، وهو يبلغ الحق الذى يوحى إليه ، بما يصحح الماضى ويوضح طريق المستقبل .

وقبل المسيح كانت بشرى داود شاهداً لا يُدفع عند كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، إذ يثير اهتمام قراء مزاميره بمثل هذه المشوقات الملتهبات : « غنوا لله .. أعدوا طريقاً للراكب فى القفار باسمه .. أبو اليتامى ، وقاضى الأرمال .. يقضى لمساكين الشعب .. يخلص البائسين ويسحق الظالم .. ينجى الفقير المستغيث والمساكين ، ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف<sup>(٣)</sup> .

ومن حق الخليقة كلها أن تفرح وتنشد ترانيم الشكر لله على إرساله هذا الرعوف الرحيم الذى سيرد باسمه إلى قلوبهم الهالعة ما فقدته من روح الأمن

(١) عن مجلة كانتى الصادرة من دلهى عدد يوليو ١٩٦٩ بقلم ويد برকাশ .

(٢) مزامير ٦٨ - ٧٢ .

(٣) إنجيل يوحنا .

الحرية والعدالة . وهيئات أن يجد الباحث في تاريخ العالم إنساناً يمكن أن تنطبق عليه كل هذه الصفات غير محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه ، مكرم اليتامى ومنصف المساكين ، ومنقذ البائسين وقاهر الجبارين ، ومحطم الظالمين والمستعبدين .. ومحقق الخير والعدالة للفقراء والمحرومين .

وإلى هذه الثمرات المباركات يشير أشعياء أيضاً إذ يقول في وصف أثر بعثته ﷺ في عالم المظلومين والمعتدين : « تفرح البرية ، والأرض اليابسة ، ويبتهج القفر ويزهر النرجس .. شدّدوا الأيدي المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها ، قولوا للخائفى القلوب : تشددوا لا تخافوا هوذا إلهكم ، الانتقام يأتى . جزاء الله هو يأتى يخلصكم ...» ثم ماذا ؟

( حينئذ تفتتح عيون العمى وآذان الصم .. يقفز الأعرج كالأيل ، ويترنم لسان الأخرس ، لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر .. ) .

إنه انقلاب يتناول كل شيء في تلك البوادي يهز سكانها ، فيطلق طاقاتهم ، ويفجر مواهبهم ، حتى يصبح رعاة الإبل والغنم أهلاً لسياسة الأمم .. ثم ماذا ؟

« في مسكن الذئاب ، في مريضها دار للقصب والبردى..(١) أجل .. في تلك الصحراء التي كانت حتى قبيل البعثة مرتعاً لذئاب البشر ، التي لم تألف غير الفتك والبطش والخطف حتى لتغير على أخيها ، إذا ما لم تجد إلا أخاها ، هناك تنهض منائر العلم سامقة ترسل أشعتها إلى أنحاء الدنيا ، بأقلام الأمة التي لم تنطلق من ربة الأمية إلا بالإسلام .. ثم ماذا ؟ ..

« وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة ، لا يعبر فيها نجس ، بل هي لهم .. لا يكون هناك أسد .. وحش مفترس لا يصعد إليها .. »

إنها حدود الحرمين التي حرمت على الشرك وأهله ، فهي للمؤمنين خاصة ، وكل من عداهم فهو نجس لأنه حامل لقتارة الشرك ، وهناك الأمن الذى خصت به هذه الأرض دون بقاع الدنيا ، فلا خوف ولا قلق ، بل من دخلها كان آمناً ! .

---

(١) يريد بالقصب الأفلام ، وبالبردى ما يكتب عليه .



ثم ماذا ؟: ما شأن هذه الطريق المقدسة ؟!..

يسلك المفديون فيها ، ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون - فلسطين - بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم .. ابتهاج وفرح يدركانهم ، ويهرب الحزن والتهد .. «<sup>(١)</sup> .

ومن المفديون هؤلاء ؟ .. إنهم الحجاج وفود الرحمن القادمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات .. وأى وصف ألقى بهم من أنهم المفديون ؟ .. أليس لكل هفوة يأتونها فدية يقدمونها طلباً لمرضاة الله .. ذبائح وصدقات وضراعات .. ومن ظفر بكل هذا الخير كان حقيقاً بأن يعود إلى أهله بترنم وفرح .. ترنم السعيد بأداء المناسك ، وفرح الواصل برضوان الله ، الذى يرجو أن يكون ممن شملهم التجلى الأعلى يوم عرفة ، فرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم .. وأشياء عليه السلام لم يخص صهيون بالذكر لمجرد الحصر ، ولكن لينذر قومه بسلطان الرسالة الخاتمة التى ستحول جميع المؤمنين إلى البيت الحرام ..

° ° °

(٣)

ذلك الضياع الذى عانته البشرية حتى البعثة المحمدية ، والذى يمثلته الحديث الصحيح الذى صدرنا به هذا البحث ، وتؤكد النبوات السابقة ، قد أعطى الدليل القاطع على أن طريق الإنسان إلى الأمن والاستقرار لن يتوافر إلا فى ظل القيادات النبوية ، فلا الفلسفات اليونانية ، ولا الرياضات الهندية ، ولا الحكمة العربية والفارسية ، كانت قادرة على أن تخفف من هول المأساة ، أو توقف التدهور العام ، إذا لم نقل إنها زادت الواقع الشقى عمقاً وتعقيداً ، ذلك لأن العقل البشرى ليس فى طوقه أن يتحرر من عوامل البيئة وقوانين الوراثة الاجتماعية ، وبسبب من ذلك كانت تجاربه فى ميدان الإصلاح البشرى ولا تزال مجموعة من التناقضات التى تمثل تضارب المصالح ، وإنما تستقيم هذه الطاقة المفكرة فى طريقها الصحيح حين

---

(١) انظر أشعيا ص ٣٥ .

تسلك إلى غاياتها الجادة التي تضيئها مشكاة الوحي ، الذي لا تؤثر فيه أهواء البشر ، ولا تفوته شاردة ولا واردة من أسرارهم ومؤثراتهم ، فإذا أصدر حكماً أو قرر أمراً ونهياً ، كان ذلك لمصلحة الإنسان فرداً وجماعة ، فكل زيغ عن سبيله إنما هو دفعة نحو الهاوية ، التي لا مخلص له منها إلا بالتزام سبيله والاستعانة بدليله ..

ومن كمال حجة الله على خلقه تزويد مرسله بصفات الكمال الذي به يحققون معاني الرسالة المنزلة ، فيكونون بذلك الأسوة الصالحة للاقتداء ، والأنموذج المنظور للربانية في الأرض ، وإذا كان محمد ﷺ هو إمام هؤلاء المصطفين الأخيار الذي به وعلى يديه وبرسالته الخاتمة قدر الله ولادة الوحدة العالمية ، إذ بعثه كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ورحمة مهداة للعالمين ، لذلك ميزه بالكمالات العليا التي تؤهله لهذه الإمامة فكان ( الإنسان ) الأعلى الذي يحمل بتصرفاته الممتازة دلائل نبوته ، وحسبه من ذلك شهادة ربه في قوله الكريم : ﴿ **وإنك لعلی خلق عظیم** ﴾ ثم أثره العجيب في تأليف الطبائع المتنافرة التي تولى تربيتها وتهذيبها ، فجعل أصحابها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وتنسخ بضياء المعرفة ظلمات الجاهلية العالمية ، فأعطيت بذلك إمامة الدنيا في العلم والعدل والإحسان ، ورد الخلق إلى ما أضاعوا من روابط الإنسانية ، حتى لم تبق زاوية من العالم المعروف لم تستتر بشيء من أشعتهم ، بعد أن كانوا من الفرقة بحيث لا يستحقون اسم الشعب - كما أشار إليهم موسى<sup>(١)</sup> - ومن الجاهلية المدمرة بحيث لا يرتفعون عن مستوى الذئاب الضارية - كما وصفهم أشعياء - ولا جرم أن مجرد نجاحه ﷺ في هذا الوسط الفوضوي كاف للدلالة على أنه القمة من الحكمة ، وفي الذروة من الكمال النفسي والعقلي ، إذ استطاع بهذه المواهب اللدنية أن يملك قلوب أصحابه حتى ليؤثرونه على أنفسهم وأبنائهم ، فيتسابقون إلى الموت ذياداً عن دعوته ، وحرصاً على سلامته ، ويمتد حبه إلى أتباعه على مدى الزمن حتى يود أحدهم لو رآه بأهله وماله<sup>(٢)</sup> وهو نوع من

---

(١) من كلام موسى عليه السلام في سفر التثنية حيث يعرف العرب الذين إليهم ينتقل إرث النبوات بقوله عن ربه « أغيرهم بما ليس شعباً » .

(٢) مضمون حديث شريف رواه مسلم عن أبي هريرة في « كتاب الفضائل » .

الحب، لا تعرفه البشرية لغير محمد ﷺ لأنه صادر من منطقة الحقيقة التي عليها قام تاريخه كله ، فلا دعاية ولا طنطنة ، ولا أضاليل إعلامية تجعل من الحبة قبة ، ومن الأقزام عمالقة !..

واليوم ، وقد تهيأ العالم الإسلامي لاستقبال ذكرى ميلاد ذلك الحبيب الأعظم ، لابد للمفكر المؤمن من التأمل في واقع هذه الأمة وما صارت إليه من جاهلية جديدة ، انقلبت فيها الأوضاع ، فضاعت في غمارها معالم الشخصية الإسلامية التي أنشأتها تربيته المثلى لتكون النموذج الذي لا مندوحة للأمة كلها وفي تاريخها كله من اقتفاء أثره ، لتستحق ما استحقته من العزة والكرامة والعناية الإلهية .

إنه ينظر إلى المسلمين فيراهم قد عادوا إلى أسو ما كان عليه الجاهليون من التفكك والتنازع والتخاذل ، إلا من رحم الله .. وقد انسلخ معظمهم من طابعه الأصيل ، فهو يستبدل به راضياً مزقاً يستعيرها من هنا وهناك ، ليؤلف منها ما يظنه شيئاً مذكوراً ، وليس هو إلا وهماً وزوراً .. حتى لكأنه صورة مجسمة لأولئك : ﴿ الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ... ﴾ .

وإنه لينظر إلى العالم البشرى من حوله فيراه نسخة من ذلك الماضي الرهيب الذي سبق فجر الإسلام ، بغى فتاك يستذل به الأقوياء أعناق الضعفاء ، وانحدر بالإنسان إلى أهول ما سجله التاريخ من مهاوى القلق والشقاء ، حتى ليقتل الأخ أخاه ، وتسحق الغوغائية العمياء أحق الخلق بمودتها ورحمتها !..

ويتساءل المؤمن عن آثار الرسالة المنقذة في هذا الخضم الطاغى ، فلا يكاد يسمع جواباً ، لأن اضطراب المقاييس يحول دون وضوح الرؤية ، فهناك طائفة من أهل الحق لم تزلزلها الأحداث تهيب بالناس ليسلكوا طريق الرب ، ولكن آلافاً من وسائل التضليل تحول بين صوتها وآذانهم ، ثم إلى جانب هذه الطائفة المجاهدة طوائف يزعمون أنهم دون غيرهم حملة الدعوة الهادية مع أن كل ما يملكون من فكرة عن الإسلام لا يعدو مجموعة من الأوهام ، فكأنهم لم يقرءوا كتاب الله ، ولم يسمعوا قط بسنة رسوله ، فهم

من أجل ذلك لا يستطيعون أن يتصوروا رسول الله ﷺ بشراً من الناس ولا يكادون يصدقون أنه مبعوث بالشرعة ، التي يجب على المؤمنين بها أن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم ليقوموا بها عوج الإنسانية ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله !..

ثم يرى على رأس هذا الغناء خطباء فتنة لا عمل لهم إلا تمجيد المتسلطين ، وإسباغ حلل القداسة على مقررات الغاشمين ، وكأنهم نسوا البتة قول الحكيم العليم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ... ﴾ .

وأنى تلفت هذا المتأمل من عالم الإسلام يشاهد التجارب التي مزقت من قبل دولته ، وشردت أمته ، تعيد نفسها في مذاهب شيطانية جديدة يراد فرضها بالقوة والتضليل على سواد هذه الأمة المعذبة ، وقد حشد لها صنوف الأوشاب الذين دربوا على التصفيق لكل عاد ، والثورة بكل برىء يدعو إلى الله على بصيرة !..

وهكذا يرسل بصره في أكناف هذه الأرض فلا يلمح إلا ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، فيتردد بين يأس يقطع صلته بكل أمل ، وأمل يرفع قلبه فوق كل يأس ، ثم لا يلبث أن يغلب إيمانه تردده ، فيزداد ثقة بدين الله الذي لا سبيل سواه إلى الخلاص ، وقد امتلأ جنانه يقيناً بأن البشرية لم تكن قط أحوج إلى قيادة محمد ورسالته منها في هذه المرحلة الكالحة من تاريخ الإنسان .

إنه يتذكر - في هذا الموقف المتأمل - كلمة رسول الله وهو يقدمها إلى جبابرة قريش الذين أقبلوا يفاوضون عمه وهو على فراش الموت ، ليضع حداً بينه وبينهم ، فيقول : « نعم .. كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم .. تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه »<sup>(١)</sup> .. وعلى الرغم من رفضهم يومئذ لتلك الكلمة ، فسرعان ما جاءت الأحداث تترى بتوكيدها إذ لم تنقض سوى سنوات قصيرة حتى حقق الله وعد نبيه ، فقال العرب هذه الكلمة مخلصين دينهم لله ، ثم انطلقوا يحملونها إلى أمم

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٧ طبعة الحلبي ١٣٧٥ هـ .

الدنيا ، فإذا الأرض مشرقة بنور ربها ، وإذا الجميع إخوة في ظل ( لا إله إلا الله ) ، وبذلك ملك دعاة هذه القضية الإلهية قلوب العرب بإنقاذ الله إياهم من فوضى الفتك والبغى إذ كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً .. ودانت لهم أمم العجم اعترافاً بفضلهم في هدايتهم إلى طريق ربهم ، فهم أحب إليهم من ألصق الناس بهم ...

أجل.. إنه ليتذكر هذا كله ، فلا يتمالك أن يهتف بالطائفة الظاهرة على الحق . أيها المؤمنون .. إن الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث الله محمداً ﷺ فالظلمات المتكاثفة في حياة البشرية إنما هي تعبير عن حاجتها الماسة إلى كلمة التوحيد .. وتلك هي سنة الله في بعثة الرسل وانبثاق المصلحين ، لا يظهرون إلا عندما تنطمس السبل في أعين المدلجين ، فيكون وجودهم آنذاك كإقبال الصالحين من الأطباء على البلد الذي اكتسحته الأوباء .

أيها الهداة الثابتون على الحق ، الحافظون لأمانة الله .. تذكروا أنكم الطوف الأخير في خضم المهالك التي تحيط بالكرة الأرضية .. وأنكم شهداء الله على خلقه ، والمسئولون الوحيدون عن عملية الإنقاذ التي تتطلع إليها أعين المكرويين ، الذين سلبوا الحرية باسم العدالة ، وحرموا نعمة الأمن باسم الثورية ، وجردوا من كل مقومات الإنسانية باسم الأنظمة التي صنعتها الأهواء وفرضها الأشقياء ...

إن طريقكم لشاق طويل ، وسيسقط الكثيرون منكم أثناء هذه المسيرة المستقيمة قبل تحقيق النصر .. ولكن حذار أن يفُت ذلك في عزائمكم ، وتذكروا أن الله يريد أن يبلى صبركم ليرفع منازلكم ، ويتخذ منكم شهداء .. ثم لا تنسوا أن البشرية كلها - على الرغم من عدائها لكم - هي أشد ما تكون استعداداً لتقبل دعوتكم إذا أحسنتم عرضها ، وصبرتم على مضها ، واستطعتم أن تمسوا بها قلبها ...

وأخيراً لا تنسوا قوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ .. فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .



## سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى

موضوع الإسراء والمعراج من كنوز السيرة التي شاء الله أن لا تنفد عجائبها وأن تتجدد أبداً عَبْرُهَا ، فالمضمون الواحد تعالجه الأقلام النافذة فلا تستوفي منه إلا ما يواجهها مما يتصل بحاجة البيئة ومفهوماتها المتطورة ، وتبقى أسرارها الأخرى بانتظار المدارك الجديدة التي يتعذر سبقها إلا في نطاق محدود ، ولا جرم .. فالسيرة النبوية هي مجال التطبيق الأول لحقائق القرآن ، وهي من أجل ذلك خالدة بخلوده ، ومنتظمة في موكبه ، تنتظر دائماً وأبداً الموهبة التي تحسن عرضها بلغة عصرها ، ومن هنا جاء توافر الإنتاج الفكري في قضية الإسراء والمعراج ، إذ كثر متناولوها ، فتعددت طرقهم بين التحقيق والتلفيق والخيال والموضوعية .. ولكل وجهة هو موليها ، وفهم خاص هو آخذ به .

وأسرع لأقول إنني من أجل ذلك لن أقف بحثي على كيفية الإسراء والمعراج وأحداثهما ، لأن كثيرين سيتولون ذلك فيما أتوقع ، وأوثر لحديثي أن يكون في حدود العبر التي أحسبها بعض الأهداف الكبرى في هذين الحديثين العجبيين .. ذلك لاعتقادي أن كل حَدَثٍ صَحَّ خبره من وقائع السيرة النبوية هو محطة تعبئة لا مندوحة للمسلم من الوقوف عليها ، لتجديد طاقته الروحية ، التي بها وحدها يحقق وجوده ، ويتبين حدود مسؤوليته في تنازع البقاء ، ولا سيما بإزاء التيارات الرهيبة التي تلح على فصله عن ذلك الماضي الذي على مقدار ارتباطه به يتوقف استمراره ويتأكد انتصاره .

قبل ربع قرن أُلقي على هذا السؤال : تبدأ سورة الإسراء بتمجيد الله وإسرائه برسوله صلوات الله عليه وسلامه ، وبيان الحكمة من هذه الرحلة ، ثم تنتقل فجأة إلى رسالة موسى وبنى إسرائيل وما يلي ذلك من الأغراض الهامة .. فما السر في جمع المقدمة بين إسراء محمد ﷺ ورسالة موسى عليه السلام وما يتصل بينى إسرائيل ؟!

ولقد تفتن بعض المفسرين إلى الرباط الخفى بين هاتين النقطتين ، وحاولوا الكشف عن ذلك على تفاوت فى وضوح الرؤية وتحديد الغاية .. وفى يقينى أن استبانة هذا السر وإبراز مكنوناته مطلب على جانب عظيم من الأهمية ، من حقه أن يرهف عزيمة المسلمين ويزودهم بالكثير من أسباب الصبر والنصر .

لقد شئت حكمة الله أن ينشئ للجنس البشرى مناطق سلامة يفىء إليها كلما حزبه هموم الحياة ، فحالت بينه وبين الأمن الروحى ، الذى لا يستكمل إنسانيته بغيره .. فكان المسجد الأقصى الذى بارك حوله ، أحاطه بالخير والنعم ، وجعله منطلق الدعوة إلى توحيده وعبادته الخالصة ، يقوم بها النبيون والريون .

وفى واد غير ذى زرع من مكة المكرمة أرسى لهذه الإنسانية قواعد البيت الحرام ، لتتعارف فى ظلاله على طاعة الله ، فتسترد فى هاتين المثابتين ما ذهلت عنه من أواصر القرى ، ووشائج التعاطف وروح الاستقرار ، وعهد سبحانه برعاية كل منهما إلى طائفة من عباده ، فوكل أمر المسجد الأقصى إلى أنبيائه وأنصاره من بنى إسرائيل ، يعمرونه بالعبادة ، ويتولون مجاوريه بالهداية ، ويفصلون بينهم بحكم الله ، واختار سبحانه لولاية بيته الحرام ذرية من نبيه الأكرمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يكرمون الوافدين إليه ، ويوفرون الأمن لكل مقبل عليه .

لكن سرعان ما نسى بنو إسرائيل عهد ربهم فى رعاية مسجده ، فإذا هم يقتلون أنبيائه ويغدرون بعباده ، وينشرون على الأرض المباركة ظلمات البغى ، على حين ظل سدنة البيت الحرام وافين بعهد الله ، موقرين بيته ، قائمين بخدمة ضيوفه ، حارسين لسلامتهم وأمنه .. حتى شاء الله تحقيق موعوده ببعثة نحاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، بعد أن استشرى الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، وتقلصت أنوار الهداية عن أرجاء الأرض ، فلم يبق فيها من يهتم بها ، إلا بقية ضئيلة من أهل الكتاب تناثروا فى الأبعاد ، حيث لا يسمع لهم كلام ، ولا يستطيعون ضراً ولا نفعاً .. وبهذه البعثة الخاتمة تدارك الله عباده بوسع رحمته ، فإذا هم فى أول الطريق اللاحب إلى الألفة الجامعة ، التى قدرها من الأزل تحت قيادة الصادق الأمين وسيد الأولين والآخرين .

ز في ليلة الإسراء المباركة تم بناء هذه الوحدة العالمية ، لأول مرة في تاريخ الإنسان ، منذ أن افترق جنسه إلى شعوب وقبائل .. وقد تجلى ذلك في الجمع بين البيت الحرام والمسجد الأقصى تحت لواء هذا الرائد الأعظم ، الذي اختارته العناية الإلهية لهذه المهمة ، ومن أجل ذلك جمع الله له إخوانه النبيين ليؤمهم في صلاة جامعة تؤكد العودة بالإنسانية إلى وحدتها المقررة ، وتضع في يد الأمة المسلمة من جميع الألوان ولاية المسجدين جميعاً ، لتكون أمة الدعوة العالمية إلى التى هى أقوم .

ثم جاء المعراج إلى الملأ الأعلى تكملة رائعة للمسيرة الإنسانية ، إذ كان بمثابة إعلان بليغ لاتجاه هذه المسيرة نحو السماء ، وبذلك انتهى عهد الضياع البشرى ، وتعينت الغاية العليا من الحياة والحضارة ، ليحيى من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

وفي حسابى أن في هذه الحقائق المنظورة من خلال آيات الإسراء ما يصلح لأن يكون الجواب المقنع على ذلك السؤال القديم .

على أن ثمة أسئلة أخرى تثيرها الآيات من شأنها أن تدفع المفكر المؤمن إلى استكناه أجوبتها أيضاً ، لأن فيها ما يمس واقعه الفاجع مع هذه النفس اليهودية التى تصورها الآيات أنموذجاً صارخاً للالتواء والتعقيد ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديداً فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيراً . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتكم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ .

فهاهنا إنذار ربانى يوجهه الله إلى بنى إسرائيل فى بعض أسفاره المنزلة على بعض أنبيائهم حول عهدين من المعاصى الكبرى يقترفونها فيستحقون عليها نكاله الهائل ، فهو يحذرهم تلك الموبقات ويرشدهم إلى سبل الخلاص منها وفق سننه الذى لا يحاى محسناً ولا مسيئاً .

أما أولى المرتين فقد اتفق المفسرون والمؤرخون على حصولها وإن اختلفوا في تعيينها وذلك لتعدد المفاصد التي استحق القوم عليها العقاب الكبير ، ولعل أهمها وأحقها بالتعسين حملة ( بنوخذ ناصر ) التي دمرت ملكهم ، وهراقت دماءهم ، ، واسترقت بقاياهم لعشرات السنين .. ولكن الاختلاف على تحديد الثانية ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنها قد مضت كأختها على يد الرومان .. ويرى آخرون أن الثانية هذه غير محصورة في ذلك الانتقام الروماني على وجه القطع ، لأن مفاصد بني إسرائيل مستمرة على وجه الدهر ، ومستمرة عقوباتها الإلهية تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَدْتُمْ عَدْنًا ﴾ فلا يستثنى منها وقائع قريظة والنضير وقينقاع وخيبر ، ثم ما تلاهن من كوارث جروها على أنفسهم في أوربة حتى انتهت بمئات الآلاف منهم إلى أفران هتلر ، وفي رأى هؤلاء إن المرة ( الآخرة ) لم تخص بالذكر في كتاب الله إلا بما تتميز به من الحسم الذي يشبه الاستئصال إذ سيكون فيها القضاء على طاقاتهم الشريرة كافة ، فلا يستطيعون بعدها إلى فتنة سبيلا ، وقد يؤيد هذا المفهوم كونهم في مفاصدهم التالية لحملة ( بنوخذ ناصر ) كانوا عالة على غيرهم لا يقدرّون على شيء إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، على حين يصفهم القرآن العظيم أثناء المرتين أو أخراهما بالتفوق الذاتي الذي يرتفع مدّه إلى قمة الطغيان ، حتى لا يفى بتصويره إلا قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ومعلوم أنهم لم يبلغوا قط هذا المستوى خلال عشرين قرناً قبل قيام إسرائيل .. إذ أصبح لهم كيان مزود بكل وسائل التدمير والإرهاب والاستعلاء ، فضلا عن سيطرتهم الفكرية على منابع القوة في الشرق والغرب ، وبخاصة في نطاق المال والسياسة والمذاهب الفكرية والاجتماعية الهدامة .

وبسبب ذلك نميل إلى اعتبار ( الآخرة ) من المرتين هي التي نعاصرها اليوم ونعيش مآسيها في العدوان الذي لا يقيم وزناً للعواقب ، وفي التدمير الخلقي والروحي الذي لا يتورع عن سلب الإنسانية في كل مكان كل مقومات السلامة والاستقرار .. وهذا يقتضي بديهياً أن يكون مدلول ( الأرض ) في كل من المرتين مقيداً بحدود الواقع التاريخي ، فإذا كانت في الإنسان الأول مقصورة على الأرض المقدسة ، التي انحصر أثرهم فيها وحدها ، فميدانها في الافساد الثاني يشمل كل جانب امتدت إليه سموم هذا الشعب الشيطاني من أجزاء الكرة الأرضية .

والآن ونحن بإزاء الثقل الأكبر من أوزار هؤلاء المفسدين في الأرض  
يجدر بنا أن نتساءل : إلى أى مدى كتب علينا أن نسهم في تأديبهم هذه المرة  
( الآخرة ) ؟؟

وقبل الإجابة على ذلك نركز البصر على قوله تعالى في آخر السورة :  
﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض . فإذا جاء وعد الآخرة جئنا  
بكم لفيها ﴾ وعلى الرغم من إغفال الكثيرين من المفسرين ربط ما بين هذه  
الآية وسابقتها في مقدمة السورة : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ﴾ لا نشك في  
أنهما تستهدفان الغرض الواحد ، بحيث جاءت الثانية تكراراً مؤكداً للأولى في  
كون الآخرة في كلتيهما واحدة هي ثانية المرتين ، والذين ذهبوا بمعنى  
( الآخرة ) إلى مقابلة الدنيا لا سند لهم من أثر أو وحى ، وإنما هو الاجتهاد  
المأجور .

هذا إلى أن في الفقرة الأخيرة زيادة تسترعى الانتباه ، ففي قوله تعالى :  
﴿ جئنا بكم ﴾ إيذان قاطع بأنهم سيساقون بتقدير محكم من مختلف الأنحاء إلى  
مكان معين ، وفي التعبير بـ ( لفيها ) تأكيد لذلك ، إذ يشير بصراحة إلى  
تجميعهم إثر حصول الإفساد الآخر .. ومع أن الآية لم تحدد موضع التجميع  
باللفظ فهو ملحوظ بالمعنى من اللفظ المجاور ( الأرض ) الذى لا مجال للتردد  
في أن المراد به هنا هو الأرض المقدسة ، التى أمروا باستيطانها لإقامة شعائر  
الله ، وتحقيق القيم العليا ، التى يحب سبحانه أن تعمر بها الحياة ، والتى تحقق  
بسابق علمه أنهم سيفسدونها بسوء سلوكهم وبتمردهم على أنبيائهم :

وإذا كان الأمر كذلك لم يبق من شك في أن مهمة الإنقاذ ، إنقاذ  
الإنسانية من رجس هذه التعالين واقعة على عاتق المسلمين وحدهم ، وأن  
موعد المعركة الفاصلة معها متوقف على وصول هذا التجمع إلى حدود  
الانفجار .

وطبيعى أننا لا نسجل سبقاً علمياً إذا قلنا ان علماء السنة على علم بهذه  
الملحمة الحاسمة منذ أربعة عشر قرناً ، وأنهم يملكون المخطط الكامل عن  
تفاصيلها الكبرى ، وذلك منذ اليوم الذى أبلغهم رسول الله صلوات الله  
وسلامه عليه أنه : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم  
المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر



والشجر يا مسلم .. يا عبد الله .. هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» (١) .

والحديث من أنباء الغيب أخرجه مسلم فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، فلا مِرية فى صحته ، ويحسن بأهل الإسلام أن ينعموا الفكر فى إشارته ، التى قد يكون فيها الغريب عن مصطلحات زمنهم ، ولكنها ذات أهمية بالغة بالنسبة إلى معركتهم المحتومة مع هذا العدو الخبيث .

إن هاهنا إخباراً قاطعاً بملحمة لا مناص منها بين المسلمين واليهود ، تفسره كلمة ( يقاتل ) التى تصور المشاركة المتقابلة ، ثم يأتى النصر الحاسم الذى يسجله فعل الغلبة بقوله ( فيقتلهم المسلمون ) ويعقب ذلك تجسيم الهزيمة الواقعة فى العدو بصورة الاختباء وراء كل مظنة للقوة والنجاة من حجر وشجر ، ويلحق بالحجر كل ما يتألف منه كالحصون والخنادق والبيوت والصخور .. ويلحق بالشجر كل ما يتخذ للوقاية والتضليل والكمون ، ويبقى موضوع ( القول ) الذى يصدر عن الحجر والشجر : ما هو .. وما صفته ؟ .. وهو تعبير يتسع لأكثر من تفسير . فالقول يطلق على اللفظ الذى ننشئه من أنفسنا ، والذى ننقله عن غيرنا ، ومن ذلك قوله تعالى فى وصف كلامه العزيز : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ويحتمل معنى الإشارة كما فى الحديث ( وقال بأصبعه هكذا ) أى أشار ، وعلى هذا فقول الحجر والشجر يحتمل أن يكون كلاماً يخلقه الله فىهما لإرشاد المسلمين إلى مكامن عدوهم فى تلك المعركة ، فىكون ذلك من التكرمة الربانية لعباده المؤمنين ، كتنزيله الملائكة بنصرتهم حين يشاء .. ويحتمل أن يكون من نوع الإشارة اللاسلكية أو الصوتية التى يحدثها الرادار أو نحوه ، يوجهه الخبراء إلى الأماكن المختلفة فيستكشف ما خلفها ، فىكون ذلك مساعداً على تتبع العدو ، أما استثناء الغرقد من ذلك التجاوب فلعله حاصل من تحصين اليهود إياه بعواكس معطلة لعمل هذه الرواصد .. هذا إذا استبعدنا المجاز عن المراد بالغرقد ، إذ قد يكون ضرباً من الأجهزة العلمية شبيهاً به لا شراكهما فى بعض الأشكال والخواص ، وطبيعى أنه لا سبيل إلى القطع بهذه التعليقات لأن الأمر متعلق بغيب لا يحيط به إلا الله ، ولكنها محاولة لتقريب

---

(١) الغرقد ضرب من الشجر الشائك كالعوسج .

المعالي البعيدة ، والذي نريد التنبيه إليه هنا هو ما يحمله الحديث الشريف من إنذار للمسلمين بهذه الملحمة الهائلة ، والملابسات التي تكتنفها ، والنهايات التي ستصير إليها ، ليكونوا على بينة من مسئولياتهم الآتية ، وعلى أهبة لتحقيق واجباتهم بإزائها لكي يستحقوا النصر الموعود .

وبقيت هنالك نقطتان أولاهما : أن مجرد نداء الحجر والشجر بكلمة : ( يا مسلم يا عبد الله .. ) دليل كاف على أن جنود الإسلام يومئذ سيكونون من النوع الذي يستحق الإضافة إلى الله ، ولن يستحق المحاربون هذا التكريم إلا أن يكونوا مصفّين من كل عصبية جاهلية .. مخلصين العمل لله وحده ، لا يخالط نفوسهم شائبة من علمانية أو شيوعية أو قومية .. أو نحو ذلك من الدعوات الجاهلية .

أما الثانية فهي أن الخبر النبوي يعرض العدو معرّفاً بآل ، وفي هذا التعريف الاستغراق ما يشد الانتباه ، ويفسح المجال للاحتمال بأنه إشارة إلى تجميع يجعل اليهود صالحين لكسر شوكتهم وتحطيم قوتهم على المستوى العالمي . وإذا صح هذا التأويل ولا مانع منه ، فلن يكون ثمة تجمع لهذه الشراذم السامة أصلح من تجمعهم القائم في فلسطين .. وبالتالي لن يكون هناك فرصة للقضاء على شرورهم ، وإنقاذ البشرية من فواجعهم أصلح من هذه المناسبة ، ولا حاجة للظن أن نتيجة الملحمة هي استئصال الجنس اليهودي كلياً ، فإن التعبير بقوله ﷺ ( فيقتلهم المسلمون ) قد يراد به الاثنان دون الاستئصال .. وذلك كقول عمرو بن سالم الخزاعي لرسول الله :  
هم بيتونا بالوتير هجداً وقتلونا ركعاً وسجداً

ولو كان القتل شاملاً لخزاعة لما بقي منهم هذا المخبر ، ولو كانت نهاية الملحمة استئصال اليهود لما أخبر ﷺ في حديث آخر بأن عشرات الآلاف من يهود أصفهان سيتبعون المسيح الدجال يوم يخبث موعده .

● أما بعد .. فقد كتبت هذه الخواطر قبل هذه الأيام ولكنها غير بعيدة عن أحداثها التي نتجرع غصصها على أيدي العصائب التي جعلها الله قدر المسلمين في هذا القرن ، الذي بلغت به فواجعهم أقصى ما عرفوه خلال تاريخهم المشحون بأكداس المحن والعبء ..

وعلى الرغم من الألم الذى يزلزل قلوب المؤمنين بإزاء ما يشهدونه من  
النكبات يصيبها هذا الوحش الشرس وحلفائه على عشرات الآلاف من إخوانهم في  
بيروت وجنوبها ، فتحصدهم حصداً بأفتك ما حققته عبقرية أميركة من  
وسائل القتل والتدمير .. على الرغم من ذلك فإن المفكر المؤمن ليلمح من  
خلال هذه الفجائع بوارق البشرى تملكه يقيناً بأن وراءها الفجر الذى يشير إليه  
النبا النبوى العظيم .

وقد شاء الله أن ندفع ثمنه آلاف الشهداء من الشيوخ والأطفال والنساء ،  
الذين أحالت همجية اليهود ومن ورائها أميركة منازلهم قبوراً لهم ، فكان ذلك  
سبباً مباشراً فى إيقاظ ضمائر البشرية على واقع النفسية اليهودية ، التى لا يُروىها  
شئ مثل الدم تعجن به فطيرها أيام السلم ، وتسقى به الأرض جزافاً فى ظلال  
الحرب .

وهكذا تنهياً النفوس فى كل مكان لقبول المصير العادل الذى يعده القدر  
لهذه الشجرة الخبيثة على أيدي المظلومين من عباده المسلمين .

وشئ آخر لا يقل عن ذلك أهمية هو الإفلاس النهائى الذى انتهت إليه  
دعوات المضللين من الغافلين عن تدبير الله وحكمته إذ أزال البقية الباقية من  
أقنعتهم المزورة ، فلم يعد لمزاعمهم مكان فى عقول الجماهير التى يحكمونها  
بالحديد والنار وأفانين التضليل .

وإنها لصفقة رابحة أن تتكشف محنة بيروت والجنوب عن كل هذا الخير الذى  
يبشر باقتراب يوم النصر .

فليفتح الباغون كل جحيمهم	وليشحنوا بالرعب كل مكان
وعد بنصر الله قد صدّرت به	للمؤمنين إرادة الديان
أن ليس للأقصى سواهم منقذ	ينتاشه من أثيب الذوبان
ولقد يؤخّر بعض حين زحفهم	لكنه رغم العوائق داني

والله الأمر من قبل ومن بعد ...

\* \* \*

# نفحات مباركات

## من شهر الهدى والينيات

ما الذى يحسن لى أن أقدمه إلى القارىء وهو يتبها لا ستقبال الموسم الذى يقول فيه بارىء الكون : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ ؟

أأحدثه عن عظمة هذا الكتاب الذى كرم الله به الجنس البشرى فعلمه ما لم يكن يعلم ، وأراه ما لم يخطر على قلبه قط ، وأخرج به من الظلمات شعوباً لم تكذب تستشرق ضيائه حتى انطلقت فى أكناف الأرض ترد الدنيا إلى نور ربها ! .

أم أحدثه عن فضائل رمضان وكنوزه وبركاته ، التى بها كان مجتمع الفرص الإلهية التى أتاح للمسلم أن يحقق أعلى ما أعد له الإنسان من مراتب الكمال على سطح هذا الكوكب .. وناهيك بشهر خصه الله بالليلة التى هى : ﴿ خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ... ﴾ ؟

إن الكلام عن رمضان كمحاولة الغوص فى خضم لا وصول إلى قراره ، ولو نحن رحنا نجمع ما يدبجه الكتاب ، وما يحبره الخطباء ، وما يصوغه الشعراء فى مزايا هذا الموسم ، وفى الأحداث التى شهدتها خلال التاريخ منذ يوم بدر ، الذى شق به الإسلام طريقه نحو القيادة العالمية ، نوراً يبدد الظلام ، وعلماً يحطم الأوهام ، ورحمة ترد للإنسان حريته التى سلبها الحكام ، وكرامته التى امتنها الظلام .

أجل .. لو تيسر لنا الاطلاع على كل ما يتناوله هؤلاء من أحداث هذا الشهر المفضل ، وذكرياته ذات الأثر البعيد فى تاريخ المسلمين الغابر ، وواقعهم الحاضر ، لرأينا ما لا يحصى من الموضوعات ، ولوجدنا ثمة متسعاً لروائع لم يشر إليها بعد ، وهى تنتظر من يحسن استكناه أسرارها من فرسان البيان ..

من أجل ذلك رأيت أن أصرف القلم عن معظم الجوانب من أحداث رمضان المبارك ، على الرغم من الحاجة الملحة إلى إحيائها واستيحاءها ، لاستخراج العبرة التي تنفعنا من مواجهة وقائع العصر ، لأن ذلك كله مما يقع في نطاق البحوث التي ستطالع الناس في هذه المناسبة ، سواء من المساجد أو الأندية أو الصحف ، وسائر وسائل الإعلام الأخرى مسموعة ومنظورة .

أما الفكرة التي آثرت الوقوف عندها من موحيات شهر القرآن العظيم ، فمستمدة من حديث شريف ، طالما قلبت النظر في دلالاته ، وتقصيت ما كتبه أهل العلم عن إشاراته ، ولم يزل في النفس والعقل منه شغور وتساؤلات ، تلقي في خلدي أن ثمة جوانب لا تزال تنتظر البحث والاستنباط .. ومع شعوري العميق بالعجز عن إعطاء الجواب الشافي على هاتيك التساؤلات ، لم أجد مندوحة عن تقديم بعض المحاولات التي إن لم تكف فلا أقل من أن تثير بعض الهمم لاستكمالها .

أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصبخ ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقلل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه » .

وقد أورد البخاري رحمه الله لهذا الحديث رواية أخرى فيها بعض الاختلاف اللفظي مع الاتفاق التام في المعنى ، وتكاثر رواياته من حيث المضمون وأكثر اللفظ في مختلف كتب الحديث ، حتى يكاد يبلغ منزلة التواتر ، وفي ذلك إحدى الدلالات على أهميته وما ينطوي عليه من كبار الفوائد .

يقول صاحب ( فتح الباري ) : « وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى : « الصيام لي وأنا أجزي به » على أقوال ، ثم مضى في عرض هذه الأقوال حتى يبلغ بها العشرة ، فإذا هي متشابهة أو متحدة الدلالة تكاد تتخلص في قول الإمام ابن الجوزي : « لمعنى ليس لنفس الصائم فيه حظ ، بخلاف غيره - من العبادات - فإن له فيه حظاً لثناء الناس عليه » .

ومع أنى أجدر بعض الارتياح لهذا التعليل إلا أنى استشعر فيه بعض القصور عن مدى التعبير النبوى ، فابن الجوزى رحمه الله ينفى أن يكون للصائم حظ من صومه ، ولكنه يثبت توافر هذا الحظ له فى غيره من العبادات ، ويحصر ذلك ببناء الناس على صاحبها ، إذ يجدون فيها دلالة على صلاحه الذى يجلب له الثقة والتقدير ، وبذلك يتحقق له عند الناس نوع من الأجر ، الذى لا ينال الصائم ..

وقد توارد على هذا المعنى غير واحد من شراح الحديث ، ونقل صاحب الفتح عن بعضهم قوله : ( لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصوم فإنما هو بالنية التى تخفى عن الناس ومما يقوى هذا الاتجاه ما ورد فى الأثر ( ليس فى الصيام رياء )<sup>(١)</sup> فكأن نفي الرياء عن الصوم لخفاء باعته ، يثبت إمكان وقوعه فى الصلاة أو الحج أو الزكاة مثلاً ، لتمثلها فى الظواهر كما تقدم ، فلا قدرة لصاحبها على إخفائها .

أما جانب القصور فى هذا التعليل فعائد فى تقديرى إلى غموض العبارة فى كلام ابن الجوزى إذ هو يطلق لفظ ( الحظ ) دون تحديد لمراده منه ، فالحظ فى اللغة هو النصيب والقسم ، ولا يبعد عن مفهوم ( الفائدة ) عند العامة ، فنفى ( الحظ ) - بهذه المعانى - عن الصائم مناف للواقع لأن حظ الصائم فى الأجر كبير ، كما يفهم من حديث النسائى عن أبى أمامة « عليك بالصوم فإنه لا مثل له »<sup>(٢)</sup> ولا عبرة فى تجريده من حظوظ الدنيا ، فالشهيد يوجد بنفسه فى سبيل الله وهو أبعد ما يكون عن التفكير ببناء العباد ، لأنه مشغول القلب عنهم برهم .. ومع ذلك لا يقال بتجريده من الحظ .

من هنا يقوم فى تصورى أن إضافة الصوم إلى ذات الله تبارك وتعالى أبعد فى الدلالة مما ذهب إليه ابن الجوزى وغيره ممن قرأت شروحهم للحديث .

○ الصلاة عمود الدين ، ومع ذلك فهى تفاعل روحى وجسدى معاً ، فكما ترتفع بالإنسان إلى جِواء الصفاء فتدربه على التسامى حتى يصير له ملكة ، كذلك تمنحه فرصاً رائعة لترويض أعضائه والترويح عن أعصابه ، وبذلك تجتمع للمصلى الخاشع الفائدة والمتعة جميعاً .

(١) فتح البارى ج ٤ ص ١٠٧ طبعة السلفية .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٤ .

وهكذا القول في الحج ، فهو أروع سياحة رياضية يمارسها الحاج ،  
فتنشط طاقاته الروحية ، إذ تُطَلَّ به على أصناف البشر بمختلف لغاتهم  
وألوانهم ، وتذكره بالمصير الذى سينتهى إليه لأداء الحساب على ما كسب  
وقدم .. هذا فضلا عن الامكانيات المادية التى تمكن للمسلمين أن يجعلوا من  
موسم الحج ، إلى جانب العبادة الخالصة ، سوقاً إسلامية تشد من وحدتهم ،  
وتحقق لهم ( المنافع ) التى جعلها الله أحد أهداف الحج .

وليست الزكاة دون ذلك مردوداً ، وحسبها ما تشعر به المسلم من فضل  
الله عليه ، بجعله قادراً على مواساة إخوانه الذين تخلفت بهم قافلة الحياة ، وفي  
ذلك من الغبطة الروحية والتحاب فى الله ، ما يتضاءل بجانبه كل نفقة بالغة  
ما بلغت .

ولو نحن مضينا فى استحضار سائر ضروب الطاعات ، بدءاً من كلمة  
التوحيد حتى إمطة الأذى عن الطريق ، لألفينا أنفسنا تلقاء كل متكامل عن  
التساقط السعيد بين الروح والمادة جميعاً .. وكلها حين تخلص لها النية بالتوجه  
إلى ابتغاء مرضاة الله ، صالح للتحرر من الرياء الذى يفسد العمل ، وينحط  
بصاحبه ، عياداً بالله ، إلى دركات الشرك .

ثم إن الصيام ليس من الخفاء بحيث يتساوى مع أعمال القلب التى  
لا يعلمها إلا الله .. بل إنه يُعرف من آثاره فى مظاهر الصائم ، التى تشمل  
الملاعخ كما تشمل الجوارح ، وبذلك تكون مدعاة لثناء الناس كغيرها من  
العبادات أيضاً ، ولا حرج فى هذا ، فليس مجرد ثناء الناس على العابد مؤثراً فى  
عمله ، ما دام قلبه سليماً من هذه المؤثرات .

وعلى هذا لابد من البحث عن العلة فى تخصيص الصوم بمزية الإضافة إلى  
الله فى غير ما وقف عنده أولئك الفضلاء ، وهذا ما حدانى إلى أن أعود إلى  
تجربتي الشخصية مع الصوم لعل أعثر هناك على إيضاح لذلك الغامض .

لا أدري إلى أى مدى يشاركنى غيرى من الصُّوم إحساسى بوطأة  
الصوم ، إنى لأهابه قبل مواعده ، فإذا احتوانى ظله غرقت فى بحر من  
الارهاق لا يسعنى تصويره ، الفكر ، الوعى ، الأعضاء كلها ، بل كل  
نسيج فى الجسم منفعل بهذه التجربة ، قد تضعف شهوة الطعام ، وتتلاشى

إلى حد سورة الظمأ ، وبخاصة بعد تتابع أيام الصوم واعتياد واقعها ، بيد أنه يظل عبئاً ضخماً ينوء به جسد ذي القوة ، تغيم فيه الطاقات النفسية تحت ضغط التغيرات العضوية ، فلا يكاد الصائم يستوعب ما حوله على نحو ما ألف قبله من الوعي .

وليس من شأني أن أتحدث هنا عن الأثر الصحي للصوم ، فذلك من عمل ذوى الاختصاص من الأطباء وعلماء المخابر ، وقد تباينت آراء هؤلاء في تقييمه بين مؤيد ومعارض ، ولكن الموضوع يظل فوق التأييد والتنديد .. إنه تكليف إلهي فرضه الحكيم الخبير ، الذى هو أعلم بمصالح عباده وأرحم بهم من أنفسهم ، وحسب المؤمن من الصوم تلك الغبطة الروحية التى يعيشها أثناءها ، إذ يملؤه الشعور بالقرب من عالم القدس ، والارتفاع عن كل عوامل الهبوط ، التى كانت تشغله عنه من قبل ، وذلك حال لا يرقى إليه تفكير خبراء الصحة الجسدية ، ولا يخطر فى أوهام الاقتصاديين ، الذين وقفت عقولهم عند حدود التراب ، فهم ينظرون إلى الصوم من خلال عملية الانتاج ، لأنهم عجزوا عن معرفة أنفسهم ، فلم يتعدوا فى تقييمها نطاق المعدة والشهوة .

والصوم كغيره من العبادات الشرعية تتفاوت آثارها فى القائمين بها ، تبعاً لـ لا استعداداتهم الروحية ، حيث يكون منهم المصلّى وكأنه لم يصل قط ، والصائم الذى ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ .. وطبيعى أننا إنما نتحدث عن الصوم الذى يتجلى فى قول رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه<sup>(١)</sup> » .

فالإيمان هو الشرط الأول فى صلاحية الصوم ، ثم يأتى الاحتساب الذى هو بمثابة السّياج الذى يصونه من المفسدات ، ويتمثل فى الفقرات ٣ و ٤ و ٥ من التوجيه النبوى الذى نحن بصددده .

فصوم المحتسب جنة: والجنة هى الوقاية ، وقاية بالدرجة الأولى من النار ، ثم هى وقاية من كل ما يشين سلوك الصائم ، كالرفث الذى هو كل فاحش من القول لا يليق بأهل الوقار ، وكالصخب الذى يشمل ارتفاع الصوت لغير

---

(١) صحيح البخارى .



الضرورة ، ويتناول التصرفات الحمقاء التى تصدر عن أهل الجهل ، وحتى لو تعرض هذا الصائم لسباب أولئك الحمقى ومشاجرتهم ، فعليه أن يضبط أعصابه ، بالارتفاع عن واقعهم متذكراً الحال التى هو عليها من طاعة الله ، ومذكراً بها عند الحاجة ، بقوله : ( إني امرؤ صائم ) وهى كلمة على صغرها تختصر واقع الصائم الذى ألزم لسانه أدب السماء ، فلا يتجاوز فى نطقه حدود الكلمة الطيبة ، وما أشك فى أن هذا هو أحد المعانى التى تصورها كلمة ( خلوف فم الصائم ) فى الحديث الشريف ، بل لعله التفسير الأصح من كل ما ذهب إليه المفسرون .

وهكذا يحقق هذا الصائم المثالى بسلوكه النظيف ذلك الأفق الذى أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين »<sup>(١)</sup> إذ لا مكان فى مثل هذا الجو النقى للشرور والآثام التى تسوق إلى عذاب الله ، ولا منفذ لشیطان إلى هذه القلوب ، التى حصنتها فضائل الصوم بوجه كل وسواس خناس ، من الجنة والناس .

وإذن فنحن هنا تلقاء إنسان يمارس ضرباً من الحياة الجديدة ، يقطع به نفسه عن كل شائبة تشوه جمال إنسانيته ، ويدربها على التسامى إلى أعلى مما ألفته من السلوك العادى طوال الأحد عشر شهراً ، فلا طعام ، ولا شراب ، ولا لغو ، ولا صخب ، بل التزام تام للطريق الصاعد مهما تكلفه من المشقة .. وقد نصبت على جانبى الطريق الصوى الهادية ، تذكره كلما قارب حافتيه بوجوب الحذر من السقوط ، والتحفظ من المغويات ، حتى يبلغ نهاية الشوط ظافراً بالأجر الموعود ومستعيناً بلذة النصر المنشود على عوامل الضعف والهبوط .

ومرة أخرى نتذكر أن لكل ضرب من التكاليف الشرعية لوازمه من قرص الراحة وعاجل المنفعة ، وليس بينهما واحد يقتضى استمرار المجاهدة أكثر من أوقات قصيرة ، أو أيام قليلة ، إلا الصوم الذى خص بمعركة الثلاثين يوماً لا فتور فيها ولا هدنة ، بل جهد وتهجد يستغرقان معظم الليل والنهار .

---

(١) للشيخين وغيرهما .

وعلى هذا يتعين الحكم بأن امتياز الصوم يعود إلى خلوه من المصلحة المباشرة للصائم ، ونعنى بـ ( المباشرة ) المردود الذى يتطلبه وجوده المادى ، وهو منتف بالصوم على وجه القطع ، بما فرضه الصائم على نفسه من الحرمان الشامل لكل متعة ولذة يتعلقان بالحياة الدنيا ، حتى لتصبح لحظة إفطاره آخر النهار مدعاة لفرحة لم يجرب مثلها قط فى غير مناسبات الصيام ، ولا يشبهها إلا فترة الراحة التى تمنح للنسجين وهو يغادر قيود المطبق ، ليشارك الأحياء فى نعمة الهواء والضياء .

فأى عجب بعد ذلك أن يكرم الصوم بالإضافة إلى جناب الحق سبحانه دون غيره من أصناف العبادات !..

ومن هذا المنطلق يفهم السبب الذى من أجله أسند جزاء الصوم إلى الله جلّت حكمته ، فكما أن كل عبادة مشروعة من العبد هى فى الأصل لله وحده ، ثم استثنى منها الصوم لمزية له ، فكذلك الجزاء على العبادة لا يكون إلا من جهته ، وإنما خص جزاء الصوم بذلك التفضيل لبيان أنه غير محدود بالعدد والمقادير ، بل هو تابع لفضله الذى لا حدود له ، وفى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ دلالة وافية على هذا المعنى ، لأن رمضان هو شهر الصبر كما ورد فى الخبر ، لتوافر العديد من الآثار على أن المراد بالصابرين فى هذه الآية هم الصائمون<sup>(٥)</sup> وما أحسن قول ابن حجر فى ( فتح البارى ) حول هذه النقطة : ( إن الكريم إذا قال : أنا أتولى الإعطاء بنفسى كان فى ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه )<sup>(٦)</sup> .

وبعد :

إن جوانب الجلال فى شهر القرآن أكبر وأبعد مدى من أن تفيها حقها الأقلام ، ومهما تباينت بإزائها الأفهام فهى متفقة على أن رمضان - إلى جانب مضامينه العظمى - هو فترة التصفية الربانية يسترد بها الإنسان ، الذى أسلم وجهه لله ، ما فقدته فى صراع الدنيا من خصائصه العليا ، ليعود بعدها إلى سيرته الأرضية مزوداً بكل الطاقات التى تجعل لوجوده الأرضى معنى أكبر من الأرض .. فإذا وفقه الله لاستكمال مرحلته على هذا النمط من السلوك الأعلى

مدة الشهر المفضل ، نخرج منها كالجندى الموهوب حين يخرج من دورة التدريب على مختلف الأسلحة ، مزوداً بالخبرة التامة لمواجهة كل موقف بما يقتضيه ، وإذا قدرنا شمول هذا السلوك لأفراد المجتمع الإسلامى - أو معظمهم - خلال هذه الدورة الإلهية ، أدركنا عظمة المهمة التى رُشِّح لها العالم الإسلامى ، وبخاصة فى هذه الأيام التى طمست بها معالم الحق على البشرية ، فهى تخط - من غرورها وضياعها - فى ظلمات بعضها فوق بعض .

وأخيراً :

تلك لمحات مقصورات على جانب محدود من فضائل رمضان الحبيب ، حاولنا بها المشاركة فى استكشاف بعض الإشارات العليا من مضمون ذلك الحديث القدسى .. فإن نكن قد وفقنا إلى الخير الذى نريد فذلك الفضل من الله ، وإلا فهى محاولة مأجورة بفضله ومنه إن شاء الله .

\* \* \*

## السراج الذى أوقده الله

حضرت بالأمس حفلة تقليدية لذكرى المولد النبوى ، واستمعت فيها إلى القصة ، وإلى الأناشيد ، فكان كل ما تجمع لدى من ذلك ألفاظاً شعرية ، تتألف من العطور والزهور ، والأغاريد والطيور ، ثم ذكر النسب الكريم ، وما إلى ذلك من صفات شخصية وجسدية للرسول العظيم ..

وسمعت بعض الإذاعات فى هذه المناسبة المباركة ، فوجدت فيها بعض الجدة ، وهى جدة يمكن تلخيصها بكلمة صغيرة : « إنها عرض لبعض الأبعاد القومية التى نشأت فى إثر الرسالة المحمدية » .

وهأنذا الآن أقف بين النتيجتين متأملاً مفكراً ، فلا أعثر على الصورة الصحيحة ، التى يجب أن يخرج بها الإنسان إثر استحضار هذه الذكرى ! .

فالحفلات التقليدية تدور حول موضوع الذكرى - دون أن تلمس حقيقتها - بالألفاظ الشعرية المنمقة ، وكذلك الأمر فى الحفلات الجديدة ، فهى أيضاً تدور بدورها حول أشياء لا تمس حقيقة الذكرى فى الكثير من أغراضها ، ومرد الأمر فى الحفلات القديمة أنها لا تزال صدى مكروراً لعصور التخلف التى أنست الناس جوهر الرسالة الإسلامية فوقفوا عند قشورها ، وأن الأشخاص المجددين - فى الحفلات الحديثة - ينظرون إلى شخص الرسول من وراء نظارات أجنبية صرفة ، لا ترى من الذكرى غير جانبها المادى وحده ، لذلك تكتفى من الموضوع بالكلام على النواحي القومية ، وما إلى ذلك من ذكريات الأبعاد والفتوح .. وكأنما تريد من ذلك أن تقيم الدليل على ( عبقرية الرسول العربى ) التى استطاعت أن تضيف إلى التاريخ الإنسانى كل هذه الأحداث ! .

أما مبادئ الرسول ، وأما تعاليم الرسول ، وأما رسالة الرسول ، وما فيها من أسرار السماء والهداية الربانية فذلك بعيد عن تفكير المقلدين والمجددين جميعاً . وما دام الناس بعيدين عن إدراك هذه الحقيقة ، فسيظلون يدورون فى حلقة مفرغة لا تنتهى إلى خير ...

ومن أجل أن نحيط علماً بهذه الحقيقة علينا أن نحدد مفهومنا العقلي من الرسالة الإسلامية ، ذلك لأن شخصية محمد ﷺ لا تفهم إلا على ضوء هذا التحديد ، ويوم نستطيع أن ندرك هذا الواقع ثم نجهر به للناس ، يومئذ يحق لنا أن نقول : « إننا نحسن الاحتفال بذكرى مولد محمد صلوات الله عليه وسلامه » .

إن شخصية محمد لم تستمد خصائص عظمتها من نسبه ولا بيئته ، ولا من عبقريته الخاصة ، وإن تكن هذه أشياء لا يستغنى عنها الدارس لمهمة الرسول العربى ، ولكن السير الحقيقى فى عظمة هذا الإنسان الممتاز ، هو أن الله اختاره لهداية القطيع الإنسانى الضال عن طريق الحق .. ثم زوده من الصفات العقلية والنفسية بالقدر العظيم الذى يحقق تنفيذ هذه المهمة العظمى .

لقد أغرق الناس فى المادية حتى أوشكوا أن ينسوا حكمة الله فى تكوين هذا الجنس الإنسانى ، الذى اختارته العناية الربانية لعمران الأرض ، واستخدام طاقاتها ، فحسبوا أن العظمة الحققة موقوفة على القدرة الشخصية ، التى بها يستطيع الإنسان أن يقود الجماعات وينشر الحضارات ، وقد فاتهم أن القدرة الشخصية مهما تبلغ من القوة ، تظل عاجزة عن هداية الإنسان إلى الحقيقة التى يجب أن يسخر فى سبيلها كل قوته .. وذلك من أجل أن تأخذ الحياة الإنسانية اتجاهها الأمثل نحو السعادة الشاملة ..

ومثلاً واحداً نضربه على ذلك : هو أن فلسفة الإنسان على كثرة مظاهرها ، لم تستطع أن تخط للجماعة الإنسانية مذهباً واحداً ، يمكن أن تجتمع عليه البشرية فى اطمئنان وإيمان على حين نرى النبوات الربانية وحدها هى التى استطاعت أن تسيطر على وجدان الإنسانية فتسوقها إلى غاية موحدة ، راضية مختارة ..

هذه قاعدة اجتماعية لا يؤثر عليها الشذوذ الفردى الذى يتراءى بين الحين والحين ، فى تمرد بعض الأفراد والجماعات على حقيقتها المسلمة ، عندما يحاولون التنكر للرسالات السماوية ، ليقيموا بديلاً منها مبادئ فلسفية من صنع الأرض ..

أجل .. على ضوء هذا القانون الربانى يجب أن ننظر إلى شخصية الرسول

العربى الامى ، وبذلك وحده نتصل مباشرة بالمعنى الاسمى لميلاده .. فنرى أنه ليس ميلاد شخص ولكنه ميلاد دعوة .. ميلاد رسالة .. ميلاد نبوة ..

من العبث أن نتعرف شخصية محمد ﷺ عندما ننظر إليه فى معزل عن صفته النبوية ، إن محمداً لم يقل عن نفسه أنه بطل وعظيم وعبقري ، ولكنه عرف هذه النفس فى تواضع فقال : « أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .. ثم لخص حقيقة هذه النفس بقوله : « إني رسول الله إليكم وإلى الناس كافة » وكذلك عرفه ربه بقوله الحق : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ .

فمحمد سراج أضاءه الله لهداية الإنسانية كافة ، وجدير بنور هذا السراج أن يخرج القطيع البشرى من الظلام إلى النور ، لأنه ليس من صنع الذكاء الأرضى ، ولكنه شعلة من قبس السماء ..

ولقد أدرك المؤمنون الأولون هذه الحقيقة ، فباعوا أنفسهم لها ، ووقفوا وجودهم عليها ، ثم لم يرضوا أن يحتكروا هذه السعادة لأنفسهم وحدها ، فاندفعوا ينشرونها فى أكناف الأرض ، ومضت الأرض تنطوى تحت أقدامهم فى سرعة معجزة حتى ركزوا ألويتهم فى كل مكان ، وفى أقصر زمان ..

وهاهو ذا أحد هؤلاء المؤمنين ، يلخص مفهومه لهذه الرسالة فى كلمات بسيطة يصرخ بها فى سمع ( رستم ) قائد فارس عندما سأله عن هدف العرب من حروبهم فقال : هدفنا أن نخرج عباد الله من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده .. ) فكان فى هذه الكلمات القليلة خلاصة وافية لمعانى الرسالة الإسلامية .. إنها رسالة التحرير للعودة بالإنسانية الحائرة إلى نور ربها وإلى حريتها الأصلية ..

لقد ضل كثير من الناس فزعموا أن الفتح الإسلامى لم يكن إلا نتيجة لعوامل اقتصادية لا غرض لها من دين أو ورع .. ولا نزال مع الأسف نسمع مثل هذا القول ، يتبجح بترديده بعض المقلدين لأعداء الإسلام ، وحسبنا أن نسمع رد المؤمنين الأولين على هذه المزاعم ، لنقف على مفهوم الرسالة الحق فى قلوبهم ..

هاهو ذا عبادة بن الصامت يدخل على المقوقس فى وفد من جيش عمرو

ابن العاص ، فيعرض المقوقس عليهم المال لقاء رجوعهم عن مملكته .. فبماذا يجب عبادة على هذه الرشوة ؟ إنه يتسم ضاحكاً من العقلية التي لا تعرف رباً غير المال ، ثم يقول له في أناة وإيمان : « أبالدنيا تغرينا ؟ .. والله ما خرجنا من بيوتنا إلا ونحن ندعو الله ألا يعيدنا إليها وأن يكتب لنا الشهادة في سبيل دعوته » ..

هكذا فهم المؤمنون الأولون شخصية محمد ورسالة محمد ، فهم إذا وقروه فإنما يوقرون دعوته ، وإذا يندفعون لنشرها إنما يفعلون ذلك بدافع الإيمان الراسخ بأنهم ينشرون كلمة الله ، ويحملون رسالته ، لتحرير عباد الله من ظلم الطغاة وتعسف البغاة ، الذين اتخذوا عباد الله خولا وأموالهم دولا ..

وبعد فهذا ما أفهمه من ذكرى مولد الرسول .. إنه مولد الدعوة إلى الله من جديد ، إنه مولد الحرية التي قيدها الظالمون .. مولد النور الذي لا يزال ينتظره الحائرون .. ولعل أناساً يحتفلون بهذه الذكرى ، وهم حرب على معانيها ، ومعول لتحطيم مبادئها ، وهم بذلك يهدمون أنفسهم وإنسانيتهم وما يشعرون ...

إن عالم اليوم كعالم الأمس ، لا يرح في قيود العبودية ، عبودية الشهوات ، وعبودية الطغاة ، وإن اختلفت مظاهر هذه العبودية بين الأمس واليوم .. وهو لذلك أحوج ما يكون إلى الاستضاءة بنور صاحب هذه الذكرى ، فلنحمل إليه من جديد تعاليم محمد ، ولنفهمه في حكمة رسالة محمد .. وبذلك وحده نعطي هذه الذكرى التقدير الذي تستحقه .

ولعمر الله .. لقد آن للعرب اليوم ، وقد أخفقت تجاربهم النظرية جميعاً ، أن يعلموا أن ليس للعروبة الحقبة من رسالة سوى رسالة محمد ، وأنهم حملة هذا المشعل إلى العالم كله ، ألقاه الله في أيديهم ليكونوا أوليائه على الأرض ، وشهداء على الناس : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ .

ولئن اقتصر اليوم الاحتفال بمولد الرسول العربي على بعض الإنسانية دون بعض ، لقد يأتي يوم تعرف فيه البشرية كلها حقيقة محمد ، فتجتمع على الاحتفال بذكراه كمنقذ للناس جميعاً .. ويومئذ تشرق الأرض بنور ربها .. ويومئذ يفرح المؤمنون ..

# الأسوة الحسنة

## وكيف نحققها

كان مما واجهه رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة احتفال الناس هناك بيومين في العام فسأل عنهما فأجيب «أنهم كانوا يلعبون فيهما في الجاهلية» ، فقال ﷺ: «قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر» (١) .

وعنه ﷺ أنه قال : «إن يوم الجمعة يوم عيد وذكر» (٢) ، وكان ذلك كافياً لإلغاء كل عيد غير هذه الثلاثة التي حددها نبي الله ﷺ ، وبات واضحاً أن كل محاولة لاستحداث عيد آخر ، أو إطلاق اسم العيد على أي مناسبة سواها ، مخالفة صريحة لحكم الشريعة .. فمن أين جاء عيد المولد وعيد رأس السنة .. وعشرات المناسبات التي يسميها الناس وبعض الحكومات أعياداً ؟!

ولكي نقدم الجواب الصحيح على سؤالنا هذا يجدر بنا أن نلقى نظرة واعية على أعياد الأمم السابقة للبعثة النبوية والتالية لها .. وسنرى أننا عاثرون هناك على الجذور البعيدة لكل ما أحدثه الناس من الأعياد التي لا تكاد تحصى .

١ - ففي تاريخ المجتمع اليوناني أعياد بعدد آلهتهم ، التي اخترعتها أساطيرهم لظواهر الطبيعة ، فجعلت لكل ظاهرة كونية آلهة أو إلهاً .. ولكل واحد من هؤلاء عيده وزمنه واحتفالاته المميزة عن سواها .

وفي حياة الهند الوثنية حتى اليوم أعياد لجموع آلهتها التي تكاد تعجز الحاسب ، ولها احتفالاتها ومواكبها التي يقرها حتى مثقفوهم على أنها من تراث الهند ، الذي يحفظ لها شخصيتها القومية على مدار الزمن ولو هبط بالعقول إلى أدنى الدركات .

وفي سورية - الطبيعية - بقايا آثار عجيبة الألوان من هذه الاحتفالات الوثنية ، تتمثل في قلعة بعلبك وعشرات الطلول ، التي يحاول الجاهليون الجدد

(١) أبو داود والنسائي والترمذي وإسناده على شرط مسلم .

(٢) عن أبي هريرة وإسناده حسن .



إحياءها باسم ( الفولوكلور ) الشعبي ، الذى لا غرض له فى المفهوم البعيد سوى إضعاف سلطان الإسلام على نفوس الجماهير !..

ولم يكن شأن الجاهلية العربية فى أكناف الجزيرة شاذاً عن هذا الطريق ، وإن كان اهتمامها بآلهتها أقل حجماً ، إذ كانت وثنيها ضرباً من التقليد السطحي لا يمس ضمير الناس كثيراً ، فلم يكن لها مثل الفلسفة والأساطير التى نسجها خيال اليونان والهنود والمصريين والفينيقيين حول آلهتهم .. ولأن ظروفهم القلقة لم توفر الجواء الصالحة للتوسع فى مثل هذه الاحتفالات .

ولما انكشف الضغط الرومانى عن المسيحية ، وأخذت طريقها إلى العلانية بعد السرية الطويلة ، لم يستطع شعوبها التخلص من آثار وثنتهم الأولى ، ومال المستولون عن دعوتها إلى التساهل مع هؤلاء ، فأقروهم على الكثير من تقاليدهم الموروثة ، ثم لم يمض إلا قليل من الزمن حتى تبنت مسيحية بولس الجديدة بعض أعياد الرومان نفسها ، كعيد الفصح الذى يرمز عند الرومان إلى انبثاق الحياة ، وعند اليهود إلى تذكّار خروجهم من مصر ، واتخذوا النصرانى عيداً لفطرتهم إذا خرجوا من صومهم وأكلوا اللحم - كذا فى اللسان - وهو عندهم - فى المنجد - عيد تذكّار قيامة المسيح من الموت ، وحتى عيد الميلاد لم يوقت بيوم ولادة المسيح ، بل أخذ من أعياد الرومان أيضاً .

وهكذا حلت أعياد القديسين لدى النصرانى مكان أعياد الآلهة الرومانية ، حتى لم يبق قديس مشهور بغير عيد ، ثم أفرد لمجموعهم عيد عام أطلق عليه اسم ( عيد جميع القديسين ) .. حتى إذا وافت العهود الحديثة اتسعت دائرة الأعياد فى العالم المسيحى ، بحيث تجاوزت حدود المناسبات الدينية إلى نطاق الذكريات الخاصة ، فبات مألوفاً ، بل من الأمور الحتمية أن يحتفل كل فرد بعيد ميلاده ، وعيد ميلاد شفيعه من القديسين أيضاً ، وكما يتعاون المجتمع المسيحى على إبراز عيد ميلاد المسيح فى إطار من روائع المظاهر ، هكذا يعنى الفرد المحتفى بميلاد نفسه ، فيحيط تلك المناسبة بأزهى ما يستطيع من الظواهر .

فإذا أطللنا على التاريخ الفرعونى نرى أساطير الأمم الجاهلية كلها تجتمع تحت أسماء محلية ، منها السار الفرح ، والمحزن الترح ، ولعل من أشهر أعياد تلك العهود عيد ( أوزيريس ) الذى يزعمون أنه قدم نفسه قرباناً لتخليص

الخطاة ، على الطريقة التي عرفت لدى الهنود والصينيين من قبل ، واحتلت مركزها الأخير في عقيدة الفداء لدى النصارى<sup>(١)</sup> ، ولقد ظلت مصر تحتفل بعيد النيل إلى أيام الفتح الإسلامى ، ثم عادت إلى إحيائه بعد قرون في ظل الدولة العبيدية ...

وقد كان لهذه الدولة الشيعية أثرها الكبير في اختراع الأعياد ، ومن ثم في إذاعة بعضها في العالم الإسلامى .. فعيد لرأس السنة وآخر ليوم غدير خم<sup>(٢)</sup> ومثله لذكر عاشوراء ، ثم يأتي مولد النبي ﷺ وعلى والحسن والحسين وفاطمة و ... حتى ذكرى خروج يوسف من السجن لم يغفلوها من قائمة مستحداثاتهم ، فجعلوا لها عيداً ، ترفع فيه الزينات ، وتسير المواكب وتعرض فيه التمثيليات الشعبية التي تجبى لها الأموال من التجار تحت سمع الدولة وبصرها وتشجيعها<sup>(٣)</sup> .

ولا جرم أن الذى حمل الفاطميين على استحداث هذه المواسم أمران : أما أحدهما فهو رغبة القوم في تغيير ملامح المجتمع الذى ما أنفك يحمل طوابع الأصول الإسلامية المتحدرة من الصدر الأول ، كما هو الشأن في كل حركة ثورية تستهدف فرض خصائصها على البيئة التي تتحكم بها .

وأما الحافز الثانى فهو إلهاء الجماهير الخفيفة بالعروضات التي ترافق تلك الاحتفالات ، وبخاصة في النطاق الرسمى ، حيث كان المكلفون بإعدادها يفتنون في أن يوفروا لها كل وسائل الإغراء والجاذبية ، فينظمون مواكب الخلافة ومسيرتها ، وطرق استقبالاتها ، ويفرغون على كل ذلك من مظاهر الأبهة والفخامة والترف ما يشعر بالقوة ويوحى بالمهابة ، ويشغل العامة بألوان الملاهى التي تشبع فضولهم ، وتروى أهواءهم ، فتصرفهم عن التفكير بما يراد بهم وبدينهم ! ...

وما أحسب باحثاً في تاريخ هذه المواسم الفاطمية بمستبعد أثر اليهودية والمجوسية في التخطيط لها والتركيز عليها ، تحقيقاً لذلك الغرض المنشود ،

---

(١) العقائد الوثنية وأثرها ... لمحمد التنير .

(٢) أول المحتفلين بهذه البدعة هم البويهيون عهد معز الدولة سنة ٣٥٢ وذلك قبل عشر سنوات من ظهورها في مصر ( ظهر الإسلام ) ص ١٩٤ .

(٣) ( الدولة الفاطمية في مصر ) ص ١٧٢ .

ولا سيما حين يتذكر ما وراء الواجهة العبيدية من التعاليم السرية ، التى نسجت فى ظلمات المؤامرات اليهودية ، ثم فى دهايز المجوسية الفارسية ، سواء فى جذورها التى وضعت فى السلمية - من سورية - ثم امتدت إلى المغرب فمصر فديار الشام ، أو فى فروعها الأخرى التى رسخت فيها بعد بأيدي اليهودى الأصل ( يعقوب بن كلس ) وزير العزيز بن المعز ، ثم بأيدي حمزة الروزنى ، وحسين بن حيدرة الفرغانى الأخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذين وفدوا من فارس على الحاكم بأمر الله فأعلنوا الوهيته لأول مرة فى جامع عمرو ، ثم انتقل بعضهم بهذه النحلة المجوسية اليهودية إلى بعض جبال الشام<sup>(١)</sup> حيث لا تزال قواعدها قائمة حتى الساعة !..

ولا خلاف بين المؤرخين فى كون الفاطميين هم السابقين إلى إحداث عيد المولد النبوى منذ القرن الرابع<sup>(٢)</sup> ومن هناك انتشر تقليد الاحتفال به إلى سائر بقاع المسلمين ، حتى اتخذ فى بعض الدول العربية والإسلامية يوم عطلة رسمية .

وفى علمى أن أول دولة أقرتها حديثاً لبنان ، وكان الباعث لذلك هو التنافس الطائفى ، إذ كان النصارى يحتكرون لأعيادهم معظم العطلات الرسمية وليس للمسلمين سوى اثنين الفطر والأضحى ، ثم رأى المسلمون أن ينافسوا مواطنهم فى الاحتفالات بذكر المولد النبوى مقابل حفاوة هؤلاء بميلاد المسيح ، فإذا جاء مواعده ملؤا الشوارع والأحياء بأنواع الزين وخرجوا فى تظاهرات شعبية لا تخلو من الأغراض السياسية .. ثم ما زالوا حتى ألحقوا تلك المناسبة بالأعياد الرسمية ، وما لبث ذلك التقليد أن سرى إلى الحكومات المجاورة وما وراءها من بلاد المسلمين ...

٢ - والاحتفال بذكرى المولد النبوى لا يزال حتى اليوم موضع أخذ ورد بين المقربين والمتهميين ، ولكل منهما حجته فى موقفه ، فهؤلاء يرون التزام سبل السلف باجتناّب كل حدث لم يقره الصدر الأول ، وأولئك يتذرعون بحاجة المسلمين إلى المنبهات التى تصلهم بحياة نبيهم ﷺ بين الحين والحين ، ليظلوا

(١) ( الوفيات ) ٤٩١/٢ .

(٢) ( الدولة الفاطمية ... ) ٩٦ و ٩٧ .

على ذكر منها ، دون أن يتقيد ذلك بموعد ثابت وإن كانوا يخصصون يوم ولادته بالأكثر والأفخم من مظاهر التكريم .

وإلى هنا والخلاف بين الفريقين ضيق المسافة ، إذ هما متفقان على وجوب التذكير ضمن هذا النطاق ، فما دام رسول الله هو أسوة المؤمنين كان لازماً عليهم أن لا يقطعوا صلتهم بذكره وسيرته ، ليحققوا ما يمكنهم تحقيقه من معاني هذه الأسوة .. ولكن الاختلاف بينهما إنما ينصب على الوسيلة التي تعتمد لتنفيذ ذلك التذكير ، فبينما يرى الملتزمون لسبيل السلف ، أن الوسيلة المشروعة شرط أساسى فى الوصول إلى الغاية المشروعة ، نرى الآخرين لا يعبئون بمشروعية الوسيلة ، بل يرتضون ، أو يسكتون بالأقل عن كل ظاهرة لا يقرها الشرع ، ولا تنسجم مع روحه ، مما يرافق فى العادة هذه الاحتفالات .. التى تتحكم فيها نزوات العامة والدجالين ، ولا يتاح فيها لمصلح سليم الطوية نظيف الوسيلة أن يتعرض لها بكلمة نقد أو إصلاح !...

صحيح أن الاحتفال بهذه الذكرى ليس سواء فى بلاد المسلمين ، إذ يقتصر فى بعضها على قراءة القصة وإلقاء بعض الخطب النافعة - أحياناً - ثم توزيع الحلوى ، وإقامة الزينات وتعطيل الدوائر .. ولكن منكرااته تتجاوز كل تصور فى مواطن أخرى ، حتى لتشكل وصمة عار فى حياة المجتمع الإسلامى وتضع فى يد أعداء الإسلام أمضى سلاح لتشويه وجهه المشرق الجميل ، إذ أصبحت الموالد هناك مراتع الفسوق والفجور وأسواقاً تباح فيها الأعراض ، وتنتهك محارم الله تعالى ولا غرابة ، لأن الشأن فى كل بدعة أن تبدأ خطواتها فى وقار الحكماء متظاهرة بكل ما يستهوى ذوى العواطف الساذجة من الخير والاستزادة منه ، حتى إذا اطمأنت إلى الأنصار واستحكم سلطانها فى الصغار والكبار ، خلعت عذارها المستعار ، واندفعت إلى الفساد على رؤوس الأشهاد ، حتى لا يجروا على معارضتها ذو رشاد !....

أجل .. إن الاتصال بسيرة رسول الله ﷺ ومعرفة نشأته ، ودعوته وجهاده وأثره فى صحابته ، أحد الأسس التربوية التى لا مندوحة من التشبع

بها والاقتباس من أشعتها لتصحيح المسيرة الإسلامية ، ولتكوين الجيل الصالح لاستئناف دعوته في المجتمع الإسلامي الحائر ، وفي العالم البشرى الضائع، ولكن الطريق إلى هذا النور لن يكون أبداً في السير وراء القطيع الضير من العامة وأشباههم من الطريقين والمرتزة .. بل في إحياء سننه الصحيحة ، ونشر المطوى المجهول من أخلاقه العظيمة ، وتيسير السبل المؤدية إلى تفهم رسالته المحيية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة ، ومن أجل ذلك لا مندوحة عن تنظيف الوسط الإسلامي من تلك الشنائع التي لا تزال تقترب على مشهد من كبار علماء الإسلام ، ورجال دولهم ، باسم الدين ، والحفاوة بميلاد سيد المرسلين .. ولكن هذا الرجاء سيظل حلماً بعيد التحقيق ، ما دام المسئولون من حكام المسلمين ، الذين يشهدونها بأعينهم ، لا يحركون ساكناً في مكافحتها ، بل ربما استراحوا إلى انشغال الجماهير العمياء بها عن الحقائق التي ضلوا سبيلها ، ولا سيما إذا كان في استمرارها ما يتوهمونه مصلحة لخزينة الدولة ، ولترويح أسواق المرتزة في مواسمها المعتادة !.. وهو المسلك نفسه الذي ورثه هؤلاء عن عهود الاستعمار الذي كان من دأبه تشجيع أمثال هذه الضلالات ، بجانب مطاردته لأهل الحق من كبار الدعاة والهداة .

٣ - لما بعدت الشقة بين عهد النبوة والتابعين في العصر الأموي ، وزالت النماذج الحية التي كانت تمثل آثار التربية الحمديدية في شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم ، وجد المسئولون عن قيادة الأمة لزماً عليهم أن يعوضوا أجيال المسلمين عن المثل المنظور بالخير المسموع ، فأقاموا لهم القصاص ورواة السيرة ، والحافظين لأخبار المغازي النبوية يغذونها بتلك المعاني المحركة للهمم ، والمثيرة لروح الفداء والتضحية ، وكان ذلك أول تنظيم لما يسمونه اليوم بـ ( التوجيه المعنوي ) في أوساط العسكريين ، وكان له أثره العميق في تماسك البنيان الإسلامي على الأساس الأول زمنياً غير يسير ، حتى ضعف هذا الاتجاه ، وخلف الجيل الذي عرف عن الثقافة الدخيلة أكثر مما علم من شريعته الجليلة .. فإذا الدعائم تهتز ثم تهوى ، لتحل مكانها نزوات الساسة وشهوات القادة ، ومن هنا جاءت الطامة الكبرى ، إذ زلزل الكيان الإسلامي ، ثم لم يلبث أن انقض بأجمعه .

ولقد كان المعقول بإزاء هذا التدهور العام أن تنهض البقية من أولى العزم

بعبء الإصلاح على أساس رد القطيع الضائع إلى جادة الإسلام ، والطريق إلى ذلك هو إيقاظ ما همد من روح الإيمان وإبراز ما اندرس من معالم الوحي ، إذ لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .. ولا ننسى أن بعض ذلك قد حدث على أيدي المصلحين ومن تبعهم في طريقهم السليم .. ولكن المؤسف أن أزمة السواد الأعظم من العامة ظلت في أيدي الجاهلين والمضللين من أصحاب الأهواء ، الذين زادوا الواقع السيء سوءاً بما وسعوا من ساحة المحدثات على حساب الحقائق .. ثم نبتت من بعدهم خلوف على شاكلتهم لا عمل لهم إلا ترسيخ قواعد الانحراف بما يتولونه من مبتدعات ، يحسبونها خيراً وهي في منظار الإسلام شر عظيم .

وهكذا وجدنا أنفسنا فيما بعد تلقاء ركام من تلك الموارد المعوقة ، تنهض كجدران السد بين جماهير المسلمين والإسلام الصحيح الذي لا خلاص إلا به .. وليست تلك الاحتفالات الشائهة ، التي تستقبل بها ذكرى المولد النبوي ، والتي يحتشد لها ملايين المسلمين في بعض أقطارهم ، إلا إحدى تلك المآسي التي يعانها الإسلام في ظل هذه الانحرافات .

لقد شوهت هذه ( الموالد ) في عقول الجماهير المضللة شخصية صاحب الرسالة ﷺ إذ حجب عنهم حقيقتها القيادية ، وأثبتت مكانها صورة غريبة لا تمت إلى واقعها العظيم بأية صلة ، وقد زاد المحنة عمقاً تلك الحكايات المختلقة التي يقرؤها بعضهم في مجالس العامة باسم قصة المولد ، فلا تحمل من سيرته ﷺ إلا طيوفاً غائمة لا تزيد عن كونها تعميقاً لمزاعم خبيثة ، توهم أولئك المساكين بانفصال تلك الشخصية المطهرة عن كل صفات البشر .. ولن أنسى يوماً حضرت فيه تلاوة إحدى هذه القصص في مسجد سوري ، وكان يقرؤها للناس معنم له بعض المؤلفات في الحديث ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من مفتريات الدجالين ، فيصرف الوقت كله في سرد نعوت لرسول الله ﷺ لا يقبلها حتى عقله .. ثم لم يكد يعرض لشيء من أخلاقه ولا جهاده ولا رسالته .. ويتخلل ذلك أناشيد تافهة لا تعدو ذلك النطاق الذي يجعله ﷺ مخلوقاً عجبياً لا يتكون من لحم ودم ، بل من الجواهر والمعادن ، حتى لتحدد نسب كل من هذه العناصر في تركيب جسده الشريف !!

ولا جرم أن الذين يقرؤون هذه المفتريات من أولى العلم لا يفوتهم

الإحاطة بمصادرها الوثنية ، التي تصور لعامة أتباعها معبوداتهم في أشكال خارجة عن المؤلف .. وفي تكوينات مزدوجة تمتزج فيها الخصائص البشرية 'المميزات الإلهية على نحو لا يقيم للعقول أى وزن أو اعتبار !.. وهذا ما يسوغ للمفكر المؤمن القطع بأن وراء هذه الأضاليل أيدي شيطانية ، قصدت إلى إفساد التصور الإسلامى في صدور الكافة عن سابق تصميم وثيق الإحكام ، دقيق التخطيط .

٤ - ونقف هنا قليلا لتساءل « أليس بالإمكان تعديل بعض هذه الفوضى ، التى تنتظم احتفالات جماهير المسلمين بهذه المناسبة العزيرة ، بحيث تتحول إلى مجهود اجتماعى ذى مردود صالح !..

إن المواسم الروحية فى مثل أمتنا وبإزاء ما تعانية من اضطراب عام ، يجب أن تكون مراكز حساب على ما أسلفنا وما أعددنا ، وانطلاق إلى ما قررنا من هدف نوجه طاقاتنا لتحقيقه فى زحام الأحداث .. وإذا نحن لم نحسن استغلال هذه المواسم لتلك الغاية المزدوجة لم نخرج عن كوننا مجموعة ضخمة من الأطفال الكبار ، كل همها العثور على أية مناسبة للهو والعبث واللغو للمفرغ من كل مضمون ! ..

ومن فضل الله على هذه الأمة أنها لم تخل قط ، حتى فى أيام انحدارها خلال التاريخ ، من مفكرين جديين ارتفعوا على واقع الغوغاء ، فاتخذوا من مثل هذه المناسبات مواطن يراقبون منها مسيرة أمتهم ، ويدرسون تجاربها ، على ضوء المهمة التى ألقاها القدر على عاتقها ، فينبهون الغافلين ، ويوجهون المخطئين ، ويحذرون الزائغين ، ويضعون فى أيدي الجميع المخطط السليم ، الذى من شأنه أن يصحح مسيرتهم فى الطريق القويم .

وذلك هو المسلك الأمثل الذى لا ينبغى لذى لب وعلم أن يغفله أو يحيد عنه فى كل مناسبة إسلامية ، سواء منها ما كان حقاً بنفسه ، محدداً فى كتاب الله أو سنة نبيه ، كالجمع والعيدين والصوم والحج .. أو ما كان مضافاً إلى الحق ، من عمل المتزيدين الذين ضاقت عقولهم عن إدراك الحكمة فى تحديد الالتزامات الشرعية فراحوا يخترعون ما يحسبونه زيادة فى الخير ، واجتهاداً فى القربات !..

ولا ريب أن ذكرى المولد النبوى واحدة من هذه المناسبات التى يمكن الانتفاع بها فى إثارة العزائم وتصحيح الأفهام ، والاتصال بأعماق المشاعر الفطرية فى قلوب الخاصة والعامة من هذه الأمة ...

على أن الوصول إلى هذا الغرض متوقف إلى حد كبير على التزام الوسائل المشروعة فلا نحائى فى الحق ، ولا نراعى فى ذلك مشاعر العامة ، رغبة فى الانتفاع بما تهيبه تلك المحدثات من فرص للتخفيف من فرقة المسلمين ، كما قال لى أحد ( كبار المشايخ ) وهو يحاورنى فى موضوع بعض البدع ، إذ راح يؤكد لى أنه مقرر لإنكارى ، ولكنه يؤثر بقاء المنكر إثارة لما يجره من المعروف !.. وقد نسى أصلحه الله ألا معروف فى منكر ، وأن من لا يصلحه الحق لا يجديه كل ما فى الأرض من الباطل .

إن التساهل فى إمرار المحدثات - فى الدين - والسكوت عليها قد أذاب الذاتية الإسلامية لدى السواد الأعظم من المسلمين ، فتهدمت بذلك تحصيناتهم الروحية حتى أصبحوا مرتعاً صالحاً لأى طارئ من التقاليد الداخلية ، وها نحن أولاء نعيش من هذا الانهيار فى بلاء لا نكاد نعرف منه مخرجاً ، فالهيبية والخنفسة والوجودية ، إلى جانب الطريقة الزائغة والأفكار الهدامة ، والتقاليع الجائحة .. تفتح كياننا المفتوح لكل غاز .. وقد أعان دعاة هذه المفاسد ما يحسونه من الانفصام الرهيب بين جماهير المسلمين ومنابع دينهم الحق ، حتى بات سوادهم فى معزل شبه تام عن كتاب الله وسنة نبيه ، واستقراء أحكامها فى غير تدبر وتفاعل ، لأنهم استناموا إلى محض التقليد ، وبات معظمهم لا يعدو نطاق القائلين ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ .. وحتى الطبقة التى تمتاز ببعض الوعى من هؤلاء المسلمين لم يعد لديها من المناعة الخلقية ما يعصمها من الخوض فى وحول التبعية لكل ما يستهوينا بهارجه .. فهي تتقمص راضية أخلاق غير المسلمين ، وتلبس عاداتهم .. وبدافع من هذا الذوبان الشخصى تحتفل بذكريات ميلادها على الطريقة نفسها التى يسلكونها ، فترى أحدهم يستقبل مهنثيه ، ويوقد الشموع بعدد سنه ، أو سنى من يحتفل بميلاده من بنه ، وقد يكون هذا الإنسان قائداً مرموقاً ، يخوض بأتمته معركتها الفاصلة ، فلا يشغله حرج الموقف فى بلاده عن التفرغ للاحتفال بعيد ميلاده !.. بل ان بعضهم



لينصبون في بيوتهم شجرة عيد الميلاد ، محاكاة لأولئك .. ولا ينسون حتى البابا نويل وكل ما لا يخطر بالبال من مبتدعات الخيال ، ومغويات الأطفال ، دون أن يسألوا أنفسهم عن حكم الإسلام في هذا التقليد الذي يلحقهم وأبناءهم بغير المسلمين ، لأن القاعدة الشرعية أن ( من تشبه بقوم فهو منهم ) .. ولكنها الببغاوية التي يصورها رسول الله ﷺ إذ يقول في أمثال هؤلاء : « لتبعن سنن من قبلكم شيراً بشير وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » ولا عجب ، فإنما يسير هؤلاء القردة على آثار من سبقهم من الغافلين ، الذين ضلوا سبيل الأسوة المحمدية ، فراحوا يتبعون طرائق أهل الكتاب في الاحتفال بموالد أوليائهم ، ومحاكاة لهم في الاحتفال بموالد قديسيهم !.. وتقليداً لمن تقدمهم من أمم الوثنية في المهرجانات التي يقيمونها لموالد آلهتهم .

وها نحن أولاء نشهد سباقاً في ميدان التقليد لا نعرف له حدوداً يقف عندها ، فعيد للعمال - أول أيار - وعيد للأم ، وآخر للطفل ، ومثله للثورة ، والأسرة ، والشجرة و ... ولو نحن رحنا نستقصي ما كان ويكون من هذه الفنون ، لعجزت عن تصورها الظنون .. ومع ذلك لا تعدم هذه المبتدعات مؤيدين لها باسم الدين أيضاً على أنها مواسم مشروعة للإصلاح أو اللهو المباح !.. وقد نسوا أن الأعياد أعمال شرعية ليس لغير الله ورسوله تعيينها أو إحداثها ، وفاتهم كذلك أن لو كان في هذا الابتداع من خير ما سكت عنه نبي الله ، الذي حذر أمته أشد الحذر من موافقة غير المسلمين في أعيادهم ومهارجهم ، صوناً للشخصية الإسلامية من الذوبان في غيرها ، وبالتالي لو كان في اتخاذ الأعياد من ذكريات النصر والمجد صلاح لما فات الصحابة وخير القرون الحفاوة بأيام بدر والخندق وخيبر ونهاوند في تاريخ الإسلام .. ولكن .. قد يغفل اللبيب ، حتى يقع من الهفوات في العجيب الغريب !..

٥ - وأخيراً رب لا غ بعد هذا يقول : « إن هذا الرجل يريد أن يصرفنا عن الحفاوة بمقدم رسول الله ﷺ وهي مناسبة ، على ما يحف بها وما يعترها ، خير من إلغائها !.. »

ولهذا وأمثاله نقول : « إن العناية بذكرى رسول الله ﷺ وسيرته الطاهرة فرض عين على كل مسلم مستطيع ، لأنها الوسيلة إلى دراسة حياته ، التي هي مجال التطبيق الأسمى ، وبدونها لن تتم الأسوة الحسنة ، ولن يعرف المسلم طريقه الحق .. وهي على هذا الأساس عمل مشروع ، عني به الصحابة والتابعون ، وعندهم وصلنا وفي سلوك منهجهم استمرار لسبيل الخير ، وتثبيت للتراث الإسلامى فى ضمائر الأجيال ، بيد أن الذى نريده ، وندعو إليه هو أن نسلك إلى هذه الغاية الكريمة سبيل أولئك الكرام ، الذين لم يعينوا لهذه الذكرى موعداً خاصاً ، بل اعتبروها من أبواب العلم المطلوب فى كل زمان .. ومجلس علم يدرس فيه شئ من صحيح السيرة النبوية فى تدبر وتفاعل أرجح فى ميزان الخير من ألف موكب وألف سباط ، وألف حلقة ذكر من ذلك الضرب الذى لا يقرب المحتفلين من حقائق الإسلام قيد أمثلة ، ولا يزودهم من معانيه العليا بأية عبرة .

ولهذا نهيب بأولى الأمر فى كل بلد إسلامى ممن تهمهم مصالح شعوبهم أن يصادروا كل قصة للمولد كتبها الدجالون أو الجاهلون ، وأن يطهروا مجتمعاتهم الإسلامية من تلك الشنائع التى لا يرضى عنها إلا العابثون والمستغلون ...

ولكن هذه الإهابة ستظل بغير مردود حتى يتحرك لها أولو البصائر من أهل العلم المؤتمنون على دين الله الغيور على أمتهم أن يضللها الماكرون من أعداء الله .

ولسوف يسألون عما كانوا يعملون .

\*\*\*

# الزحف الأحمر على قواعد الإسلام

## من خلال أحداث الأفغان

في يدى الساعة الجزء الأخير من ( النشرة ) التي يصدرها ( معهد شئون الأقليات المسلمة ) فى جامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وأحس فى قلبى ، وأنا أنظر إليها ، كأن هاتفاً مجهولاً يتساءل : إلى متى يستمر وجود هذه الأقليات مستمسكة بنسبها الإسلامى ؟

ويتجاوب الصدى من وراء هذا الهاتف بذلك التساؤل الآخر : هذه الأعداد الهائلة التى تقدر بمئات الملايين من المسلمين ، وتنتشر فى مختلف البقاع من قارات الأرض ، حيث تشكل الكثرة الكاثرة من السكان ، إلى متى ستستمر محتفظة بمقوماتها الإسلامية ، قبل أن تصبح فى عداد الأقليات ؟..

وتتداعى الصور .. وفيها شعوب من المسلمين كانت فبانت ، وشعوب تدافع فى الطريق إلى الهاوية التى تغرقها بانتظارها ..

وترن فى مسمعى قولة صاحب عُمان لو كالة الأنباء البريطانية قبل أيام : ( إذا استمر الزحف الشيوعى فى طريقه المشهود فالنتيجة هى القضاء على الإسلام ، واستيلاء جنود الكفر على منابع النفط ) .

وما أحسب إنساناً ذا بقية من العقل وقدرة على الإبصار بجاهل شيئاً من هذه الوقائع أو عاجزاً عن تصور الأحداث المتوقعة من ورائها .

لقد قضت حكمة الله أن تنزل رسالته الخاتمة على خاتم رسله فى البقعة التى احتلت مركز الكرة الأرضية ، ثم تنتشر انتشار النور فتمتد فى كل اتجاه من حولها ، وبذلك كانت (أم القرى) مع ( طيبة ) المباركة موضع القلب من جسم العالم الإسلامى ، به تتفاعل ، ومنه تستمد ، وعلى نشاطه وحيويته وسلامته تتركز مسيرته قوة وضعفاً ، ومدأ وجزراً ، وقد أدرك ذلك أعداء الحق ، فجعلوا فى تصميمهم تعطيل هذا المحرك الروحى بكل ما أوتوا من

قوة وحيلة ، وهكذا اندفع سيل الكفر في دفع لم يتوقف منذ أبرهة حتى  
برجنيف وكارتر وييجن ، ولكل جانب من هذا السيل طريقته لمعالجة  
ما يستهدفه من تدمير الحواجز التي تحول دون غايته الجهنمية .

لقد جربت الصليبية طريق القوة ، فتولى أحد طواغيتها ( البرنس أرباط )  
تنفيذ مخططها بتسيير جيش ضخّم من الكرك باتجاه المدينة لاحتلالها ، ولكن  
الله رد كيده إلى نحره بجيش صلاح الدين ، الذي أدركه على مشارف تيماء  
فأفسد خطته ، ودمر قوته ...

واحتجبت الأسرار إلى حين ، حتى أسفرت أخيراً على يد « روزفلت »  
الذي بلغت به الصفاقة إلى أن يساوم الملك عبد العزيز بن سعود - عقب  
الحرب العالمية الثانية - على عودة اليهود إلى مواطن أسلافهم في تيماء وخيبر  
والمدينة مقابل بعض الملايين ، بعد أن طهرها الله من أرجاسهم على يد  
الراشدين ، فكان الرد السعودي يومئذ كافياً لصرف أميركة ، وريثة الصليبية  
وحليفة اليهودية ، عن المساومة إلى المواجهة ، فلم تلبث أن زرعت إسرائيل في  
أرض الإسرائ ، ثم راحت تمدها بكل ما يمكنها من الطغيان والعدوان ، حتى  
جعلت منها معسكر الغرب لغزو العالم الإسلامي .

وفي أعقاب الكارثة التي مرغ بها الثوريون وجوه المسلمين في مستنقعات  
الهزيمة عام ١٩٦٧م أطلقت اليهودية الحاقدة - عند حائط المبكى في القدس  
الجريح - شعاراتها المشحونة بضروب الشتائم الموجهة لرسول الإسلام ،  
وبرجوم الهتافات الصارخة بالثأر لقريظة والنضير وقينقاع .

وسرعان ما تكشف الستور فانتشرت بطاقات الأعياد تحمل من الأرض  
المحتلة خريطة إسرائيل المنشودة ، وفيها مخطط المدينة المنورة على أنها بعض  
ممتلكاتها !..

ويأبى الوحش الشيوعي أن يُحرّم حظه من الفريسة ، فإذا هو يسابق  
أميركة على الاعتراف بدولة اللقطاء في الساعة الأولى من عمرها المشثوم ، ثم  
يمضى في المنافسة على التمكين لها في قلوب الذين زعموا خصومتها من قاعدة  
المواجهة ، وحتى في صفوف مقاتليها من أصحاب الدرة المغتصبة أنفسهم ..  
حتى إذا قيدهم بعجلته عن طريق التلويح بالتسليح ، ثم عن طريق التهديد

بقطعه ، وهم أحوج ما يكونون إليه ، مد سلطانه على أوطانهم ، فاتخذ منها  
مرتكزاً لغاراته على إخوانهم من شعوب الإسلام ، فمن مطارات القاهرة وعدن  
انطلقت قلاع الطائفة تحمل إلى الهند العتاد الذى مزق شمل باكستان ، وفتح  
فى حصونها الثغرات إلى ألوان الشقاق والهوان .

وها هو ذا الآن ، وقد اطمأن إلى انصياع عملائه لأقصى أهوائه ، يعمد  
إلى تطويق الإسلام فى عقر داره ، فيحيطه بمستخدميه من أبناء المسلمين ،  
الذين باعوا أنفسهم وأوطانهم للشيطان ، فمن الجنوب عصائب الماركسيين  
تسوق المضللين من شباب عدن وحضرموت إلى قتال أبناء العمومة فى الأرض  
الصومالية المسلمة ، تحت قيادة السفاح الصليبي منجستو ، والمقاتل الدولى  
كاسترو ، وبتوجيه المركز العالمى للحاد فى الكرمليين .

ويستكمل الطريق الجنوبى الشرقى امتداده ليشمل ، مع الجنوب اليمنى ،  
امبراطورية هيللا سيلاسى وجمهورية سياد برى ، الذى على الرغم من كل  
الضربات الشيوعية على رأسه ، لم يزل صنيعتها الوفى ، وعلى أتم الاستعداد  
لاستئناف المسيرة لتحقيق مخططاتها الجهنمية فى عملية استئصال الإسلام .

وقبل أن يسترد المسلمون أنفاسهم من أهوال الضربة الشيوعية الأميركية  
فى الأوغادين ، يستيقظون اليوم على دوى القذائف وأزيز الطوائر الروسية  
تزلزل أرجاء الأفغان ، وتجعل من شوارع عاصمتها كابول مقبرة لآلاف  
الضحايا ، ممن يرفضون تسلط عملاء الإلحاد على بلادهم التى ما برحت  
تفدى إسلامها بسيول الدماء على مر التاريخ .

ولن يكون سقوط الأفغان بين فكي الشيوعية هذه المرة حَدَثاً محلياً ، يهدد  
بفصلها عن جسم الإسلام ، كما حدث فى ألبانية والقرم والأندلس من قبل ،  
وعشرات المواطن قديماً وحديثاً .. بل إنه فوق ذلك نذير بكارثة جارفة تهدد  
باجتياح البقية الباقية من حصون الإسلام وثرواته ، التى تتحلب لها شفاة  
الطواغيت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب .. إنها الحلقة الأولى فى سلسلة  
الزلازل التى لا تنتهى بغير القضاء على الإسلام ، وفقدان ثرواته البترولية  
كلها ، إذا لم يتداركنا الله بواحدة من خوارقه التى تقلب ميزان القوى ،  
وتحول مسيرة التاريخ من حيث لا نحتسب .

إن أرض الأفغان تكاد تكون امتداداً طبيعياً لما يجاورها من أقطار المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، وعلى هذا فليس ثمة إلا انتظار الفرصة المناسبة ليعلن عملاء برجينيف في كابول اندماجهم في ( الوطن الأم ) روسية ، التي اتسع جوفها لعشرات البقاع والشعوب الإسلامية منذ قيام الثورة البلشفية .

وهذا ما يستدعي التفكير السريع في مصير إيران وباكستان بوجه خاص ..

أما إيران فهي تخوض بحرانا هائلا من الصراع بين النفوذين العالميين ، وقد أثبتت الأحداث شبه اليومية أن التنظيم اليساري الثوري فيها لا يقل عن مستوى أشباهه في إيطالية وألمانية الغربية واليابان ، وكل عدة السلطات الرسمية لمواجهة هذه الثورة الرهيبة ، هو المزيد من الاعتماد على أميركة ، والاستغراق في دعم صنيعتها إسرائيل ، ولو على حساب المصلحة الإسلامية .. ومن هنا تأتي كل تحركاتها في منطقة الخليج وفق الإيجاء الأميركي ، حتى احتلال الجزر الثلاث ، وحتى مشاركتها في الدفاع عن ظفار بوجه الثورة الماركسية ، لم يخرج عن نطاق هذا الإيجاء .. وقد رأينا الناطق الإيراني يعلن - عقب زيارة سياد بري لطهران - أن إيران لن تقف مكتوفة الأيدي إذا تحركت القوى الكوبية والروسية باتجاه الصومال ، ولكنها لم تلبث أن تحركت وراحت تكتسح الأرض الإسلامية بما فيها وما عليها ، دون أن تحرك إيران ساكناً أو تقدم للصومال أى مساعدة ولو بالكلام ، وطبيعي أن موقفها هذا لم يكن سوى انعكاس عميق لموقف أميركة بإزاء المشكلة ، وهو الموقف الذي برز واضحاً في تأييد أميركة للزحف الشيوعي من أجل تدمير كل طاقة تحاول تحرير الصومال المسلم من براثن الصليبية الباغية ، ولم تكتف بالإعلان عن ذلك بالقول ، بل أرسلت مبعوثها الخاص لاسترضاء منجستو ، وتزويده بما يعوز ذلك الزحف من آليات ومساعدات ، فضلاً عن مشاركتها الفعلية في قتال الصومال عن طريق صنيعتها إسرائيل التي لم تحف تبجحها بمعاونة منجستو بالسلاح والخبراء .

والحق أن إيران لم تفعل يومئذ أكثر مما فعلت الحكومات العربية في مأساة الصومال الذي هو عضو في جامعتها الدولية ، إذ اتخذ بعضها من قضيته فرصة للمساومة والتهديد ، فمصر مثلاً صرحت بأنها سترسل قوات لمساعدة الصومال ، وقوات أخرى لمساعدة ما لوم الصليبي على قتال مسلمي تشاد ،

وطبعاً لم ترد مصر بذلك وهذا سوى الكيد للقذافي ، الذى اتخذ الموقف المضاد فى كلا الإقليمين ، فأعان ثوار تشاد لتحقيق ما يريده من كسب فى أراضيها ، وأيد الزحف الشيوعى على مسلمى الصومال نزولاً على إرادة الحليف الأحمر فى موسكو ، كشأن حكام عدن الماركسيين ، الذين شاركوا الكويتيين قتال المسلمين فى البر والجو تنفيذاً لأوامر الرفاق التى لا ترد .

ثم كان كل حظ الصومال المظلوم من عطف بعض الإخوة فى جامعة الدول العربية طائفة من التصريحات المبحوحة ، وحفلات محدودة من المال الذى لم يستطع أن ينقذ قرية واحدة من دبابات منجستو التى أتت على كل شىء فى عملية الإبادة المرسومة .

ومن خلال هذا المنظور يتضح لكل ذى وعى أن الوثبة الشيوعية التالية ستكون على حساب إيران - بعد أفغانستان - ويومئذ يستكمل المخطط الروسى عناصر الحصار المقرر ، إذ يصبح كل شىء على أهبة العمل لاطباق الفكين الرهيبيين على قلب العالم الإسلامى ، لأن طبيعة العلاقة بين الاتحاد السوفيتى والعراق وسورية<sup>(١)</sup> كفيلة بتأمين جناحها الغربى من أى ارتباك ، ثم أن من التقديرات البديهيّة ألا نتوقع من أميركة أى اعتراض ذى بال على هذه الوقائع ، وكل ما يمكن تصوره هو بعض اللغو الدبلوماسى يرسله طواغيت أميركة للتحذير من عواقب اللعبة ، ولتطمين الذين يحسنون الظن بها من العرب إلى أنها لا تزال تدخر فيضاً من الكلام الفارغ .

بعد هذا التقييم الذى تقدمه الأحداث لمختلف التوقعات المتعلقة بإيران وما وراء إيران ، نستطيع القول بأن دور الشيوعية الروسية بالنسبة إلى باكستان فى هذه المرحلة هو مواجهتها بالانقلاب الأفغانى قبل أن تتمكن من السير بعيداً فى تطبيق التشريع الإسلامى ، الذى كان متوقفاً أن تمتد تجربته العملية إلى مناطق عدة من العالم الإسلامى ، وفى طليعتها جارتها - الأفغان - التى لم تتخل قط عن التزام هذا التشريع منذ أطل عليها فجر الإسلام .

ويبقى على المسلمين أن يراقبوا إلى أى مدى سيؤثر ( تشييع ) الأفغان فى تصميم حكام باكستان على خططهم ، التى أخذوا بها أنفسهم ، وأعلنوا بشرياتها

---

(١) هكذا كان الوضع يوم كتب هذا المقال .

للسعوب الإسلامية التي تتلف لرؤية باكستان ، وقد عادت إلى الغاية التي وجدت من أجلها .

ونعود لنذكر القارئ بالواقع الذي لا يحسن أن يجهله معني بشئون السياسة الدولية ، وهو أن أميركة في موقفها الفاتر من الزحف الأحمر على معاقل الإسلام ، وفي هذه البقعة الغنية بالمقدسات والثروات ، لا تناقض نفسها ولا مصالحها البتة ، فهي بصفتها وريثة الحقد الصليبي لا تجد أخطر من الإسلام على أهدافها في السيطرة العالمية ، لأنه النظام الوحيد الذي يملك المقومات الصالحة لإبطال التخطيط الاحتكاري الذي تمارسه اليهودية العالمية من خلال التسلط الأميركي .. وليس النظام الشيوعي بنظر السياسة الأميركية - على اختلاف مجالاته التطبيقية - سوى عبث أشقياء يحاولون تدمير المجتمع البشري بإلغاء خصائصه الفطرية ، وإطلاق غرائزه الوحشية .. وهو من أجل ذلك صائر لا محالة إلى تدمير نفسه بنفسه ، فضلا عن ثقة أميركة بأنها تملك القدرة الكافية على تخطيطه حين تقرر ذلك ، سواء عن طريق الحرب العلمية ، أو عن طريق حرمانه من الأمداد الغذائية .

ومن هنا كان تخاذل أميركة عن الوفاء بالتزاماتها لباكستان أثناء تصادمها مع الهند الذي أدى إلى تحويل شطرها الشرقى إلى دولة بنغلاديش ، وإحالتها بالتالى ساحة للصراع اللاهب بين مختلف الجماعات ، ومن هنا جاء جهودها بإزاء الزحف الصليبي الشيوعي على الصومال ، فأمسكت عنه كل مدد موعود حتى انتهى إلى المصير المقصود .

ولا مسوغ لهذا وذاك سوى الكيد للإسلام الذي تعتبره الصليبية المتهودة عدوها الأول ، ولعل كثيرين قرؤوا ذات يوم ما كتبه جريدة ( النيويورك تايمس ) بالمنشيت البارز العريض تحذر الدولتين الجبارتين بمثل هذا التعبير المثير : ( الخطر الإسلامى يستأنف الزحف وأنتم مشغولون بالحرب الباردة ) .

ونتساءل : هل يعقل أن يصل الخطر على الإسلام إلى هذا الحد من الهول وكأن الأمر لا يعنى المسلمين -الذين هم هدف الضربة الأولى - بشيء ؟!..

كل ما فى حياة هؤلاء يؤكد أنهم أبعد البشر عن إدراك الواقع .. فهم لا يبرحون فى أبراجهم الخيالية ، مشغولين بالمتاع الزائل عن الخطر المائل ،



أشبه بالشاة المكبة على علفها والجزار يشحذ لها السكين ...  
ولعل المفكر في حال القوم لا يُتهم بالغلو حين يقرر أنهم يتجاوزون نطاق الغفلة  
إلى مجال التعاون مع عدوهم على تحقيق مخططاته وهم لا يعلمون ولا يشعرون ! .  
إنها والله لكلمة حق ، تلك التي أعلنها صاحب عُمان حول الزحف  
الأحمر على هذه المنطقة ، ما كان ينبغي أن تؤخر إلى اليوم ، وإنما دفعه إليها  
معايشته لطلائع الكارثة التي لم يباشر جحيمها بعد أولئك الساكتون  
الحائرون .

لقد وصلت المؤامرة إلى قمة الوضوح ، ولم يبق من عذر لمرتاب بأن  
الإسلام هو الهدف الأول ، وأقل ما يوجب الوعي والحزم في مثل هذا الموقف  
هو أن تقوم خطة المجابهة على أساس الإسلام نفسه ، لأن كل إهمال لجانبه في  
هذه المعركة إضعاف لطاقة الدفاع ، وإعطاء العدو فرصة للنيل من إمكاناته  
الفعالة .

ولسنا بصدد التفصيل للجزئيات في ما يجب عمله للاستفادة من قدرة  
الإسلام في هذه المعركة الحاسمة .. ولكن لا مندوحة من التذكير أن في مقدمة  
ذلك تزويد الجيل المسلم بالوعي الدقيق لحقائق دينه ، وإغلاق المنافذ بوجه  
السموم الوافدة عليه من مصانع الكفر، التي توشك أن تقضى على البقية الباقية من  
مقوماته الدفاعية ..

إن المنطق الأساسي لهذا التوجيه الجديد يجب أن يستمد من قوله تعالى :  
﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... ﴾ فلا مكان إذن للميوعة ، ولا مجال  
للضرب وراء الفنون الهابطة ، ولا منفذ لمفسد هدام إلى وسائل الإعلام .. وفي  
هذا الجو ستتحوّل المدارس ، التي هي اليوم ، إلا ما رحم الله ، مجرد أندية  
لتقطيع الوقت ، ومعايير للحصول على الوظائف والمرتبات ، مخابر لتدريب  
المواهب ، ومعسكرات لتنظيم الطاقات ، وحقولا لبذور القوة ، واستنبات  
الرجولة ، وتغذيتها بالقيم العليا .

ولن يكون ذلك ممكناً إلا في ظل نظام إسلامي يُحكّم فيه شرع الله  
وجده ، فلا ينازعه على المجتمع منازع من دستور دخيل ، أو قانون مستورد قد  
فُصِّل بغير المؤمنين .

إن حاجتنا إلى السلاح هي التي مكنت للشرق والغرب من رقابنا وثوراتنا وسياساتنا ، ولو توافر لقيادتنا من وضوح الرؤية ما يكفي لاستشفاف النتائج البعيدة لم يدعوا أمر التسليح لمزاج تجار يسامونهم به على قضايا المصير ، حتى يبلغوا بهم حد التراجع عن كل مقرراتهم التي التزموا بها لشعوبهم على مشهد ومسمع من الدنيا ، فكان حصاد ذلك ما يعانونه من ضياع لا يعرفون منه مخرجاً ، وما كان لذلك الضياع من مكان لو تذكروا أنهم يملكون القوة التي تمكنهم من استخدام أرق المواهب البشرية لإقامة المصانع التي تغنيهم عن التسكع على أبواب الأقوياء من الذين يتربصون بهم الدوائر ، فلا يبيعونهم القذيفة إلا بعد تجريدهم من الكرامة .

على أن المشكلة لم تعد موقوفة على موضوع السلاح ، بل هي بالدرجة الأولى مشكلة التخلف العام الذي يجعل اقتصاد المسلمين مقيداً بعجلة أعدائهم حتى في اللقمة اليومية ، بحيث لو أغلقت بوجوههم سبل الاستيراد من أسواقهم لوجدوا أنفسهم فجأة في مخالاب المجاعة والحرمان .. ومع ذلك فهم لا ينفكون من مؤتمر إلى مؤتمر ، ومن ندوة دولية إلى أخرى ، دون محصول سوى أكداص المقررات التي لا تعدو نطاق الأمنيات ، بل الألهيات ! .. ويحدث هذا كله في حين يمضي مليوننا اليهود بإسرائيل في طريق البناء الصامت ، حتى لتستحيل بقعتهم الفقيرة المحدودة مركزاً للتصدير العالمي ، يبدأ بالحمضيات ولا يقف عند حدود الطائرات والدبابات .

وأخيراً : هل كتب على المفكر المسلم أن يستهلك عمره في تعبد الرزايا النازلة بأمته ، دون أن يجد من يصغي إليه سوى المساكين الذين لا يملكون لأنفسهم ولا لأمتهم ضراً ولا نفعاً .

ولكن .. لا بأس .. فإنها الأمانة تؤدي حقها لله .. ومن أجلها نهيب بالغافلين التائهين صائحين :

أيها الناس .. أيها القادة .. أيها العلماء .. لقد بلغ السيل الزبي ، وأحاط الكفر بقواعد الإسلام .. فتحركوا للدفاع عن أنفسكم على الأقل .. وتداركوا بقية الطاقة في شعوبكم ، قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون .  
ألا ... هل بلغت ؟ .. اللهم فاشهد .

## ايران الغريزة .. إلى أين ؟!

قبل تسعة أشهر نشرت لي بعض الصحف خطاباً مفتوحاً إلى العلامة آية الله شريعتمداري عرضت فيه لتبريجه المشكور حول أوضاع الأقليات الإسلامية ، ودعوته حكومات المسلمين إلى مقاطعة الطواغيت من الحكام الذين يضطهدون الشعوب الإسلامية .. وكان لروسية الشيوعية عدوة الإسلام والأديان نصيب موفور في ذلك التصريح ، إذ ندد باستعمارها لديار الإسلام وحملاتها الشرسة المستعمرة على دين الله وأهاب بها لترفع كابوسها عن صدور أولئك الإخوة الذين لا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله .

وفي ذلك الخطاب ذكرت سمachtته بجانب ثنائى القلبى على موقفه النبيل بالاتفاق الذى كان قد تم آنذ بين حكومة الثورة الإيرانية وطاغية الفليين ماركوس ، على أن تزوده إيران المسلمة بعشرين فى المائة من حاجة الفليين إلى البترول .. وبتعبير آخر على أن تزود جيش ذلك الطاغية بالطاقة التى تمكن آلياته وطائراته ومدافعه من تقتيل الشباب المؤمن ، الذى يلجأ إلى غابات الفليين للدفاع عن حريته ودين بلاده السلبية .

ولقد شاء الله أن يوفق زعماء الثورة الإسلامية فى إيران الشقيقة إلى إلغاء ذلك الاتفاق فى ما بعد معللين إغائه بأنه انتصار لأخوة الإسلام التى تربط الشعب الإيرانى بمسلمى الفليين .

وإنى لانتهاز الفرصة لأزجى أعرق الشكر والتقدير لذلك القرار سواء جاء استجابة لخطائى أو جرياً مع المبادئ التى أعلن الإمام الخمينى التزام الثورة بها منذ اللحظات الأولى .

وتتالت الأحداث التى اجتذبت قلوب الملايين من مسلمى العالم لتأييد تلك الوثبة التى بهرت الدنيا ، بما أنعشت الآمال بانتصار أهل الحق مهما بلغ بهم الضعف المادى - على أهل الباطل ولو ملكوا كل وسائل الفتك والتدمير .

لقد كان فى تقويض المستضعفين لبنيان الطغاة ، المحمى بأمرىكا وإسرائيل

والحلف الأطلسي كله .. ما يكفي لإلهاب مشاعر الفرح في الشعوب الإسلامية التي بلغ بها البلاء أشده في جحيم هؤلاء الطواغيت ، فكيف وقد استتبع تلك الوثبة الباهرة عدداً من الإصلاحات التي طالما تخيلها المؤمنون ، وتطلعوا إلى أطيافها من خلال الآلام والأحلام .

فالعملاق الذي كان حتى أمس القريب ينوء تحت أثقال الصهيونية الضاربة قد تمطى فجأة فقذف بذلك الطفيلي بعيداً بعيداً ، ولم يكتف بذلك حتى أحل مكانه ممثلي فلسطين العزيزة الطريفة .. وأعلن في الوقت نفسه تحول إيران من بلد تابع يدور في فلك الأعداء إلى حصن الإسلام ، ويشارك في مسئولية المجابهة لأولئك الذين طالما ائتمروا به وتأمرؤا عليه .

ثم جاءت المبشرات ترى .. فالحدود الشرعية تقام علناً على القتلة والفجرة والسرقه ، ولغة القرآن تسترد مكانتها ، التي كان الحكم البهائي الشاهنشاهي يدأب على خلخلتها تمهيداً لإزالتها وحروفها نهائياً من الجامعات والمعاهد والألسنة ، أسوة بطاغية تركية الدوغي ، وبجناية هولنده الصليبية على الرسم القرآني في أندونيسية المظلومة .

حتى الخليج ، الذي أرادته العصبية العرقية وسيلة لتشاحن الأتقاء ، لم تلبث الأصوات الإسلامية الجديدة في إيران أن راحت تنادى بأسلمته فلا هو بالعربي ، ولا هو بالفارسي - كما يريد دعاة الفرقة من الفريقين - بل هو الخليج الإسلامي .. الإسلامي فحسب ، وحتى الجزر الثلاث التي احتلتها العصبية الفارسية بالتواطؤ مع انكلترا سمعنا من أولئك الرواد الإسلاميين من يعلن عزم بلاده على إعادتها لأصحابها .

ولا أحدثك عن تأييد الثورة لكل تحرك إسلامي في العالم يستهدف استرداد الحقوق المغصوبة والكرامة المسلوقة .. وتنديدها الجريء بأعداء الإسلام ، شيوعيين وصليبيين وامبرياليين وصهيونيين ، وأصناف المفسدين في الأرض .

ولا ننسى تلك الصيحة المدوية التي أعلن بها إمام إيران تخلص الثقافة الإسلامية من سموم الغرب ، وإنقاذ البرامج التعليمية من توافه اللغو واللهو ، للذين حلّ المكان الأول ، بل المكان المقدس في حياة الطلاب ، لا في إيران

وجدها بل في معظم ديار المسلمين ، ولقد سبق هذا كله ذلك الانفتاح الرائع الذي بدأ به قائد الثورة معركته الإسلامية أثناء وجوده في باريس ، بل منذ أعلن حركة الجهاد في وجه الطغيان الشاهنشاهي ، وذلك بالخروج من التقية التقليدية إلى الصراحة البطولية ، حيث حدد منطلقاته وأهدافه بأنها الإسلام أولاً وأخيراً ، فلا مساومة ولا مهادنة ، بل الكفاح المتصل حتى يقضى الله بأمره ، فيسقط العرش الداريوسي ، الذي يريد العودة بإيران إلى جاهلية زرادشت وماني وإباحية مزدك ، بعد سلخها من حقيقتها الإسلامية التي غابت عليها القرون .

وبهذه الصراحة الفائقة استجاب الشعب المؤمن لنداء إيمانه ، ومضى يقدم الشهداء موكباً إثر موكب ، حتى حقق الله ما أراد من الظفر المؤزر ، الذي حطم قلاع الاستبداد ، وزلزل الأرض تحت أقدام الظالمين الغافلين عن قوانين الله .

ولعل إحياء الثورة لسنة الجمعة ، التي طال هجر مسلمي الشيعة لها ، عملاً بالاجتهاد القائل بتجميد الجماعة الجامعة حتى يعود الإمام .. لعل هذه المبادرة كانت واحدة من أبرز معالم الانفتاح الجديد ، الذي يبشر بالتقارب العملي بين طوائف أهل الإيمان ، فلا يقل أهمية عن الانتصارات الكبرى التي تحققت للثورة حتى الآن .

ولعمر الله لو ظلت الأمور في طريقها المألوف ضمن حدود التقية وانتظار عودة قائم الزمان ، لما وردت الثورة في خاطر ، فضلاً عن التغير الكبير الذي وفقت إليه .

وأى حاج إلى بيت الله العتيق ، وأى زائر لمدينة رسول الله ﷺ خلال الموسم الأخير ، لم يلمس تلك الظاهرة السارة في سلوك إخوانه الإيرانيين أثناء الصلوات ، حيث جعلوا يندمجون معهم في الصفوف بمنتهى الخشوع والهدوء ، وقد ضاعف سرورهم ذاك ما علموه من أن هؤلاء الإخوة إنما ينفذون وصية الإمام الخميني ، الذي أكد عليهم أن يحافظوا على وحدة المظهر مع بقية المسلمين ، فلا يرفعوا أصواتهم في الحرمين المباركين أثناء الصلاة ، ولا يتخلفوا عن أدائها خلف إمام الجماعة ، وعليهم أن يسحبوا من الاستعمال تلك القطع الفخارية ، التي اعتادوا السجود عليها ، فكانت لهم معلماً يفصلهم عن سائر أهل القبلة ..

● وأنا إذ أعرض لهذه المكاسب الإسلامية التي تمت في إيران الشقيقة حتى الآن لا أقصد إلى الحصر ، فهي أكثر من أن تحصر ، ولكنها نماذج من الحسنات التي شدت قلوب مئات الملايين من مسلمي العالم إليها ، فباتوا يدعون لحمايتها بمزيد من التوفيقات ، ومزيد من الانتصارات ، ثقة منهم بأن كل خير تحزره إنما هو مكسب للإسلام ، ولبنة في بناء المستقبل السعيد لسائر شعوب الإسلام .

● أجل .. ذلك هو بعض ملامح الوجه المشرق في مسيرة الثورة الإسلامية الإيرانية ، ولكن الصورة لن تكون كاملة حتى نستطلع الوجه الآخر من الصحيفة .. فماذا نرى هناك ؟ .

مجموعة عجيبة من التناقضات المتلاحقة لا تكاد تنفذ أو تتوقف ، فأول هذه المفارقات ذلك الصوت الأخير ، الذي بدأ عملية النسخ في نطاق التصريحات الإسلامية المبكرة ، إذ انطلق يرد على الصوت الهاتف بأسلمة الخليج ، فيزعم أن الخليج فارسي أزلاً وأبداً ، فلا مجال لتغيير لافتته على الدهر ! .

وطبيعي أن الخليج لم تتغير خارطته ولا مكانه تحت أى الأسماء ، ولكن العنصرية العمياء أبت إلا أن تقذف بسهمها في وجه الاتجاه الإسلامي لتقطع الطريق على أصحابه .

ومثل ذلك حدث بشأن الجزر الثلاث إذ سرعان ما انطلق ذلك ( الصوت الآخر ) يرد على دعوة الخير بالتأكيد على أن الجزر فارسية لحماً ودماً وهواء .. وغرق الجو في غمرات الصمت .

ثم جاءت الأصوات الناشزة تعلن فارسية البحرين وتنذر باحتلالها ، وأدرك المسئولون في إيران خطر ذلك التهويش ولمسوا آثاره في ما حولهم ، وهنا فقط ارتفع صوت العقل يفند هذه الدعوى البغيضة ، ليؤكد على لسان سفير إيران في الكويت أن ذلك الزاعم لا يمثل شيئاً وبالتالي لا يزن كلامه هبأة !!

وتتبع المسلمون في لهفة أنباء الدستور الإسلامي المنتظر ، وفي أحلام الملايين من مفكرهم أنه سيكون هو النموذج المرموق للدستور الصالح لكل

بلد إسلامي ، وبخاصة بعد الذي اشتهر من العلاقة الوثقى بين المغفور له أئى الأعلى المودودى والإمام الخمينى وبعض الجماعات الإسلامية ، وكلهم ذو تجربة موفقة فى موضوع الصياغة الدستورية على ضوء الكتاب والسنة وتقريرات الأئمة .

وأطل الدستور المرتقب فإذا هو دستور طائفة لا أمة ، وقانون بلد محدود لا يستوعب الحاجة التى يتفاعل بها العالم الإسلامى .

لا شك أن فى ذلك الدستور بوادر رائعة ، ولكن الذين أقروا صياغته نسوا أن الجعفرية ليست هى الإسلام كله - على أحسن الفروض - والأصل فى القانون الأساسى لدولة إسلامية أن يقرر هويتها الدينية ، وأن يؤكد على اعتبار شريعة الإسلام هى المصدر الوحيد لسائر تنظيماتها وأحكامها ، بيد أن مؤلفى دستور إيران غفلوا عن هذه الحقيقة الكبرى ، وأقاموا أصوله على أساس النظرية الشيعية بما فيها من انتظار للإمام الغائب !.. وكان الصواب المقبول فى كل العقول أن يقيدوا أصوله بالإسلام ثم يؤكدوا حق كل طائفة بالتحاكم إلى مذهبها فى أحوالها الخاصة .

ثم يأتى موضوع الأقليات القومية ، وهى من أبرز معالم التركيبة الإيرانية ، ويعلم مصنفو الدستور شدة تشبث أصحابها بمقوماتهم الذاتية ، التى لا يصح إغفالها ، فقد كان من الحكمة أن ينص فى الدستور على احترام هذا الواقع وإعطائهم فرصة تنمية وجودهم فى نطاق الوحدة الشاملة للكيان الإيرانى ، ولو هم فعلوا ذلك لتفادوا هذه النكسات التى تتفجر اليوم فى كل جانب فتز الكيان الجديد كله ، وتمز صورة إيران فى أنحاء العالم .

وننتقل إلى ورطة إيران الصغيرة الكبيرة التى باتت اليوم مشغلة الدنيا بأسرها.. هذا الاحتلال الذى أقدم عليه بعض الطلاب للسفارة الأميركية فى طهران منذ سبعين يوماً .. هل أخذ به رأى الإسلام وهو الذى ينبغى أن يكون الحكم الأوحى فى إيران الثورة ؟!

ذات يوم وفد على رسول الله ﷺ رجلان بكتاب من مسيلمة الكذاب ، فسألهما الرسول عن معتقدهما فأعلنا أنهما يقولان بما يقول الكذاب ، فقال ﷺ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

وعلى هذا السّنن درج خلفاء الإسلام ومضت سنة المسلمين ، فلم نسمع أن رسولا أو سفيراً تعرض لأذى في دار الإسلام ، ولم يرو قط أن سفارة أجنبية اقتحمها مسلمون واحتجزوا موظفيها وهددوا بمحاكمتهم .

نحن لا ننكر حق إيران باستعادة طاغيتها المخلوع ، واسترداد ما سرقه من أموالها ، بل نؤيده ونعتبره حقاً يجب على المحافل الدولية أن تعيده إلى حكومة بلده ، أو تقوم هي بمحاكمته ليكون عبرة لكل باغ في العالم .

إلا أننا ننكر على إيران أن يحدث فيها مثل هذا الانحراف عن حكم الإسلام في معاملة أجنب لم حقوق الضيوف على أهل البلاد ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

فمن المسئول عن هذه اللعبة المشوهة لسمعة الإسلام ؟

وهؤلاء الطلاب .. أحقّاهم من السائرين على منهج الإمام الخميني - كما تصفهم إذاعة طهران يومياً - أم هم خارجون عليه وعلى منهجه ؟!

أما أنا - وكثيرون مثلي - فلا نستطيع التصديق بأن قائداً كبيراً واسع العلم على مستوى الإمام الخميني يمكن أن يرضى بمثل هذا التصرف الأحمق .. والأقرب للمنطق أن يكون هؤلاء الفتيان من أعداء الثورة الإسلامية ، أقحموا اسم الإمام فوضعوه تلقاء واقع يتعذر عليه تجاوزه ، فهو من ناحية يخشى مجابتهم بما يكرهون ، فيقدمون على قتل أسراهم ، ومن ناحية أخرى لا يرى من مصلحة البلد أن يعلن خروجهم عليه فيكون ذلك مدعاة لإضعاف الثقة بالنظام ..

ومما يرجح هذا التصور ذلك التناقض القائم بين هؤلاء الفتية وبين حكومة الإمام ، فبينما نسمع تصريحات المسئولين في هذه الحكومة بقرب الإفراج إذا بنا نفاجأ بنفي هؤلاء ورفضهم لكل تسوية .

وقد صور فالدهايم هذا الواقع أدق تصوير حين أعلن أن إيران اليوم كالحمّام الذي ضاعت طاسه ، فلا تعرف الحاكم فيه من المحكوم ، ولم ينس أن يعبر عن قرحته الكبرى بعودته سالماً من ذلك الجو المحموم .

ولقد كان من بديهيات السياسة لثورة حملت راية الإسلام وسجلت



خوارق الانتصارات ودفعت ثمن ذلك عشرات الآلاف من الشهداء والمشوهين ، أن تنقل خطاها على حذر بالغ سواء في الداخل أو الخارج ، ولن نتحدث عن البلابل الداخلية ، فذلك ما تغنى عن تفصيله إذاعة طهران نفسها ، وثم وكالات العالم التي استغنت عن تضخيم الأحداث بتصوير الواقع كما هو على الطبيعة ، ونكتفى بالقليل عن تحريكها الخارجى ، بل ونقتصر من هذا الجانب على موقفها من جيرانها وذوى قرابتها .

لقد ضاق صدر المسئولين في إيران أن يسمعو بعض ما لا يسرهم من بعض الأقطار العربية ، وبدلاً من أن يقابلوا ذلك الشطط بالتوجيه الربانى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ ( فصلت : ٣٤ ) عمدوا إلى أقصى التطرفات فراحوا يهددون بتصدير الثورة إلى تلك الربوع ، وإقحموا أنفسهم فى أتون الخلافات المحلية ، كما فعلوا فى نعمتهم من المغرب ، إذ وقفوا بجانب أحد الفريقين ، مؤيدين بالحق وبالباطل ، وكموقفهم من الخلاف بين العراق والشام ، إذ ألقوا بثقلهم مع أحد الفريقين دون مسوغ سوى مجرد النكاية ! . . .

ولو أنهم استجابوا لنداء الإسلام بشأن هذه الخصومات الجانبية لكان لهم موقف المصلح ، الذى يقرب بين الأخوين فيعمل على إطفاء النار بدلاً من مضاعفة وقيدها ، ولو هم قد فعلوا لاستحقوا تقدير الجميع وحبهم ، ولحققوا بذلك لثورتهم نصراً جديداً مجيداً .

وأخيراً لا آخراً .. هل سمعت أيها القارئ بمؤتمر حركات التحرير ( العالمية ) التى تحتل مكانها اليوم ضيفاً كريماً فى فندق القدس بطهران !!! .

لقد نسيت إيران العزيزة أعباءها المرهقة كلها ، من حصار عسكرى اقتصادى وانفجارات ثورية لا تكاد تخمد ، وطوت كشحاً عن حملات الإرهاب التى ذهبت حتى اليوم بعدد من خيرة قادتها بأيذى من لا يتورعون عن إحراق إيران كلها إذا وجدوا الفرصة المواتية .

أجل .. لقد نسى قادة إيران الثورة بكل هذه المتواليات الهدامة ، وانصرفوا إلى معالجة فتوق الآخرين ، بل افتعال المناسبات لإثارة الغبار فى وجوه إخوانهم الأقربين ، فراحوا يشحنون الفضاء تنديداً بهم وتحريضاً عليهم ، كأنهم

سأحهم الله وهداهم - قد فرغوا من مشكلاتهم الخاصة ، فلم يبق عليهم إلا أن يعكروا على هؤلاء الإخوة نعمة الأمن ، ليستجروهم إلى مثل البلبلة التي يعانونها في محنتهم الكبيرة ! .

على أن من غرائب التناقضات في هذه المناسبات أن يرفع الطلاب الداعون إلى ذلك المؤتمر لافتة التضامن مع المعتدين على حرمت البيت العتيق المطهر .. وقد نسي أصحاب اللافتة أنهم بمزاعمهم الوهمية إنما يكذبون حكومتهم التي كانت في مقدمة المستنكرين لتلك الجريمة ، ويؤكدون في الوقت نفسه أنهم يطبقون بهذا السلوك المعوج المبدأ الماركسي القائل : ( اكذب واكذب واكذب حتى تجد من يصدقك ) والحق يقال إن هؤلاء قد تجاوزوا حتى طرائق الماركسيين بما تبناه من أضاليل السامعين في أنحاء العالم .

وإني لأكتب هذه الأسطر وفي سمعي أثر من صراخ ذلك المهرج ، الذي قدمته إذاعة طهران مساء الجمعة ٢٣/٢/١٤٠٠ هـ ليقول : إن زحفاً ضم عشرة آلاف من سكان جدة قد خرجوا في مظاهرة ضد الحكم السعودي ! . وطبيعي أن الذي جرأ هذا المهذار على قذف أكذوبته هذه يقينه أن أحداً لن يرد عليه .. بيد أن المؤسف حقاً هو أن إفساح المجال لمثل هذا الدجل في إذاعة ، طالما سمعنا منها الكلام الطيب ، قد شوه سمعتها إلى حد بعيد جداً . فلحساب من لیت شعری تحاك هذه الدسائس ؟! وهل يتفق هذا مع أخوة الإسلام التي يستظلون بشعاراتها !! .

● لعل ثلاث سنوات أو أكثر قد مررن حتى الآن على كتابة هذه الصفحات ونشرها في بعض الصحف ، ولما أخذت في إعداد هذه الخواطر للنشر في كتاب مستقل وجدت فيها قصوراً عن استيعاب الأحداث ، التي تلت المآخذ التي سجلتها على رجال الثورة وطلابها .

فنحن الآن تلقاء حرب فاجعة بين العراق وإيران دخلت عامها الثالث<sup>(١)</sup> وقد تركت في قلوب المسلمين ندوباً لا تكف عن التزيف .. وفي كل صباح ومساء تفاجئهم نبأ عشرات ومئات وأحياناً آلاف الضحايا ، يسقطون صرعى من الجانبين ، والغانم في كل هذه النكبات هم تجار السلاح من ملاحدة البشوية وطواغيت الصهيونية والصليبية .. وسماستهم .

(١) وشاء الله ألا ينشر هذا الكتاب إلا بعد أن ضرت هذه الحرب في عامها الثامن .

ولا أريد الخوض في حديث هذه الحرب التي كانت ولا تزال منذ يومها الأول مُبْهَجَةً للشيطان مسخطة للرحمن ، لم يرد بها إلا أن تكون كمسجد الضرار إرصاداً لمن حارب الله ورسوله .

ولكنني أرى الوقوف قليلاً على واحد من أحداث ما بعد المقال هو - على صغره - كبير الدلالة على انحراف الثورة الإيرانية عن مسارها العقلاني .

إنه ذلك ( الحج ) الغوغائي الذي شهدته الحرمان خلال العام الفائت والسابق .. حيث حاول أتباع الثورة المنحرفة الخروج في تظاهرات تصرف الحجيج عن مشاغلهم الروحية بالهتاف بحياة فلان وبسقوط فلان وعلان .. وأنت لا يسعك أن تتصور المخاطر التي كانت متوقعة الحدوث لو ترك هؤلاء الإخوة الغافلين أن ينطلقوا وراء الخطة التي يرمى إليها محركوهم وموجهوهم .

أجل والله إنها لفتنة خطيرة لو أهملت لآتت من العواقب الوخيمة ما لم يجز في حساب ، ولكان بعض هذه العواقب تخريب مقاصد الحج ، الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، يخلون به إلى مناجاة ربهم ، ويتطهرون من ذنوبهم حتى يعود كل منهم كما ولدته أمه (١)

ليت قادة هذا التخطيط أنعموا الفكر في قول ربهم تبارك اسمه : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ... ﴾ وأي جدال أسوأ من أن تشهد الآلاف من هؤلاء يتجمعون على أنفسهم ليمثلوا الفضاء صراخاً بسب هذا ومدح ذاك وتسفيه ذلك ، فيبلبون على المستغرقين في الضراعة إلى مولاهم نواياهم ، ويششتون من خواطرهم ما تكلفوا أكبر المشاق ، وبذلوا نفائس الأموال في سبيل تركيزه .. وقد نسوا - أذكركم الله - أن من أوليات آداب الإسلام توقير هدوء العابد ، فلا تشوش عليه عبادته ، لئلا تنقطع صلته بالمعاني التي يجب أن يفرغ لها .

ولعمر الحق لقد أساء هؤلاء الإخوة إلى حقائق الإسلام ، بتصرفاتهم الشاذة هذه ، وقبل ذلك شوهوا وجهه الجميل بأعاصير الفوضى ، التي جللوا بها وطنهم المتعطش للنظام والاطمئنان ، فشحنوه بالفتك والتقاتل ، وأغرقوه

(١) وتأتى حماقة الغوغاء إلا بأن تحقق ما توقعناه من تخريبها لمعاني الحج بما اقترفته من الجرائم في مكة المكرمة أثناء الموسم الماضي ١٤٠٧ هـ

بدماء عشرات الآلاف من ضحايا الفوضى في الداخل وإعلان الحرب على سائر دول العالم المتمرن في الخارج ، بما أحدثوه من بدع العدوان على موظفين أجنب كفلت لهم شرائع السماء والأرض حق الحماية والأمن ، فأبوا إلا تجريدهم من كل أثر للحماية والأمن .. فأعطوا بذلك أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين والمتعصبين سلاحاً جديداً لإقناع المغفلين بأن نظام الحكم الإسلامي لا يختلف في شيء عن هذه الفجائع التي تعانيها إيران في ظل مشايخها الثوريين !...

ولعل لا أبالغ إذا زعمت أن ما يقاسيه شباب الإسلام هذه الأيام في ظل طواغيت الحكام من تعذيب وتقتيل وتشريد ، وقذف بأنواع التهم المنفرة ، متأثر إلى حد بعيد بموجات الثورة الإيرانية ، إذ أصبح هؤلاء المتسلطون على قناعة بأن الدعوة إلى تطبيق شريعة الله في بلادهم إنما هي دعوة لذلك الضرب من التعصب ، الذي تعيشه اليوم شعوب إيران على اختلاف أوضاعها ومشاربها .

وهكذا انتهت أساليب الحكم التي أعقبت خلع الشاه أخيراً إلى أن تصبح خطراً على الإسلام نفسه ، في حين أن أصحابها لا يفثون ينسبون كل خطيئاتهم إلى نظام الإسلام !..

... ..

وبعد فإني والله لأكتب هذه الأسطر وفي قلبي لاذع الأسى على أولئك الإخوة الذين شرعوا يتخبطون في مجاهل توشك أن تقصيمهم عن المنطلق المشرق الذي بدؤوه أول مرة .

وإنه لمن حق إيران العزيزة على كل مسلم سبق أن هتف لها من كل قلبه ، وتضرع بالدعاء لقائدها بكل جوارحه ، أن يقف اليوم ليتساءل في غصة محرقة : إلى أين يا إيران العزيزة.. إلى أين ؟ .

أقال الله عثرتك ، وسدد خطاك إلى سواء السبيل ، وأسبغ عليك من نعمة الأمن والعافية والاستقرار مثل الذي ننعم به نحن في هذه الديار .

إنه سبحانه خير مسئول وهو جسبنا ونعم الوكيل ...

# حقوق الإنسان في الإسلام

بين مزاعم الحكام وشرعة القرآن

بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على الإعلان الدولي لحقوق الإنسان تحدث الرئيس الأميركي عن موقف بلاده من هذه القضية مؤكداً أن ( حقوق الإنسان ) تؤلف جوهر السياسة الأميركية الخارجية ، وقد أعادت إذاعة (صوت أميركة) وغيرها هذه الفقرة من خطاب الرئيس أكثر من مرة في أكثر من فترة إذاعية ، ومثل هذه الفقرة ينطلق بها رئيس أميركي من حقها أن تستوقف كل مفكر يعنى بأحداث العالم ، ويتابع مواقف الدول والشعوب ، ومجاري السياسة العالمية ، وإذا كان هذا شأن المفكر أياً كانت هويته ، فهو أكثر إثارة للمفكر المسلم . لما يرى من المفارقات العجيبة بين الكلام عن حقوق الإنسان وبين الواقع الذي يعانيه الإنسان من أصحاب هذا الكلام .

لقد مرت البشرية خلال التاريخ بالكثير من أحقاب الشقاء ، فقد الإنسان أثناءها قدرة الرؤية ، فراححت تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، إذ قضى عليها أن تمارس لعبة الموت ويسير بعضها على أشلاء بعض ، دون أن يكون لها في ذلك أى مصلحة أو رأى ، ولكنها إرادة الطواغيت الذين استحوذوا على أزمته ، فلم يدعوا لها فترة للتنفس ، بل مضوا يستاقونها بالسياط إلى حيث تبني لهم جماجمها أقواس النصر منقوشة بأزاميل المعذبين وتمائيل المجد الكاذب منحوتة بأضافر المستعبدين المذللين .

ويتخايل إلى وأنا في غمار هذه الصورة الدامية من ماضي الإنسان ، أنها لا تزال هي التي تتحكم في حياته ، وإن اختلفت ألقاب السفاحين الذين ينيخون على صدره في كل مكان .

إن مجرد ( إعلان حقوق الإنسان ) في العصر الحديث شاهد صارخ على أن هذه الحقوق لم تكن شيئاً مذكوراً عند طواغيته ، فهم يريدون استحداثها للتخفيف أو لإيهام التخفيف من أعباء الشقاء الذي تعانيه الإنسانية تحت

كواييسهم .. وقد فاتهم أن حقوق الإنسان أكبر من أن تكون منحة يتصدق بها ( الطغاة ) بل هي قيمة أساسية خلقت معه منذ أن أخرجه الله من عالم العدم إلى نطاق الوجود ، ثم لم يهبطه إلى هذا الكوكب إلا بعد أن أسجد له ملائكته ، تكريماً لنوعه ، وتفضيلاً له على سائر مخلوقاته الأرضية .. ولو استقام هذا الإنسان في الطريق الذي خطّه له خالقه لما وجد إنسان نفسه في حاجة إلى من يلوّح له بهذا الحق ، ولكن الشيطان الذي أعلن منذ ذلك اليوم ملاحقة الجنس البشرى بالإفساد والتضليل ، قد استطاع أن يضرب بين الإخوة فإذا هم بين ظالم ومظلوم ، وقاتل ومقتول .. وهكذا استحالت الحياة التي ينبغي أن تكون جنة من المودة والرحمة ، حلبة صراع لا يثبت فيها إلا المتفوق في القوة والمكر وفنون التخريب ، ثم استحالت اللغة نفسها على ألسنة البغاة أداة للتزوير ، فهم بها يسمون الأشياء بأضدادها ، فالعبودية التي يفرضونها على الشعوب هي هي الحرية المفضّلة ، والتعاون بينهم على استنزاف طاقات محكوميتهم هي هي الحقوق التي يجب أن يصفقوا لها ، وقيموا الحفلات لذكرها .. ولو هم صدقوا العمل ، وآمنوا بخالق الإنسان الذي سواه وعدله وكرمه ، لو سعه أن يعيدوا إليه الكثير من حقيقته التي سلبها الطواغيت ، ومسختها المناهج المفسدة التي يسوسون بها الشعوب ، وإذن لاسترد هذا الإنسان إيمانه بخالقه ، ومن ثم إيمانه بنفسه وبرسالته التي هي تحقيق ملكوت الله في الكون .. ليس فقط في نطاق السيادة على عالم المادة بل على نطاق الحياة بأكملها ، بكل ما في الحياة من حاجة إلى البر والعدالة والأخوة ، حتى يكون ( المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام ) .

● ولنعد إلى مناقشة الرئيس الأميركي في زعمه الكبير بأن توكيد حقوق الإنسان هو جوهر السياسة الأميركية .. وحبذا لو أتيح لنا أن نصل إلى سمعه لنقول له : في وسع كل رئيس أن يردد مثل هذا القول ، ولكنه قول سيظل يعوزه التجسيد حتى يحققه العمل ، وما دام عمله يباين ادعاءه ، فلن يجد من يصدقه ، بل إن سامعه سيزداد شكاً في جدية هذا الضرب من التضريحات التي لا تغير من الواقع شيئاً .

لقد خاضت أميركتكم يا سيادة الرئيس عدداً من الحروب خلال هذا القرن ، وفي كل حرب كان هذا الزعم الكبير هو الشعار الذهبي الذي ترفعه

جيوشها ، حتى إذا انجلت الحرب لمصلحتها نسيت ما كانت تزعمه ، واكتفت بمحاولة توجيه المسيرة البشرية في خدمتها وحدها ، ولو هلك العالم كله ، وهل أنا بحاجة إلى تذكيركم بهيروشيما وناجاساكي ، اللتين جعلتم منهما مخبراً فنياً لتجارب علمائكم في مدى قدرتهم على التدمير .. فكانت حصيلة التجربة مئات ألوف الضحايا ممن لا ناقة له ولا جمل في ميادين القتال .. ومع ذلك فلم تسمع البشرية كلمة تعزية من أى رئيس أميركى في هذه الكارثة العالمية .. فليت شعري .. أين كانت حقوق الإنسان من سياسة أميركة يومئذ ... ؟ أم أنكم لا تعتبرون المخلوق إنساناً إن لم يكن أميركياً أو يهودياً ؟! ..

ثم جاءت مجازر كمبودية وفيتنام ولاوس وأخواتها اللاتي أحلتم بهن الأرض بحاراً من الدماء .. ولما رأيتم مصلحة أميركة في مغادرتها تركتم شعوبها للجزارين الحمر يصفونها على الطريقة الماركسية ، التي تعتبر الرحمة أبشع ألوان الضعف ، دون أن تعتذروا ولو بكلمة واحدة لهذه الملايين من القرابين .. فأين كانت مبادئ أميركة في احترام حقوق الإنسان ؟ .. أم أن هؤلاء بنظر السياسة الأميركية من غير نوع الإنسان الذي يستحق الاحترام أو الإحسان ؟ ..

ويا سيادة الرئيس .. لعلكم لم تنسوا بعد جريمة أميركة التاريخية في اقتلاع ملايين العرب من الأرض التي جبل ترابها من أشلاء آبائهم وأجدادهم . منذ عهود العرب الكنعانيين قبل آلاف السنين .. لتزرعوا مكانهم عصائب الشذاذ ، الذين ضاقت بمفاسدهم أكناف الأرض ، ثم ما زلتم بهذه العصائب تسميناً وتعزيراً وإغراء حتى جعلتم منها غابة من الضواري ، لا يشبع نهمها شيء مثل البغي والعدوان على حقوق الإنسان .. فقل لى بالله كيف غابت عن أميركة يومئذ فكرة الإنسانية .. ؟ فوقفت بجانب الغاصبين ، ولم تكتف حتى نصبت منهم دولة تهدد الأمن وتروع الآمنين .. ثم مضت تستغل كل مناسبة لتضخمها بآلاف الملايين ، ولتسليحها بأحدث ما اكتشفه الفكر الإبليسى من وسائل التدمير والتتير والتحكمين .. حتى هذه الصرخات الجديدة التي تواجهون بها العالم في المؤتمرات الدولية ، والمناسبات القومية حول ( حقوق الإنسان ) لا تكاد تسمع إلا حين يكون الأمر متعلقاً باليهود ، فأنتم من أجلهم تساوون روسية حتى على الخنطة وتحديد الأسلحة ، فلا تجيئون لها مطلباً إلا بمقدار ما تفتح لهم من أبواب الهجرة لتكثير سواد القتلة في فلسطين السليبية .

ثم ها أنتم هؤلاء تشهدون اليوم عدوان صنيعتكم هذه على بقية أهلها بالقتل والتشريد ، واجتياح المقدسات ، واغتصاب الأرض ، لإقامة المستوطنات المنذرة بزوال الجنس العربى من فلسطين .. حتى إذا تحرك الضمير البشرى باستنكار هاتيك الجرائم فى مجلس الأمن لجأتم إلى قذائف النقض - الفيتو - فأبطلتم مفعول الإستنكار ، دون أن تأخذكم هزة الحياء ، إذ تقفون وحدكم إلى جانب المعتدين بوجه العالم كله .. وقد نسيتم شعاراتكم التى تبجحون بها فى كل مناسبة تستدعى الكلام عن حقوق الإنسان !..

وها هى ذى بورمة البوذية الشيوعية تجتاح ديار المسلمين ، وتفتك بجمعهم لتقذف ببقاياهم إلى بنغلادش المختنقة بسكانها ...

وغير بعيد من بورمة مذابح المسلمين فى جزر الفيليبين ، حيث تغتال العصبية الصليبية حشودهم فى بيوت الله ، وتجليهم عن منازلهم وأراضيهم ، دونما ذنب سوى تشبثهم بهويتهم الإسلامية ...

ولطالما لقى إخوانهم مسلمو الهند من أمثال تلك المجازر بأيدى عتاة الهندوس ، حيث تحرق المئات من قراهم ، ويباد الألو ف من أبريائهم حتى الأطفال والنساء ، وما أحسبك بناس بعد مذابح الأوغادين ، التى دفعتهم بها لقمة سائغة لدبابات منغستو تسحق العزل من سكانها المسلمين ، فتطمس معالم الديار ، وتمزق أشلاء الكبار والصغار .. إلى جانب مذابحه الأخرى فى ربوع الأتريرية حيث ترحف قوى الشيوعية الدولية لتدمر فيها بقايا الحياة .

وكل ذلك على مرأى ومسمع من أهل الأرض .. ومع ذلك لا يذكر أحد أن رئيساً أو كبيراً فى أميركة رفع صوتاً ، أو أطلق كلمة فى الاحتجاج على الظالمين أو الانتصار للمظلومين ...

فأين كانت رحمة أميركة بالإنسان ؟.. أم أن هؤلاء وأولئك من غير الجنس الذى تطلقون عليه اسم الإنسان ؟!..

وهل أنا بحاجة إلى تذكيركم يا سيادة الرئيس بذلك البلد العربى العريق ، الذى صبت عليه صواعق المهلكات من الجو والبر فأحاله مقبرة كبيرة ينطوى تحت أنقاضه الآلاف من الرجال والنساء والأطفال .. وذلك على مسمع من الدنيا كلها ، وعلى مشهد من أجهزتكم الفضائية ، التى بلغت من الدقة أن ( تصور كرة لا يتجاوز قطرها أربعة سنتيمترات عن ارتفاع ستة عشر ألف متر ) ومع ذلك لم تجدوا فى هذه المأساة العالمية ما يستحق منكم كلمة



إشفاق ، أنتم الذين أقمتم الدنيا ولم تقعدوها انتصاراً للكلبة ( لا يكا ) أن تنتهك  
الحكومة السوفياتية حقوقها بإرسالها إلى الفضاء في تجربة علمية !..

أفكانت دماء آلاف المسلمين أرخص في معياركم ( البراغمي ) من انزعاج  
كلبة ؟ .. أم هو المنطق الخاص الذي يسقط من حقوق الإنسان كل آدمي  
ينتمي إلى عالم الإسلام !!..

الحق يا سيادة الرئيس أنى عاجز عن ملاحقة مواقفكم المتضاربة في هذا  
الموضوع ، الذى أطلتم وأطنبتم فى الحديث عنه ، لتوهمو العالم أن أميركة هى  
الحامية لكرامة الإنسان دون منازع .. فى حين تكشف الصحف الأميركية عن  
ضروب المؤامرات الأميركية على حقوق الشعوب ، سواء عن طريق الرشاوى  
التي تشتري بها الحكام ، أو عن طريق المخابرات المركزية التي تقف وراء كل  
انقلاب يراد به فرض العملاء البغاة على الشعوب التي تتطلع إلى الحرية  
والحياة .. وماذا أقول يا سيادة الرئيس عن ( المعونات ) التي ( تبرعون ) بها  
سنوياً لغوث البلاد المتخلفة .. بعد أن أعلنت مراكز القوى في أميركة أنها  
ليست سوى ( طعوم ) لاصطياد المحتاجين ، فليس لمعارض سيادتكم الدولية  
واليهودية حظ في أى شيء منها .

لقد ظل هدف هذه ( المعونات ) سراً مستوراً حتى كشفه الكونغرس  
الذى قرر أن ليس لحكومة أى نصيب فيها إن لم تدفع ثمنها من كرامتها وحقوق  
رعاياها !.. وهكذا اتضح لكل ذى عين أن معونتك ليست سوى وسيلة  
لإخضاع الدول التي قضى عليها أن تكون في صفوف المتخلفين .

وما أظنكم تنسون موقف مندوب ( تاهيتي ) في هيئة الأمم عام ١٩٤٨  
يوم حشدتم العملاء لتقرير التقسيم الظالم ، فأبى عليه ضميره أن يشارك حكومة  
( ترومان ) في هذه الجريمة ، وأعلن موقفه بجانب الحق العربى ، إلا أن عاتق  
( تاهيتي ) الضعيف لم يستطع الصمود أمام الضغط الأمريكى أو الإغراء  
الأميركى ، فأصدرت أمرها إلى مندوبها بوجوب التصويت لصالح الغاصبين ،  
فلم يسعه إلا الخضوع وأدلى بصوته في طاعة أميركة وهو يعلن احتجاجه عليها  
بدموعه النبيلة ...

يا سيادة الرئيس : من حقلك أن ترد على هذه التساؤلات بحجة أنك

لم تشارك عملياً في معظم هذه الجرائم ، لأن أكثرها إما سابق على عهدك ، أو مفروض عليك بقوة الاستمرار ، ولكن ما تعليلك لموقفك الراهن من موضوع القنبلة النيوترونية ، التي يعتبر تبنيك لها من ثمار رئاستك وحدها في هذه الأيام ؟... .

لقد أعلنت دوائركم في مختلف المناسبات أن قبيلتكم هذه فاقت كل ما تقدمها من أدوات الفتك .. وأن أبرز مميزاتها كونها تقتل الأحياء وحدهم دون أن تمس الأبنية بأي سوء ..

فأى قيمة بعد هذا لكل ادعاء يريد أن يوهم الأغبياء بأنكم تقيمون أى وزن للإنسان !. إنها لمعادلة تفوق كل عجائب العقلية ( البراغماتيزمية ) إذ تجعل الحجر أحق بالرحمة من البشرية !.. ولعمر الحق .. لقد بات أفضل من ادعائكم الانتصار لحقوق الإنسان أن ترفعوا شعاراً جديداً آخر أليق بعصر النيوترون ، هو : ( المادة أولاً وآخراً ) .. وألاً حق في البقاء لإنسان إلا إذا كان من اليهود أو الأميركيين ! .

يا سيادة الرئيس : لقد أفسدت المكيافيلية الغربية عقلية البشر حتى استساغت تسمية الأشياء بأضدادها ، وحتى بات مثل هذا النقاش الذى أواجهك به من غرائب الوقائع في مقاييسها الزائفة ، ولكن استغرابك قمين بأن يزول عندما تعلم أنني أناقشك بمنطق الإسلام الذى استعصى على ميكافيلية الغرب وشيوعية الشرق جميعاً ، فبضوئه نرى ، وبمعايره نحكم ، وبذلك نرتفع على التضليل الذى يفرض نفسه اليوم على معظم البشر ، فنقرر أنكم ومن وراءكم من ورثاء الميكافيلية والماركسية إنما تهزءون بعقول الناس حين تنسبون إلى أنفسكم وأممكم فضيلة الإيمان بكرامة الإنسان . ذلك لأننا نحن المسلمين الأمة الوحيدة التى حملت ولا تزال تحمل للبشرية دعوة السماء إلى احترام الإنسان انطلاقاً من إيماننا الراسخ بقول خالق الإنسان : ﴿ ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

فقضية ( حقوق الإنسان ) التى ترتبط عندكم بالمصلحة المتقلبة ، هى بالنسبة إلينا نحن المسلمين قضية لا تقبل التغيير ولا التبديل ، وأمامكم شواهد

التاريخ فاستنطقوها تؤكد لكم أننا لم نعرف على مر القرون مثل الاستعمار الذى لوئتم به ضمائر البشرية ، ولا مثل التمييز العنصرى الذى مزقتم به أرحام الإنسانية ... ولا جرم ولا غرابة .. فأنتم تنظرون بعين المادة الصماء إلى كل شىء من هذه الحياة ، ونحن ننظر إلى الكون كله بنور الله .. وشتان بين النظرتين . ولعلك أخيراً يا سيادة الرئيس قد قرأت شيئاً عن أسلاف المسلمين وأصغيت ذات يوم لتلك الصيحة العمرية التى لا تبرح تُدوى فى مسامع العالمين : ( متى استعبدتم الناس .. وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ) .

### تذيل :

ولقد شاء الله جلت حكمته أن يتأخر موعد هذا العدد من ( مجلة الجامعة الإسلامية ) حتى نشهد هجمة العدوان الجديد ، الذى سجلت به لقيطتكم - إسرائيل - قمة الهمجية التى توشك أن تمحو من ذاكرة التاريخ أسماء جنكيز وهولاكو وتيمورلنك ، وأشباههم من أعداء الإنسانية فى القديم والحديث .

وإني لأكتب هذا التذيل العجلان فى غمرة من أنباء التدمير المبير ، الذى تنشره أسلحتكم الشيطانية على امتداد لبنان بعامة ، وفى أحياء المسلمين من بيروت الغربية بخاصة ، حيث يدكُ المجرمون من حلفائكم عديد المستشفيات على أجساد نزلائها من المرضى والأطباء وآلاف المنازل الآمنة على رؤوس المئات من ضحاياها البرآء .. وقد قطعوا الماء وموارد الغذاء والضياء عن كل مكان من ذلك البلد المنكوب ، كى لا يدعوا لأهله موضعاً للأمل بالبقاء .. وكل ذلك على مرأى ومسمع منكم يا سيادة الرئيس ، دون أن يحرك فيكم ساكناً ، أو يطلق لسانكم بكلمة حاسمة تقف وحوش الغاب عن اندفاعها المجنون .. هذا مع يقينكم التام بأن أولئك السفاحين ما كانوا ليقدموا على جرائمهم الجهنمية لولا ثقتهم بتأييدكم المطلق ، سواء فى مجلس الأمن ، الذى تنسفون كل مقرراته المنصفة بقذائف النقض ، أو فى فنون الهلاك من المبيدات العنقودية والانشطارية والفوسفورية والفراغية ، التى تمدون بها أولئك السفاكين للإجهاز على بقية الأبرياء والمساكين ...

ولم كل هذا الإجرام بحق الإنسانية ، التى تنادون بوجوب الحفاظ على حقوقها ؟!

ستقولون حتماً : إنه حق إسرائيل في الأمن على حدودها من غارات الفلسطينيين ...

ولكن .. هل بلغ تحجر الضمير الأميركي إلى حد أن يتناسى حق هؤلاء المشردين في الدفاع عن وجودهم ؟! .

هل بلغ الفساد في ذلك الضمير إلى حد ألا يفرق بين ظالم زحف بقضه وقضيضه من مختلف أرجاء العالم ، يقتلع شعباً من وطن ورثه عن عشرات الأجيال من آبائه ، وبين هذا الشعب المظلوم الذي اغتصب القتلة وأنصارهم أرضه ودياره ، فبات شريداً في المجاهل ، حتى لم يجد مناصاً من اللجوء إلى السلاح للدفاع عن حقه في الحياة ؟! .

وليت أصحاب هذا الضمير المتحجر قد اكتفوا بالسكوت عن الظالم ، والتصام عن المظلوم ، فلم يزودوا القاتل الغاصب بالعون على ضحيته ، ولكنهم أبوا إلا أن يرفدوه بكل أسباب القوة ، التي تمكنه من القضاء عليها ، ولو أدى ذلك إلى تحويل معالم الحضارة إلى مقابر يُغَيَّب تحت أنقاضها آلاف الأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء .

فيالها محنة جنيت بها على ثقة الإنسان بنوعه !..  
ولكن .. رب محنة أعقبتها منحة ...

وحسب هذه المحنة العالمية أنها حرّكت مشاعر الغافلين المأخوذين بمذّعياتكم نحو حقوق الإنسان ، فإذا هم يشهدون ما وراءها من مخاز تشمئز من فظائعها حتى أنفس الحيوان ! .

ولا جرم سيكون لذلك أثره البعيد في تاريخ أميركة كله ، وفي موقف الضمير الإنساني المستيقظ من صنيعتها ، التي أزالَت بوحشيتها الضارية آخر الستور عن وجهها الكالح الكريه .

﴿ وإن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

# لَا نَصْرَ وَلَا سَلَامَ إِلَّا تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ

١ - في الأسبوع الفائت سجل التاريخ حدثين على جانب من الأهمية وعلى الرغم من انتقاء الصلة بينهما ، فإن المفكر المتأمل في خلفياتهم لابد أن يلحظ بعض التشابه بينهما ولو من بعيد .

أما أول الحدثين فالانتخابات البرلمانية التي جرت في روديسية ، فكانت - على اختلاف الآراء فيها - واحدة من الظواهر الحاسمة في حياة الاستعمار الغربى ، إذ اضطر إلى تصفية وجوده نهائياً ، فأقلع عن تشبثه بأسطورة التفوق العنصرى ، ورضى أن يسلم زمام السلطة إلى أصحابها الشرعيين من الأفارقة ، الذين طال تنكيله بهم ، وإزدراؤه للونهم ، فهو بدأ من ظهور نتائج الانتخابات قد خلع عن نفسه بزة الغازى المنتهب ، ليعيش مع القوم بصورة أقلية تسهم في بناء البلاد ، وتمتع بأصول الحقوق الإنسانية التى طالما ناضل لحرمان أهلها منها .

وأما ثانى الحدثين فيبرز على استحياء في تبادل نسخ المعاهدة المعقودة باسم السلام ، بين حكام مصر ورؤوس العصائب الصهيونية التى فرضت أميركة سلطانها على مسرى رسول الله ﷺ .

إن القدر المشترك بين الحدثين هو القصد إلى التسوية السلمية في ظاهر الأمر ، فعن طريق هذه الانتخابات ضمن زعيم البيض لقومه حق المواطنة في روديسية ولو من الدرجة الثانية ، وبموجب تلك المعاهدة أحرزت إسرائيل اعتراف أكبر دولة عربية في محيط الوطن الإسلامى بحقها في البقاء وإسباغ الشرعية على جريمتها في اغتصاب الأرض المباركة بصفتها ملكاً ثابتاً لها إلى الأبد ، وليس هذا قط بل أعطتها حق الانتشار في وادى النيل وما جاوره وضلع معه في تثبيت هذه الصفقة ، لتثبيت مخابها في اقتصاده ، وتدمير ما استبقاه الإسلام في شعوبه من حصانة خلقية حفظت له حتى اليوم هويته الإسلامية في وجه السيول الدافقة من الفتن والخن .. هذا فضلاً عن الأمن الذى

جاءها عفواً بتعطيل العسكرية المصرية التي تحسب لها ألف حساب ، وبذلك أطلقت يد إسرائيل في الجيوب المتبقية من القوى المعادية لها ، سواء في المقاومة الفلسطينية أو في مناطق المواجهة .

أما الجانب المشارك في المعاهدة فحسبه من فوائد الصفقة تلك الوعود الأمريكية المعسولة ، التي وقفت عند حدود المعونة بالمال ، الذي سيحيل تراب مصر ذهباً ، ومياهها عسلاً ، وبالسلاح الذي يمكنها من القيام بدور الحارس الأمين لمصالح أمريكية وصنيعتها في أرجاء ما يسمونه بالشرق الأوسط ! .

٢ - قلت ان القدر المشترك بين الحداثين هو القصد إلى التسوية السلمية ، وهي التي حققتها مساعي ايان سميث بنجاح عن طريق الخضوع لحكم الأكثرية .. فلنتساءل الآن : إلى أى مدى حققت المعاهدة أو اقتربت من نطاق التسوية المنشودة ؟!

وقبل الجواب لابد من تحديد مفهوم التسوية السلمية ، التي يتحدث عنها طرفا العقد ..

إن البحث عن مثل هذه التسوية يعنى أن ثمة خلافاً يهدد باندفاع الحرب بين الفريقين ، فيكون اللجوء إلى التسوية من العلاج الصحيح ، وفي أحداث التاريخ قديماً وحديثاً ما يؤكد أن كل تسوية لا ترد الحق إلى صاحبه لن تكون إلا هدنة على دخن ، سرعان ما تنقض عند أول احتكاك .

وقد رأينا تسوية الخلاف في روديسية قد انطلقت في طريقها الصحيح ، فردت الحق المغصوب إلى أهله ، ورضيت بالتراجع إلى المحل الذي قرره ممثلو الأكثرية .. وهو وضع لا خلاف عليه أصلاً بين المتنازعين من أصحاب الحق .. ولا غرابة أن يستمر ما التزمت الأقلية البيضاء سبيل التعاون المخلص لمصلحة البلاد .

أما تسوية السادات بيجن فلا تعدو أن تكون إقراراً للص بامتلاك المنزل المغتصب ، ولو أن مثل هذا الوضع المقلوب قد حدث في روديسية مثلاً لما كان له أن يقيد أحداً سوى الموقعين على التسوية ، ولكان من حقه أن يصعد من حركة النضال ضد الخائنين والغاصبين ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

والعجيب أن يجد مثل هذا المنطق المنكوس أنصاراً له في مصر وخارجها ، فتسمعهم يجادلونك به في مثل قولهم : « أليس الله هو الذى يقول : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ... ﴾ ! .. ولو اقتصر هذا الحجاج على الجهلاء لأمكن تجاهله ، ولكن الغريب أن يجرى على السنة بعض الشيوخ الذين يدرّسون الحلال والحرام من الأزهريين ، وقد نسوا أو تناسوا أن جنوح الظالم إلى السلم يقتضى ردّ المظلمة إلى أهلها أولاً .. أما مع الإصرار على الظلم فذلك شأن المجرم الذى يخطف ولديك بقوة السلاح ، ثم يقول لك : لقد غفرت لك معارضتك لى ، فلنقتسم الولدين ، ولنكن أصدقاء !!! .

على أن أعجب من هذا وذاك أن يتطور مفهوم ( التسوية العادلة ) حتى يقف اليوم - على السنة الكثيرة من الحكام - عند حدود استرجاع القدس الشرقية والتخلي عن الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وكأنهم قد ألفوا الواقع المذل حتى أنساهم الحقيقة الكبيرة ، وهى أن فلسطين أرض الإسلام لا ملك الحكام ، فليس لواحد أياً كان شأنه أن يساوم على ذرة من ترابها ، فإن لم يجدوا فى أنفسهم القدرة على استخلاصها فلا أقل من أن يرفضوا الخضوع للأمر الواقع ، وليصبروا وليصابروا حتى يأتى الله بالفتح أو بأمر من عنده .

٣ - إن فى معضلة فلسطين خطيئتين كبيرتين ، كبيرتين إلى حد أن لا يعذر من يجهلها من أولى البصائر أياً كان دينه ومذهبه الفكرى، ومع ذلك ترى أكبر الجاهلين بهما أكثر الناس انغماساً فيهما .. ويستوى فى ذلك زعماء الصهيونية ، على ما بينهم من وحدة المنطق والهدف ، وقادة الشعوب العربية ، على ما بينهم من تفاوت فى النظر والتصور ..

ولنتأمل فى خطيئة كل من الجانبين على حدة ..

أما طواغيت الصهيونية من أيام هرتزل حتى الساعة فقد حصروا أبصارهم فى حلقة واحدة من التاريخ لا يتعدونها فى كل تصرفاتهم إذ ينظرون إلى قضية فلسطين من خلال الواقع المشاهد للعرب والمسلمين ، فلا يرون فيهم - على كثرتهم وإمكاناتهم - أكثر من غشاء ينتظر دفعة من السيل تحمله فتبعثره .. وقد مكّن لهذا الظن فى نفوسهم تحكمهم فى ميزان السياسة الأمريكية ، حتى لا تستطيع الانفكاك عن طاعتهم .. وقد فاتهم ، وهم فى سكرة الغرور هذه ، أن يلتفتوا إلى أحداث الماضى ليقيسوا عليه الحاضر ،

ثم لينفذوا من ورائهما إلى النتائج التى ستكون وقائع المستقبل .. ولو هم فعلوا ذلك لعلموا يقيناً أنهم باندفاعهم الأحق هذا إنما يسعون بملايينهم العشرين إلى الهاوية التى ستبتلعهم جميعاً .

أجل .. لقد أنساهم الغرور أن إسرائيل التى أقاموها على جماجم المسلمين فى فلسطين ، بتأييد الصليبية العالمية ، والماركسية الأمية ، ليست - مهما كبرت وتكبرت - سوى جزيرة صغيرة مصطنعة فى خضم العالم الإسلامى ، الذى لن يلبث - مهما طال زمن جزره - أن يستعيد حركة المد ، التى ستجرف كل وضع فيه غير طبعى .. ويومئذ لن ينقذها من المصير الحتم سلاح يُصنع فى أمريكا ، ولا مقومات تتدفق عليها من روسية ، لأن أمريكا وروسية نفسيهما لن يجدا من يضمن استمرارهما إلى الأبد فى خريطة العالم ، على النحو الذى يشهده عالم اليوم ، وليس مصير بريطانيا العظمى وتقلصها إلى حجمها الصغير الضعيف ، يبعد عن بصائر الناس وأبصارهم .. ذلك لأن عجلة القدر ماضية فى حركتها ، وليس من قوانينها أن تدع باغياً فى مركز القوة يهدد أمن البشرية دون رادع ..

٤ - ولمْ تُبعدْ فى التمثيل ، وأماننا العبرة الكافية من تاريخ اليهود أنفسهم فى جزيرة العرب ؟.

لقد هاجر رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى المدينة ليقيموا مجتمع الإسلام ، الذى قد غاب عن واقع البشرية ، بسبب انصراف أهل الكتاب عن هداية الله ، إلى أهواء الأحرار والرهبان والمتسلطين من الحكام ، وكانت قبائل اليهود منتشرة فى وسط المدينة وحولها ، وفى أرجاء أخرى من الحجاز .. وقد رأى رسول الله أن يشعر هذه القبائل بحسن نواياه نحوهم ، فكان من أوائل أعماله تنظيم العلاقات الداخلية بين المسلمين ويهود ، فعقد مع ممثلهم تلك المعاهدة التى تعتبر أول وثيقة دستورية فى تاريخ العالم ، حدد بها واجبات كل من الفريقين ، وسوى فيها بين الجميع فى الحقوق والكرامة وحرية العقيدة ، وكان المأمول أن ينتظم أمر المجتمع الجديد على غاية من الوفاق والانسجام فى ظل هذه الوثيقة الكريمة ، لولا أن العقيدة اليهودية قد أبت على أهلها سوى الانحراف إلى شنشنتهم من الغدر والتآمر مع أعداء الإسلام ، فكان ما لا مندوحة عنه من تحصين الدولة ضد مفسادهم ومؤامراتهم .. وهكذا لقي كل فريق من المتآمرين جزاءه العادل وفق جريمته ، ثم طُهرت أرض الجزيرة من وجودهم ..



﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

لقد أعطوا عهد الله أن يلتزموا الوفاء بكل ما عاهدوا عليه ، ولمسوا بأيديهم مدى وفاء المسلمين بذلك ، ولكن النفس التي تشربت بغض الإنسانية ، حتى لم تتورع عن قتل الأنبياء ، سرعان ما سقطت في الامتحان ، إذ عدوا على أعراض المسلمين ، وحاولوا اغتيال الرسول ، وألبوا على الدولة الربانية أعداء الله من الوثنيين ، ثم أعلنوا نقضهم العهد في أخرج الظروف التي أحاطت بالمسلمين يوم الأحزاب .

والعجب العجيب في هذه النفس التلمودية أنها لم تتزحزح قيد شعرة عن طريقها الذي سلكته وراء قريظة والنضير وقينقاع .. فهي تخطط للعودة إلى منازلهم في المدينة وما حولها .. وفي كل مناسبة تنسم فيها ريح الانتصار العابر تهتف بأعلى صوتهما : « يا لثارات قريظة والنضير وقينقاع » ! .. كما فعلت عام ١٩٦٧ يوم تجمعت جماهير اليهود المنتشية بخمرة النصر عند حائط المبكى ، لتمجد رب إسرائيل الذي نصرها على أمة محمد ! ..

ولعمر الله لو أن هذه النفس استطاعت التحرر من عقدة الكره للبشر ، لعلمت علم اليقين أن أفضل ما تقدمه لجنسها من خير ينقذها من شقاء الأبد هو الخروج من ( زنزانة ) الاحقاد اليهودية إلى واحة الإنسانية ، التي تهيب بهم للتخلي عن فكرة الدولة الى الالتحاق بمجتمع مسلم يهب لهم كل ما منحتة العهدة النبوية قبائل يهود من كرامة وإحسان .. ولكن .. هيهات .. إن ذلك يكلفهم الانسلاخ من مواريث الفساد الذي سمم وجودهم ، وعطل إحساسهم ، فجعلهم مثلاً في الغباء الذي يسجله عليهم رب العزة في قوله الخالد : ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ أجل .. لا يعقلون ، ولو كان لديهم مسكة من عقل سليم لا نتفعوا بعبرة التاريخ ؛ ولأخذوا بمثل الحل الذي تقدمه إليهم تجربة روديسية ، تلك التي أمنت للعنصر الأبيض حق المشاركة في حياة مطمئنة ، بدلا من استهلاك الطاقات في حرب خاسرة لا مردود لها سوى تراكم الأضغان، ومضاعفة الشقاء ، ثم القضاء التام في النهاية على أهل الباطل والعدوان .

٥ - تلك صورة مركزة عن خطيئة آل صهيون ، وقد بقيت الصورة الأخرى لخطيئة أصحاب الحق المهزوم .

أبرز مظاهر الخطأ في موقف العرب من هذه القضية ، خلال أعوامها الثلاثين ، هو تضيقهم دائرة النظر في حدود الأرض دون الاهتمام بمقدماتها التاريخية والدينية .

لقد أبصروا ولمسوا في مختلف المناسبات أن المحرك الأساسي لعدوهم - وأعوانه - هو الوقود الروحي الذي تلهبه في صدورهم تعاليم التلمود ورموز التوراة ، ولم يأن لنا بعد أن ننسى يوم وصلت آلياتهم أرض سيناء ، وقد نُشرت على مقدماتها صحف العهد القديم التي تحرضها على احتلالها ، فما ان وطئتها حتى ترجلوا ليمرغوا جباههم في ترابها تمجيذاً لرب الجنود ، الذي صدّقهم الوعد وحقق لهم الموعد .

ويوم توقيع معاهدة الاستسلام في منتجع كارتر .. ألم ير كل ذى بصر من العرب والمسلمين ، وعلى بلورة التلفاز الإرهائي العريق بيجن وهو يتمتم بالعبرية صلاة الشكر لربه ، الذي أخضع له رئيس أكبر فريق من أعداء إسرائيل ! . ولن أزيد على هذين المثّلين ، ففيهما ما يفى ويكفى ويشفى من الدلالة على ما وراء مواقف يهود من حوافز الدين ، الذي يحدد لهم مجال الرؤية ، فإذا هم يسخرون كل مواردهم وخبراتهم وإمكاناتهم للوصول إليه ..

ولقد مرت المقاومة العربية - خلال هذه السنين - بمراحل متباينة ، كان المطبوع منها بروح الدين أقصرها عمراً ولكنه أبغدها أثراً .. وقد بدأ ذلك على أيدي مجاهدى الأرض المباركة ، الذين قدموا السيول من الدماء والأفواج من الشهداء ، طوال سنى الاحتلال البريطاني ، ثم أقبلت كتائب الإخوان عن طريق مصر والأردن وسورية ، لتسهم في استبقاء الشعلة على أشد ما تكون من التوهج ، فزلزلت الأرض بالمعتدين ، حتى إذا دنت قطوف النصر ، تحركت القوى الخفية ، لتنقل زمام القضية من أيدي المجاهدين إلى أيدي العابثين ، الذين نجحوا في تنفيذ التقسيم الذى قرره أمريكة وروسية وحلفاؤهما في هيئة الأمم ! .

٦ - منذ ذلك العهد استُبعد الإسلام عن ساحة المعركة ، إذ أخذت السُّبُل على المحاررين لإعلاء كلمة الله ، فملئت بهم السجون ، وسُلط عليهم الاغتيال والتهم الكاذبة وأنواع التعذيب .. ثم لم يُترك لهم منفذ للعودة إلى

المعركة .. ومنذ تلك الأيام مضت القضية تتخبط في تيه من الضياع الرهيب ، ومع أن النضال من أجلها وباسمها لم يتوقف قط ، إلا أن أسلوب العمل لم يكن على مستوى المسئولية ، فليس ثمة منهج موحد بين العاملين .. بل إن المقاومة الفلسطينية نفسها ، التي بلغت قمة الروعة على أيدي الحُسينيين وإخوانهم ، قد اختلطت عليها السبل ، فشرقت وغربت وتكاد تجمع على استبقاء الروح الإسلامي معزولا عن الحلبة ، فهي تقاتل تحت مختلف الرايات ، وفي ظلال العديد من الشعارات ، إلا راية محمد وشعار ( لا إله إلا الله ) ! .

حتى الزحف المظفر الذي اقتحم خط بارليف ببركة ( الله أكبر ) سرعان ماتوقف بأمر ( نيكسون ) ثم تحول من جهاد في سبيل الله إلى محاورات ومداروات انتهت بعد ست سنوات إلى شر هزيمة منيت بها القضية في تاريخها كله ، على أن من الحقائق التي لا ينكرها منصف أن هذه الهزيمة لم تفاجيء مفكراً يحسن تتبع الأحداث ، لأن الوقائع المتلاحقة قد أكدت لكل ذى وعى أن أعداء القضية قد سجلوا أكبر نجاحاتهم منذ استطاعوا تحويلها عن الخط الإسلامي ، فأضاعوا على المَعْنين بها وضوح الرؤية ، حتى جاء اليوم الذي اضطروا فيه إلى إعلان عجزهم عن استيعابها ، ومن ثم إلى تجزئتها حيث انكششت مطالبهم من تحرير فلسطين كاملة إلى الوقوف عند حدود القدس الشرقية مع الضفة والقطاع ، لا يكاد يشذ عن ذلك واحد منهم ! .

ولقد كانت هذه النهاية هي الخاتمة الطبيعية لتتبع الهدف ولتباين الأساليب إذ أصبح كل فريق ينظر إلى القضية من خلال طاقته المحدودة بإزاء العدو ، المزود بخبرات وجبروت أمريكية والصليبية العالمية ، ثم الكوابح الشيوعية التي لا تنفك تشدّ على خناق العرب لتشرعهم بالمبدأ المشترك بين الجميع وهو « إن إسرائيل وجدت لتبقى .. » .

٧ - ولا جرم أن علة العلل في كل هذا الاخفاق عائدة إلى تفريغ الجهد العربى من روح الجهاد الإسلامى ، الذى لا يستطيع عزل فلسطين عن تاريخ الصراع بين الإسلام واليهودية ، فإذا كان تلاميذ التلمود يقاتلون بروح الثأر لقينقاع وإخوانهم من أحفاد القردة ، فمن العبث مواجهتهم بخوافز الوطنية والقومية والاشتراكية والماركسية ، وهى كلها من صنع أيديهم ، وهم بمقاتلتها أعلم ..

ولقد جرب قومنا ضروب الأسلحة بعد إقصاء الإسلام عن الميدان ، فلم يرجعوا بغير الخسار والعار ، بعد فقدان الذمار والديار .. فمتى يتبينون خطأهم الكبير ، فيفسحوا السيل لفقهاء الإسلام وخبرائه لتنظيم طاقات الأمة وفق حاجة المعركة ، ولجنود الإيمان ليقارعوا أباطيل التلمود بحقائق القرآن ! .

إن كل مبدأ قابل للتبديل والتعديل ، جرياً مع منطق الأحداث ، فكلما ضاقت الحيل تقلص الأمل ، حتى يكون اليأس فلاستسلام .

بيد أن دين الله هو وحده الثابت أبداً ، المتعالى أبداً على منطق الضعف والضرورات ، فكل نكسة يصطدم بها المؤمن حافزة له على إعادة النظر في وسائله حتى تنتهى إلى الانسجام التام مع قوانين الإسلام ، فلا يكون بعد ذلك خذلان ولا نكوص ؛ ومن هنا كان احتفاظه بالعزة في سائر أحواله ، تحقيقاً لأمر الله الذى يقول للمؤمنين : ﴿ فلا تمهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ... ﴾ .

وكيف يهن المؤمنون ويدعون إلى السلم المَهين ، وقد علموا أنهم على موعدة مع النصر الذى يبشرهم به الصادق الأمين في حديثه الصحيح المبين : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ... » .  
ومن يكن الله معه ومحمد قائده لا يعرف الهوان إلى نفسه سييلاً ..

\* \* \*

## مأساة الإسلام في الهند<sup>(٥)</sup>

بعد مرور ثمانية قرون على استقرار الإسلام في الأندلس استطاع التعصب الصليبي الذي لم يحمد قط ، أن يزلزل الأرض بملايين المسلمين ، ثم يقضى على وجودهم كلياً فيوزعهم ما بين محرق بالنار ومرتد عن دين الله ومشرّد في متاهات الدنيا .

ونعيد النظر اليوم في واقع المسلمين فنرى أن مأساة الأندلس لمّا ثنته بعد ، فالتعصب الذي طوى بالأمس أنضع صفحة للحضارة في أوروبا لا يزال يتابع طريقه في مطاردة الإسلام ، يريد أن يعيد التجربة نفسها في مختلف الأقطار من أوطانه ، ففي رحاب المسجد الأقصى يُقتل شعب من جذوره ليحول إلى مجموعات من اللاجئين لا تلبث أن تلاحقهم خطط الدمار بكل وسائل الهلاك فتقتلهم زرافات ووحداناً على مشهد ومسمع من كل ذى سمع وبصر في العالم كله دون أن تجد استغاثاتهم أى صدى حتى عند عشائريهم الأقربين .

وفي الفلبين تجتاح الزعازع الصليبية ألوف المسلمين بمجازر يومية مدروسة ، دون أن تثير أى مردود عملي لدى مئات الملايين من إخوانهم المنتشرين في كل مكان .. اللهم إلا بعض رشّات من الكلام تنطلق لنصرتهم بين الحين والحين .

وكذلك القول في الكثير من أقطار المسلمين التي أوقعتها الغفلة في براثن الحاقدين والمرتدين من أعدائها وأبنائها على السواء ، حيث تهدد الكوارث وجود الإسلام نفسه بالزوال إذا استمر الجلادون آمنين من ردود الفعل ، وما دام القادرون من المسلمين على نجاتهم مشغولين عن واجبهم بشهواتهم .

---

(٥) لا تزال المأساة قائمة وإن تغيرت الوجهة السياسية بسحب نظام الطوارئ<sup>٦</sup> ، ويبقى أن المأساة ليست مقصورة على الهند ، بل هي مأساة الإسلام في كل مكان .

ولا جرم أن محنة الإسلام في الهند ، وفي ظل النظام البوليسى القامع لكل ضروب التعبير ، تكاد تفوق كل محنة تعرض لها بعد مأساة الأندلس .. ذلك لأن التعصب الوثنى لا يزال أشد شراسة من التعصب الصليبي نفسه ، وقد قرنه الله بالحقد اليهودى فى محكم كتابه حيث يقول سبحانه : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... ﴾ فكلتا النحتين تجردان المتصف بهما من كل مميزات الرحمة لأنهما صادرتان فى الأصل عن النزعات العنصرية فلا تقيمان وزناً للأخلاق والفضائل التى تحترم حقوق الإنسان ، ولو هما شاءتا الالتفات لهذه الحقوق لما وجدتا إلى ذلك سبيلا ، لسبب واحد هو وقوعهما تحت سلطان الكهنة الذين يحلون ويحرمون كما يشاؤون ، دون اهتمام بأى رادع أو واعظ من وحي أو عقل .

عشرات المذابح خاض غمارها مسلمو الهند منذ غادرها الاستعمار .. وآلاف القرى قد هدمت على رؤوسهم دون سبب سوى ذلك الحقْد الطاغى الذى تغلى به صدور الهندوس والسيك على أهل الإسلام .

وحتى الآن وعلى الرغم من كل هذه الفتن العمياء لم يسجل على المسلمين عدوان واحد على مواطنهم من الوثنيين ، اللهم إلا أن يكون إقدامهم على ذبح بقرة هم يرونها حقاً أباحه لهم الله ، ويراه أولئك المضللون اعتداء صارخاً على آلهتهم التى يعبدون .

وكل هذه المذابح الوحشية واقعة أبداً فى رائحة النهار وعلى مشهد من رجال الأمن الهندوسى ، بل تحت إشرافهم وحمايتهم ، وقد بات مستحيلاً إنكار شئ منها بعد أن أعلن تفاصيل بعضها وزراء هنود فى البرلمان الهندى نفسه بصورة لا تكاد يصدقها سامع لولا أن المصرح بها شاهد من هذا الوزن .

أجل .. كان ذلك من الأحداث اليومية أو الموسمية وفى ظل الحكم البرلمانى الذى يمكن المظلومين من رفع شكاتهم بألسن ممثليهم وعلى صفحات جرائدهم .. أما اليوم وقد حل البوليس محل البرلمان ، واستحال أعضاؤه أدوات لا عمل لها سوى تصديق المقررات التى يفرضها الإرهاب ، فقد أصبحت الفرصة مواتية لتحويل العدوان الغوغائى إلى عملية اجتياح رسمى باسم القانون .

قبل نظام الطوارئء تحركت السلطة الهندوكية لانتزاع جامعة عليكره الإسلامية من أيدي المسلمين تمهيداً للتسلل إلى بقية المؤسسات الثقافية الإسلامية في مرحلة تالية ، وقد نسيت هذه السلطة أو تناست فضل الثقافة الإسلامية على أمم الهند كلها التي كانت - باعتراف جواهر لال نهرو - غارقة في ظلمات الجهالة حتى انطلقت أشعة الحضارة الإسلامية لتنقذها من ضياعها ولتضعها في طريق النور ، ولكن المسلمين استطاعوا أن يتنادوا للدفاع عن حقهم في الجامعة وأن يعلنوا معارضتهم للمحاولة غير الدستورية التي تلجأ إليها السلطة في هذا الصدد ..

أما اليوم وفي عتات الإرهاب فما يدرى أحد شيئاً عن مصير هذه الجامعة لأن أحداً لا يملك القدرة على الكلام في وجه الحسام .

وقبل نظام الطوارئء حاولت السلطات العلمانية التدخل في أخص شؤون المسلمين من نظام الأحوال الشخصية لفتح الثغرات التي تمكنها من تزويد شخصيتهم ، إلا أنها سرعان ما وجدت نفسها تلقاء سد منيع من تعاون الطوائف الإسلامية جميعاً ضد تلك المحاولة مما اضطرها إلى التريث في تنفيذ خطتها إلى حين .. أما الآن وفي ظل الطغيان فقد بات بقاء الصفة الإسلامية للمسلمين أمراً معرضاً لأنواع من الامتحان .

وقبل نظام الطوارئء .. كان للمسلمين صحافتهم ووسائلهم المشروعة لعرض دينهم وقضاياهم والدفاع عن حقوقهم وكيانهم .. أما في ظل الواقع الخائق فقد حُجب الكثير من هذه الصحف وضُرب الحظر على الجماعة الإسلامية ، التي لم تقم بأي نشاط خارج حدود التوعية الدينية في أوساط المسلمين ، وصودرت حرية قادتها الذين لم يقترفوا أي ذنب يسىء إلى النظام العام .

وقبل العهد العرفي الراهن كان موضوع تحديد النسل قائماً على الحوار والاقناع فلا تجرى عملية التعقيم الجراحي لأحد إلا بموافقة واختياره ، أما بعد زوال الحريات فقد حل الإكراه محل الاختيار ، فلا علاوة ولا راتب ولا علاج ولا تموين ولا تعليم لأولاد موظف لا يخضع لهذه العملية ، والأمر مع العامة أكبر وأهول إذ تسوقهم الشرطة بالقوة إلى مراكز التعقيم ، وقد يحدث أن

يكون المسوق عزباً أو عريساً فيقطعوا صلته بالحياة عن طريق التعقيم ، كما حدث في إحدى المدن ، حيث عقم عريس مسلم فثار أهله وهاجموا مركز الشرطة الذى جنى عليه ، فما كان من الحكومة إلا أن دفعت بالجرارات لذلك الحى كله دكاً ، وفي هذه الحادثة استشهد إمام أحد المساجد وهو قائم يصلى .

ومما يضاعف الأسى بإزاء هذا العدوان الرهيب أن يجد من كبار الموظفين المسلمين من يتطوعون للدفاع عنه ، زاعمين أنهم لا يجدون في كتاب الله ما يعارض التعقيم ومحتجين لدعواهم بإقدام بعض حكام المسلمين في البلاد العربية وغيرها على تحديد النسل ، وقد جهل هؤلاء أو تجاهلوا أن أجراً للناس على الفتوى أجرؤهم على النار ، وأن عمل المستبدين والطواغيت لن يلغي أبداً حكم الله الذى اعتبر الوأد الفردى من أكبر جرائم الجاهلية ، فكيف بالتعقيم ، وليس هو في أبعاده الخطيرة سوى ضرب من الوأد الجماعى الذى يهدد بانقراض الشعوب ويعبر عن فقدان الثقة برحمة الله ! .

وقد أعلنت حكومة أنديرا غاندى أن التعقيم من أهدافها الأساسية ، وتعامل كل معارض له بمثابة الخائن للدولة .. ومن هنا جاء الصمت الذى فسح المجال لكل هذه الفظائع ترتكب من أجل تنفيذه .. وبخاصة في أوساط المسلمين الذين يعتبر التعقيم هو الفرصة المفضلة للتقليل من أعدادهم ، وهكذا يواجه مسلمو الهند في هذه المناسبة الرهيبة لوناً آخر من العدوان على وجودهم يوشك أن ينسينا مذابحهم على أيدي السيك ومتعصبة الهندوك .

إن عذر القائمين بهذا التعقيم في شبه القارة الهندية عائد إلى ما يرونه من زيادة الحجم السكانى على مستوى الموارد التى تملكها الهند ، وهو في ظاهره حجة مقبولة عند الذين لا يفقهون الحياة إلا نوعاً من الأرقام الرياضية والنسب العددية ، بيد أنها حجة لا تلبث أن تنهار أمام منطق الواقع الذى تعيشه أمم هي أكثر تضخماً من أمم الهند دون أن تضطر إلى وقف نموها البشرى ، وأقرب مثال على ذلك جارتها الصين التى تضم ربع سكان العالم ولا تفضلها من حيث الموارد الطبيعية ، ومع ذلك لم تدخل في حسابها اللجوء إلى مثل هذه الجريمة الرهيبة حتى الآن ، ذلك لأن في وسع الذكاء البشرى تكييف الوقائع على الوجه الذى يضمن التوازن اللازم بين ما كان وما ينبغي أن يكون .. وهذه الجزر البريطانية ما كان لارضها أن تكفى أهلها لو قنعت بالبقاء على ما توارثته



من وسائل العيش ، ومثلها جزر اليابان التي بلغت من التقدم التكنولوجى مستوى مكنها من غزو أوربا وأمريكا بمصنوعاتها التي أصبحت تهدد اقتصاد القارتين بالانهيار ، وليست أرض الهند دون هذه ولا تلك عطاء لو توجهت عناية المسئولين فيها إلى إحكام الاستغلال للطاقات والمواهب على الصورة التي تقتضيها أوضاع الهند .

إن أزمة الهند - فى نطاق المعيشة - تنطلق من مصدرين لا سبيل إلى تجاهلها عند أى محاولة للإصلاح الصحيح .

أما الأول: فعائد إلى وثنيها القائمة على تقديس البقر والقردة ، وكل ذى حياة من الحيوان والحشرات ، على اعتبار أولاهها آلهة تقتضيها العبادة والخنوع وتركها تعيش على هواها فى الزروع ، فبدلاً من أن تكون أحد مواردها الكبرى ، تزودها باللحوم وتعود عليها بالوفير الكثير من النقد النادر ، تستحيل أداة تدمير لاقتصادها وبلاء على وجودها .. وهكذا القول فى القروء التي تقتحم منازل الهنود للاستيلاء على طعامهم دون أن يمدوا لردها يداً .. لأنها فى حكم عقيدتهم الوثنية أرواح الآباء وأجداد التي تقمصت هذه الأجساد ! .

وأما المصدر الثانى : لأزمة الهند فإصرار حكامها على أن يكون لها مقعدها الضخم فى النادى الذرى ، حيث تتمكن من المشاركة فى تقرير مصاير البشرية على ظهر هذا الكوكب ، وبخاصة باكستان التي لم تكتف بتمزيقها إلى دولتين ، بل هى تعد كل الوسائل الكفيلة - فى ظن أولئك الحكام - بإزالتها جميعاً من الأطلس الدولى لتعود جزءاً لا يتجزأ من الأم التي لا تتورع عن التهام أولادها ! .

أجل .. تلك هى حقيقة الأزمة التي تعانيها الهند ، فلا تعقيم السكان ولا تعطيل الحريات ولا شحن السجون بالأبرياء بمجد عليها شيئاً ، إذا هى لم تعتمد إلى هذا الواقع ، فتبدأ علاجه من الجذور ، وما دام التعصب القومى الوثني هو الذي يقود خطوات قادتها فستظل تدور فى حلقتها المفرغة لا تخرج من متاهة إلا لتقع فى الأخرى ، ولا تخلص من مرحلة لنظام الطوارىء حتى تسلمها إلى مرحلة تالية .. إلى غير نهاية .

\*\*\*

بقيت كلمة صغيرة لا مندوحة من توجيهها إلى حكومات العالم الإسلامي وإلى دوله ذات الموارد العالمية والثقيل الدولي :

إن هؤلاء المعذنين من إخوانكم في الهند يتطلعون بلهفة إلى ما أنتم فاعلون من أجلهم ..

لقد علمتم ما تقوم به الولايات المتحدة من ضغط على روسية لتخفيف قبضتها عن أعناق اليهود ولمراعاة رغباتهم في مغادرة الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل، إنها لتستغل كل مناسبة في سبيل ذلك حتى المفاوضات على تحديد السلاح ، وحتى المساومة على شحنات الغذاء .. وليست دول أوروبا أقل اهتماماً بهذا الأمر من أميركة .. وقد رأيتم آثار هذا الضغط جلية في تحقيق الكثير من مضالح اليهود الروس .

كذلك رأيتم مواقف الحلف الأطلسي من استبداد العسكرية اليونانية إذ مازال يضيق عليها الحناق حتى تخلت عن الحكم وردت للشعب اليوناني حريته في اختيار ممثليه .

فما الذي يمنعكم أن تسلكوا سبيل أميركة وأوروبا في الدفاع عن حق هؤلاء المعذنين في رد اعتبارهم الإنساني؟! .

لقد وضع الله في أيديكم من القوة ما تستطيعون به الكثير من العمل لانصاف المظلومين من مسلمي الهند وغيرها من الأقطار التي تستباح بها حرمتهم ويهدد فيها وجودهم فحتم السكوت عن هذه المآسي وأنتم تشهدون .. وإلام التصام عن صراخ استغاثاتهم وأنتم تسمعون؟! .

إن تهاونكم بحق هؤلاء الإخوة لن يكسبكم مرضاة جلادهم ، بل إن هذا التهاون إذا استمر في سبيله فسيطمع بكم كل ذي ناب من أولئك الذئاب ، ثم يأتي يوم تندمون فيه ولات حين مندم ..

تذكروا أيها السادة أن مسلمي الهند لم يدخروا وسعاً لنصرة قضايا العرب قط .. تذكروا فضلهم في رعاية لغة القرآن وسهرهم على حراسة الإسلام الذي به دخل العرب التاريخ من أوسع الأبواب ، ثم قولوا لمضطهديهم في غير تحفظ : حسبكم بغياً .. فقد بلغ السيل الزبي ، وتجاوز الحزام الطيين ..

ان نفطنا وأموالنا وكل ما ملكت أيماننا حرام عليكم حتى تردوا لإخواننا حقوقهم كاملة في أحوالهم الشخصية ، وفي مؤسساتهم الثقافية ، وفي وسائلهم الإعلامية . وأخيراً في كرامتهم الإنسانية التي لا بقاء لها إلا باحترام حقهم في التناسل والبقاء ..

اقذفوا هذه الصيحة الأبية في وجوه المعتدين مرة واحدة ترضوا بها ربكم وتنقذوا إخوانكم وترهبوا عدو الله وعدوكم .

إن غفلة الآباء عن كوارث الأندلس قد انتهت بهم إلى مغادرتها إلى غير عودة .. وإن تشاغل الأبناء عن حماية بيت المقدس قد أحال أحفاد الفاتحين إلى مشردين ، وهاهم أولاء مسلمو الهند تقف بهم الأقدار على مفترق الطرق ، فلا تكررُوا مأساة الأمس بالغفلة والتشاغل لئلا تفاجئوا بتكرار النوازل ، فترددوا مع الشاعر المفقود في رثاء الفردوس المفقود :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد      إن كان في القلب إسلام وإيمان

\* \* \*

## دفاعاً عن الحق .. لاعن ضياء الحق

منذ صدر حكم القضاء الباكستاني بإعدام بهوتو تحركت أسلاك البرق تنقل من كبار الحكام إلى الرئيس ضياء الحق شفاعاتهم به ، وتستصرخه للعفو عنه .. فلما نفذ الرئيس حكم القضاء بالجاني استأنفت الأسلاك العالمية اهتزازتها تحمل الأسف ، والاحتجاج ، وتعلن الاستنكار لما وصفه بعضهم بكونه عملاً خارجاً عن حدود الأخلاق والإنسانية ..

وتتحرك مواكب الهتافين في بعض المناطق إظهاراً لنقمتها من إقدام حاكم على احترام قرار أصدره قضاء ، أعاد النظر في تحقيقات القضية عدداً من المرات ، ثم استقر على الإجماع بإدانة المحكوم في قتل رجل برىء دون مسوغ ، سوى أنه صرخ في وجه القاتل على أعين الملاء بكلمة ( لا ) التي لا يطبق سماعها مستبد من طغاة الحكام ..

ويقف الملايين من البسطاء أمثالي متسائلين في حيرة : أطيعي هذا التلاق من قبل أولئك المستنفعين أولاً ، والمحتجين أخيراً ، على نصرة الجاني الذي أدانته القضاء ، أم أن ثمة تديراً مركزياً هو الذي يوجه القوم إلى إطلاق هاتيك الصرخات على هذا النحو من التوقيت والتشهير ؟ .. ولماذا ؟ ..

وليس في وسع البسطاء على كثرتهم تعمق الخلفيات الكامنة وراء هذه الظواهر ، ولذلك يجدون أنفسهم مضطرين للاقتناع بأن الهدف الأقصى منها لا يعدو إثارة الغبار في طريق المسيرة الإسلامية التي يقودها رئيس باكستان وحكومته ، تأليباً للغوغاء ، وتشجيعاً لقادة الفتنة على الاستمرار في الطريق المناوئ لهذا الاتجاه .

وطبيعي أن أحكام البسطاء في هذه الظواهر مقصورة عليهم ، لأنهم لا يجدون سبيلاً إلى إعلانها عن طريق الإذاعات العالمية ، فتظل أصوات

المستنفعين أولاً والمحتجين ثانياً ، هي المسيطرة وحدها على أسماع الناس ، دون أن يقعوا لها على تفسير يخالف ما يريده هؤلاء الكبراء ومن وراءهم .

على أن هذا الحصار لا يسوغ لنا نحن البسطاء أن نسكت على مزاعم لا سند لها من الواقع إلا كونها صادرة عن بيدهم القدرة على فرض أهوائهم ، وإذا لم نستطع مواجهتها بمثل قدرتها فلا أقل من أن نبرىء ذمتنا أمام الحقيقة ، حتى لا يسجل التاريخ أن أهل الحق كانوا أبداً في صفوف الشياطين الخرس ، وقديماً قيل : « ما لا يدرك كله لا يترك جله » .

وبمنتهى الاحترام والتقدير نتناول مدّعيات كل من هؤلاء بكلمة يسيرة .

١ - يقول كالاها ن رئيس الحكومة البريطانية : من المؤسف أن يرفض رئيس باكستان كل الشفاعات الواردة إليه من رؤساء العالم في بهوتو ..

ومع أن الزعيم البريطاني وقف عند حدود الأسف بإزاء بهوتو ، فمن حقنا وغيرنا عليه أن نسأله : في العام ١٩٣٤ حكمتكم بالموت على ثلاثة من شباب فلسطين ، لغير ما ذنب جنوه سوى الدفاع عن حق شعبهم في أرض أجداده التي وهبتموها لشذاذ الآفاق ، وتهاوت عليكم البرقيات من ملوك العرب ورؤسائهم مستصرخين بأولئك الأبرياء ، ولكنكم تصامتم ونفذتم بالثلاثة حكم الإعدام .

فأين كانت إنسانيتكم يومئذ ؟.. ولم ضربتم بكل تلك الشفاعات عرض الحائط ؟..

٢ - وتجاوز أنديرا حدود اللياقة فتصف التنفيذ بأبشع ما تيسر لها من التعابير .. فلتسمح لنا بالتعقيب على تعقيبها بهذه الكلمات المتواضعة :

لقد أغرقت الهند بسيول الدماء في سبيل تثبيت حكمك عليها ، وأبحت لنفسك تعقيم الملايين من الهنود بالإكراه ، ولم تبالي من أجل ذلك أن يسقط عشرات الضحايا الأبرياء ، وأن تهدمى على المعارضين لهذه المحنة ييوتهم ومساجدهم .

فأين كانت غيرتك على العدالة .. وأين كانت رحمتك بالإنسان يومئذ ؟..

أفإعدام قاتل تنفيذاً لأحكام القضاء تصرف وحشى ، وتعقيم أمة ،  
والقضاء على الجموع الرافضة هذا العدوان ، عمل إنسانى ؟..

قتل القضاء مجزماً جناية لا تغتفر  
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر ؟!

٣ - ويدعو زعيم عربى كبير بالويل والثبور استنكاراً لتنفيذ الإعدام ،  
وراح يصف ذلك التنفيذ بأنه تحد للأخلاقيات الإسلامية ..

فنستريح هذا الزعيم الكبير العذر إذا نحن ذكرناه بما لا يسعه أن ينساه  
من إقدامه ورهطه الحاكم على سوق الأنواج من دعاة الإسلام إلى المشانق ،  
وقتلهم دون محاكمة باطلاق النيران عليهم من وراء أبواب السجن ..

ولهذا السيد الكبير ، الذى يعلن فى كل مناسبة أنه مشارك فى كل قرار  
اتخذ فى ذلك العهد ، نوجه هذا السؤال : أكان تصرفكم ذلك يا سيادة الرئيس  
متفقاً مع أخلاقيات الإسلام يومئذ ؟..

٤ - ويعمد زعيم عربى ثان إلى القرآن الكريم يذكر الرئيس الباكستانى  
بآياته الحائلة على الرحمة والعفو .. ولا أدرى كيف نسي سيادته - هداه الله -  
هذه الآيات الكريمات يوم بعث بجنوده المسلمين لقتال إخوانهم مسلمى  
الصومال تحت راية السفاح الصليبي الماركسى منجستو ! .

وليته تذكر بهذه المناسبة على الأقل قول الشاعر الحكيم :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم!

ولا حاجة لتذكيره بقول رسول الله ﷺ لحبيبه أسامة بن زيد  
ابن حارثة : « أتشفع فى حد من حدود الله ! والله لو سرقت فاطمة بنت محمد  
لقطع محمد يدها » لأن سيادته قد أعلن رفضه لكل قول ينسب إلى رسول  
الله .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ! .

٥ - ويرتفع من الشمال صوت عربى ثالث ليعلن عميق أسفه لإعدام  
صاحبه .. وكل مسوغاته لهذا الأسف هو أن بهوتو كان فى مقدمة الساعين  
للتسوية السلمية مع إسرائيل ! .

ولعمر الله إنها لفضيحة جديدة يكشفها هذا التصريح ، فيضيفها إلى

سجل بهوتو غير الطيب .. وأي جريمة تعدل الاعتراف بواقع إسرائيل ،  
وحققها في كل ما اقترفته من اغتصاب لوطننا ، وتشريد لشعبنا ، وإهراق  
لدمائنا !..

وأنا لا أدري ورنى أريد ذلك الحاكم العرنى ، بتصريحه هذا ، مدح بهوتو أم  
يريد تشويهه .. على طريقة بشار في الخياط الاعور الذى يقول فيه :  
خاط لى زيد قباء لیت عینیه سواء

٦ - ثم يأتي السيد ايجاويد رئيس حكومة تركية ، التى ثقف متفرجة على  
دماء شعبها تهرق فى بلدها دون أن تقوم بأى جهد رادع للأشقياء ، يأتي هذا  
الرئيس ليغرب عن استنكاره لمثل هذا الضرب من العقاب يصير إليه رجال  
السياسة ...

كأن من حق رجل السياسة أن يقتل الناس ، وأن يبغي فى الأرض بغير  
الحق ، وأن يهلك الحرث والنسل ، دون أن يتوقع على طغيانه عقوبة ، أو  
يستشعر مسئولية .. والمؤسف حقاً هو أن تغلب مكيا فيلية العصر على عقول  
الساسة المسلمين حتى تُنسبهم المبدأ الأول فى السياسة الإسلامية ، وهو أن  
وظيفة الحاكم فى الإسلام لا تتجاوز حدود الخدمة العامة ، التى تجعل منه أباً  
لكل فرد من الأمة ، يقف حياته كلها لحمايتها من الفساد ، ويقودها أبداً فى  
سبيل الرشاد ، لا رئيس حزب كل همه ترسيخ قدمه فى مجال السلطان ، ولو  
كلفه ذلك ضرب الأمة بعضها ببعض ، وإغراقها أخيراً فى مستنقعات الهوان  
والخذلان ..

والعجب العجيب ، من مدبرى هذه الحملة الظالمة على رئيس باكستان ،  
أنهم على الرغم من تباينهم لمصير صاحبهم ، لم يستطيعوا أن يمنعوا عملاءهم فى  
الإذاعات العالمية من الاعتراف ببعض جرائم بهوتو على شعبه ، إذ أطبق هؤلاء  
كلهم على القول بأنه المخلوق الذى تجرد عن الرحمة ، ولم يكن ليردعه شيء عن  
تنفيذ كل ما يراه مساعداً على استبقاء سلطانه مهما اقتضاه ذلك من أكذاس  
الضحايا ..

وقد صرح أحدهم ، وهو يذيع أخبار الاحتجاج المفتعل ، بقوله : ولكن  
لم يكن ثمة من أمل بنجاة بهوتو من الموت ، لأن ثمانى عشرة جريمة أخرى كانت

تنتظر محاكمته ، وكل منها كاف للقضاء بإعدامه ...

على أن الأعجب من ذلك كله أن هؤلاء المتباكين لم يسبق لهم أن أبدوا أى عطف على الملايين الذين صب عليهم بهوتو سياط العذاب ، حتى إذا جاء دور العدالة للاقتصاص من الظالم تفجروا بكل النقمات العارمات ، دون أن ينبسوا بكلمة أسف على شركائه الذين لقوا معه نفس المصير .

ولقد آن أن نلفت أنظار أولئك المتباكين على بهوتو إلى حقيقة كبيرة لم تخطر على مخيلاتهم قط .. لأنها من غير المؤلف في أنظمتهم الحاكمة ..

إن الحاكم الأعلى في الأنظمة الوضعية جميعاً ، سواء شرقت أو غربت ، هو امرؤ فوق القانون ، وله من الصلاحيات المطلقة ما يسوغ له مخالفة القضاء في كل أحكامه ، فيعفو عمن يشاء ، ويخفف عمن يشاء ، وقد حدث أن محكمة شرعية أصدرت قرارها بإعدام عدد من البهائيين لثبوت ارتدادهم عن الإسلام ، وبدلاً من أن يأخذوا طريقهم إلى حبل المشنقة ، ليكونوا عبرة لأمثالهم من عملاء اليهودية العالمية ، صدر قرار الحاكم الأعلى بتعطيل قضاء الشريعة ، وإخراجهم من السجن ليستأنفوا مسيرتهم في تضليل الجاهلين .

هذا الضرب من الفوضى ، المهددة لأحكام القوانين ، لا وجود لها في نظام الإسلام ، الذى دخلت باكستان أبوابه على يد رئيسها المؤمن الشجاع الفريق ضياء الحق ، إذ المعلوم عند أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الجناية تظل قابلة للتسوية بين أهل الجاني وأهل المجنى عليه حتى أثناء عرضها على القضاء ، فإذا أخفقت جهود الإصلاح حتى صدر حكم الشريعة في القضية أعطى الفريقان فرصة جديدة للتصالح بعد أن تكون الدماء قد بردت ، وتهيأت النفوس لقبول الحل المعقول ، فإما أن يتم الخير بعفو أولياء الدم ، أو يصر هؤلاء على القصاص ، فيتولى ولى الأمر تنفيذ الحكم على الوجه الذى قرره القضاء دون أى حيف أو تهاون ..

ومعنى ذلك بإيجاز أن ليس لولى الأمر فى الإسلام حق العفو أو تخفيف الحكم ، بل ينحصر عمله فقط ضمن حدود التنفيذ الحرفى للحد الشرعى .

وعلى ضوء هذه الحقيقة العالية يجب أن يفهم المستشفعون والمستنكرون موقف الفريق ضياء الحق بإزاء الحكم الصادر بحق بهوتو .. إذ كان مستحيلاً



عليه أن يسلك في قضية الرجل غير السبيل الذي سلكه ، ولو هو قد تدخل في موضوع الحكم فأحدث فيه أى تعديل أو تعديل لاعتبر خائناً للشرعية التي أعلن إقامتها في باكستان المسلمة ، وأنها لإحدى مميزات النظام الإسلامى الذى يبلغ فيه استقلال القضاء حداً تتقاصر دونه سلطة الساسة ، بل تخضع له رقابهم ، حتى ليحاكمون أمام ممثليه من خصومهم أياً كان هؤلاء الخصوم ..

وفى يقينى أن هؤلاء المستشفعين أولاً ، والمستنكرين ثانياً ، لو أدركوا هذه الحقيقة وحدها لأراحوا أنفسهم من عناء الاستشفاع والاستنكار ، ولحنوا جباههم للشرعية التي ارتفعت فوق كل زعيم ، ولو نطح السماء بروقيه ، وسوت بعدالتها المطلقة بين الناس جميعاً لا فرق بين الحاكم والمحكوم .

فهنيئاً لأهل الإيمان بالشرعية التي لا سبيل غيرها لتأمين المظلوم من عدوان الظالم ..

ومرحى لضياء الحق الذى لم تأخذه فى الحق لومة لائم ..

\*\*\*

## الظاهرة الأولى في أحداث القرن الخامس عشر

إن الله جلت حكيمته الذى يقول فى كتابه الكريم: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ هو الذى قدر لمكة المكرمة مقامها المنفرد فى عالم الإنسان ، فهى أم القرى ، والقرى ، بخلاف مفهوم العامة ، هى الحواضر التى ترتبط بها مصالح الناس على هذه الأرض ، ومعنى ذلك أن مكة المكرمة هى المركز الذى يستقطب الحواضر كلها ، على اختلاف مواقعها ومصالحها وأجناس سكانها .. ومن هذا المنطلق ينبغى أن ينظر إلى الكشف الحديث الذى سجله مؤخراً أحد كبار ذوى الاختصاص من الإخوة المصريين حول موقع البلد الحرام ، إذ ثبت له وللدراسيين أنه يشكل نقطة الارتكاز فى وسط الكرة الأرضية ..

وقد اختار الخالق عزَّ اسمه هذه البقعة المطهرة على هذا الوضع المحكم لسرٍّ يسرُّ لنا عِلْمَ بعضه ، ولا تزال نتطلع إلى المزيد من خفاياه ، فمنذ اليوم الأول لتعيين مكان البيت ، سواء كان ذلك قبل الطوفان - على رأى - أو بعده حين بوأه الله لخليله إبراهيم - عليه السلام - على رأى آخر - قد حدّد سبحانه مهمته فى حياة عباده ، إذ جعله مثابة للناس وأمناً ، يفئون إليه كلما دهمتهم أعباء الدنيا ، فيستردون فى ظلاله هُويّتهم التى طمستها الأهواء ، ووحدتهم الآدمية التى مزقتها الأرزاء .. ثم أتم نعمته على الإنسانية ببعثه خاتم رسله محمد ابن عبد الله ﷺ الذى جمع الراشدين من خلفه على وحدة الاتجاه فى صلواتهم ، فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وأن يؤلّوا وجوههم شطره أينما كانوا على سطح هذه البسيطة ..

ومع أن أهل هذه القبلة المقدّسة قد فقدوا خلال سيرتهم التاريخية ، وتحت مطارق الأحداث ، الكثير من معانى الوحدة التى منّ الله بها على الصدر الأول من سلفهم الصالح ، فى قوله الحكيم: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم

أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ... ﴿ مع ذلك فهم لا يرحون أو فرأهل الأرض وشائج قري، وأكثرهم شعوراً بالتلاحم ، وذلك بما تلقى في أخلادهم وحدة الالتفاف حول هذا البيت من مركزية التصور ، وتناسب الأفكار وترسيخ الفضائل .. فإذا رأيت التيارات العاصفة تجرف أشتات الشعوب من حولهم حتى ليطأ بعضهم بعضاً ، ويتهادى بعضهم على أشلاء بعض ...

إذا رأيت هاتيك الشعوب كذلك والغة في دمائها ، على طريقة الذباب حين يتهاقت على جثث أخواته المصروعات دونما رحمة ، إذ يجد فيها فرصة تغريه لملء جوفه بأجزائها ، رأيت أهل هذه القبلة كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. فما من نكبة تحل في جانب هذه الأمة في أدنى الأرض ، إلا اهتزت لها جوانبها الأخرى في أقاصيها ...

تلك حقيقة ماثلة لكل ذى عينين ، لا يحجبها شذوذ بعض المتسلطين على بعض .. الجماعات الإسلامية ، حين يسوقونها بسياط البغى إلى قتال إخوان لها تحت رايات غير رايات الإسلام ، وفي ظل شعارات لا أبغض منها على أسماع المؤمنين ، ولو أتيحت لها فرصة التعبير عن ضميرها الذى أجمته قيود الإرهاب لتعالى صراخها في وجوه أولئك البغاة : « أن أرفعوا أيديكم فلستم منى ولا أنا منكم في شيء .. » ذلك لأن الأمة التى ألفت الإسلام بين قلوبها ، وجمعها البيت الحرام في مكة المكرمة على وحدة الاتجاه والهدف والتصور ، لا تجد أمنها الروحي إلا في ظل التعاون على طاعة الله ، الذى حدد هوية المؤمنين في قوله الخالد الحكيم : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ... ﴾ .

أجل والله .. إن من فضل الله على هذه الأمة أن وحدتها أقوى من كل عوامل الفرقة التى يزرعها الطواغيت في طريقها ، وكل ما ينقصها هو أن يرتفع السادرون من قادتها إلى مستوى واقعها الروحي ، ولن يتوافر لهم ذلك حتى يثوبوا إلى ظل هذا الإسلام الذى حيل بينهم وبين حقائقه ، وصُرفت بصائرهم عن ضيائه ، فراحوا يخبطون في ظلمات من مذاهب ونظريات صنعها أناس عجزوا عن إدراك أنفسهم ، واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ..

ويوم يتاح لأولئك التائبين أن يعودوا إلى ساحة النور ، ويعرفوا حق شعوبهم عليهم في معزل عن التأثير بإيحاءات أعدائهم ، إذ ذاك لن يقبلوا أن يحكموا هذه الشعوب المظلومة بغير الشريعة التي ارتضاها الله لعباده ، ولن يسمحوا لأنفسهم بإكراهها على أى نظام يخالف عن أمر الله ، ويومئذ فقط يتم الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، وبحين الموعد الذى تترقبه هذه الأمة لاستعادة مكانها من العزة والقوة ، والقيادة العالمية .

● وبعد فإن من حق أم القرى على مؤتمر القمة الإسلامى الذى ينعقد اليوم على مقربة من حرمة الآمن أن يكون لمعانيها السماوية الأثر الأكبر فى مقرراته العديدة ، فلا يرتفع صوت بالانحياز إلى يمين أو يسار ، بل يلتزم جميعها المنهج المتميز الذى يفرضه الإسلام على كل تصرفات المؤمنين .

إن الظروف التى تحيط بواقع المسلمين ، وفى جوها يتم هذا التجمع المرموق ، تستدعى التحرر التام من كل فكرة مفارقة للخط الإسلامى ، وتتطلب من المؤتمرين رؤية جديدة إلى مشكلات العالم الإسلامى ، تحيط بواقعه على اعتباره جسداً واحداً لا يستكمل صحته إلا بالإسلامة أجزائه جميعاً ، فإذا كانت فلسطين والقدس قلب هذا العالم ، فالأفغان عينيهِ ، وباكستان يمينه ، وإيران يساره ، وتركية والفلبين وإندونيسية وتشاد والأريتيرية أجنحته التى بها يخلق وعليها يعتمد بعد الله .. ولا جرم أن كل إغفال لواحدة من مشكلات هذا العالم الواحد جناية عليه كله ..

إن الأرواح الكريمة التى تتخطفها قذائف الوحش الشيوعى فى مدن الأفغان وقرائها وجبالها إنما هى قرايين يقدمها أولئك الإخوة المؤمنون دفاعاً عن الإسلام فى كل مكان ، تماماً كما يفعل شباب الإسلام فى فلسطين والفلبين وتشاد وعشرات الأماكن الأخرى من ديار الإسلام .. فكل هؤلاء مجاهدون لاستبقاء شعلة هذا الدين حية متوهجة على الرغم من كل أعدائه وعملائهم خارج هذا الوطن وداخله .. ولن يجحد هذه الحقيقة قلب وعى تاريخ هذا الدين ومواقف خصومه الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبكل ما يملكون من وسائل التدمير والتشوية ..

ولانى لاكتب هذه الكلمات وفى ذاكرتى صور لا تمحى من أحاسيس

حملتها من رحلتى الأخيرة إلى بعض أجزاء الهند ، فبعثتنى على اليقين بأن كل شىء فى مسيرتها الرسمية يعمل لإعداد جولة خطيرة وهائلة مع باكستان .. وليس من قبيل المصادفة أن يشير الرئيس ضياء الحق إلى هذه التوقعات فى تصريحه الذى أفضى به يوم أمس إلى بعض وكالات الأنباء فى منطقة الخليج .. ولم يعد سرّاً كذلك أن لزيارة برجنيف إلى الهند أخيراً أثرها المباشر فى إيقاد هذه النار ، التى تريد موسكو أن تمكّن لها فى الأفغان ثم تشق لها الطريق إلى إيران ، بعد القضاء على قدرة باكستان العسكرية ، وحتى لا يبقى أمام مجاهدى الأفغان من مجال أو ملاذ سوى الاستسلام للوحش الشيوعى أو الموت الكاسح ... وهذا الهدف الذى تتطلع إليه موسكو منذ قيام باكستان الكبرى ، وحتى بعد تمزيقها إلى دولتين بمعونتها الحربية ، ومساعدة عملائها من حكام العرب ، لم تزل تواصل طريقها للإجهاز عليها نهائياً ، وهذا ما صرح به أثناء وجود برجنيف فى دلهى رئيس وزراء الهند السابق .. الذى أعلن للملأ أن المساعى التى يبذلها برجنيف اليوم للتحريض على باكستان قد درستها روسية معه قبل ذلك ، بزعم أن باكستان تستعد لغزو الهند ، ولا بد من ردعها ، وكسر شوكتها .. ولكن الرجل أكد لروسية يقينه بأن لا أصل لهاتيك المزاعم ، وبالتالى فلا مطمع بجر الهند إلى حرب جديدة مع جارتها ما دام هو على رأس الحكم ..

ومن حقنا ونحن فى غمرة هذا الصراع ، وبإزاء تلك الدسائس التى يراد بها تحطيم الملجأ الوحيد لمجاهدى أفغانستان ، ومن ثم استكمال الطوق الشيوعى حول الجزيرة العربية ، مركز الثقل فى حياة العرب ، ومهوى قلوب المثات من ملايين المسلمين .. من حقنا أن نتساءل : عن المصير الذى سينتهى إليه أمر فلسطين والقدس والخليج وسائر مناطق الوطن الإسلامى وثوراته ، التى هى مطمع الشرق والغرب جميعاً ، إذا ظلّ العرب والمسلمون على فرقتهم التى دمّرت قوتهم ، وضلّت خطاهم ، ومكّنت لأعدائهم من طاقاتهم وإرادتهم ، فكانوا دائماً هم الآخرين ، وكان أعداؤهم شرقيين وغربيين هم وحدهم الراجحون الناجحون .. ولو أنهم عرفوا طريقهم الحق ، وأحسنوا استثمار طاقاتهم فى سبيل مصالحهم على الصورة التى يحبها الله ، لأنقذوا أنفسهم والبشرية كلها من واقعها الرهيب المهيئ ..

● وأخيراً .. إن مؤتمر القمة الإسلامى ،الذى يُعقد هذه الأيام فى ظلال الحرم المطهر هو الظاهرة التاريخية الأولى فى أحداث القرن الخامس عشر الذى يتطلع مئات ملايين المسلمين من خلاله إلى التغيير الجديد ، الذى يرد إليهم الأمن الذى سلبوه ، والعز الذى فقدوه منذ انصرف قادتهم عن المنهج الربانى الذى وضع فى أيدي سلفهم الصالح مفاتيح الأرض ، وأزمة الإنسانية ، التى لم تعرف طريقها إلى العدالة ولم تسمع بشيء اسمه حقوق الإنسان إلا فى ظل الإسلام ، رسالتهم الإلهية إلى أهل الأرض كافة .. فليكن هذا الحدث المرموق نقطة الانطلاق إلى وحدة المسلمين ، وإلى تعاونهم على البر والتقوى ، حتى يعودوا كما يحب لهم الله ﴿ خير أمة أخرجت للناس ... ﴾ تحمل لإخوانها فى الإنسانية نور الله ﴿...كمشكاة فى مصباح،المصباح فى زجاجة،الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ... ﴾ .  
والله وحده الموفق والمستعان .

\*\*\*

## مقدمة كتاب

# الإقضاء العالمى بين الاشتراكية والإسلام

بعض هذه الفصول طالعها إبان صدورها فى مجلة البعث الإسلامى ، وكنت أتشوق لمتابعتها وقراءتها مجتمعة ثم شاء الله أن أكتب مقدمتها - فى الترجمة العربية - فتفرغت للاطلاع عليها جميعاً ، وكانت فرصة مأتعة للاحاطة بمبادئها وغاياتها وهى متصلة الحلقات ، يوضح بعضها بعضاً ، ويمهد بعضها لبعض ...

وعلى الرغم من أنها كتبت قبل الكثير من التطورات الأخيرة التى انتابت الأوضاع الدولية ، والأفكار العالمية ، والتنبيهات الإسلامية فى أوساط المثقفين وأولى العلم ، فقد اشتملت على الكثير من الحقائق الأساسية الكشفية لحقيقة الفروق القائمة بين الإسلام والاشتراكية .. وإنما نظمت هذه البحوث - فيما يبدو لى - لمناقشة المخدوعين بأضاليل الاشتراكية من أبناء المسلمين ، الذين أخذوا بريقها الخادع ودعاياتها النفسية المركزة ، وبخاصة فى شبه الجزيرة الهندية ، وهم كما يستخلص من إشارات الكتاب ، لم يقبلوا على هذه المذاهب الدخيلة كفرةً بدينهم أو إثارةً لها عليه - فى بادئ الأمر - بل كانوا مدفوعين إلى ذلك بياعث الجهل لحقيقة الإسلام أولاً ، ثم امتلاء ذهن بالأحلام الزائفة التى صورت لهم تلك النحل الشيطانية فى قمة الحلول العادلة لمشكلات البشرية .. ولهذا عنى المؤلف المؤمن - رحمه الله - بعقد المقارنات الدقيقة بين واقع الاشتراكية - على اختلاف ألبستها - ومثاليات الإسلام الذى يهدى دائماً وأبداً للتي هى أقوم .. وليست هذه القضية فى تقويمها الحق سوى ظاهرة رائعة من النشاط الفكرى الحى ، الذى ينهض به العقل الإسلامى فى تلك الربوع ممثلاً فى التراث الواسع الذى يكتبه علماء الإسلام هناك ، فلا يلبث أن ينتشر فى جوانب العالم الإسلامى كلها كأشعة الشمس ، تشرق على جانب من الأرض ، ثم تمضى فى طريقها لتعمها جميعاً ...

لقد دُست الدعوة الاشتراكية على المسلمين ، وهم يتخطون في أشارك الاستعمار الذى حطم طاقاتهم ، وسدّ في وجوههم سبل الحياة الكريمة ، وغشّى أعينهم بطلاء حضارته المشككة في كل فضائل الوحي .. وكان حملة هذه الدعوة الدخيلة شديدي الحرص على عرضها في صورة القوة المنقذة من أغلال الذل والتخلف ، إلى جانب حذقهم في التركيز على النفوس الخاوية من حصانة المعرفة الصحيحة لحقائق الإسلام ، فكان طبيعياً أن يكثر ضحاياها في أوساط الجاهلين وأشباه المتعلمين ، ولا سيما أولئك الذين تأثروا بأساليب التفكير الغربى الذى لا يتجاوز نطاق المادة .. ومن هنا فتحت الثغور في صفوف المسلمين لهذه السموم ، حتى بات من غير المستغرب أن تجد إنساناً يجمع في قلبه بين النقيضين ، فيزعم أنه مسلم وماركسى معاً .. بل بات مألوفاً أن تقرأ وتسمع بذلك الشيء الطريف العجيب الذى يسمونه ( اشتراكية الإسلام ) فتؤلف فيه الكتب ، وتذاع فيه الأحاديث ، وتلقى حوله المحاضرات والمناقشات .. وفي بعض هذه البحوث علم وفقه ودين ، وبين مؤلفى هذا الضرب من المصنفات رجال لم تشب أخلاقهم للإسلام شائبة فيما نعلم .. فهم لم يريدوا بما كتبوه نصرة الماركسية وفراخها الإبليسية ، معاذ الله ، ولكنهم رأوا انخداع الشباب حولهم بما نسب إليها من صفات العدالة والانصاف ، فسارعوا إلى عرض عدالة الإسلام العليا تحت الاسم الذى فتنوا به ، ليقرعوا أبواب قلوبهم بحقائق الشريعة الغراء ، ولكنهم مع ذلك مؤاخذون بخطأ التسمية ، لأن شياطين الماركسية ، المزودين بكل وسائل الخداع والاستغلال والتضليل قد عرفوا كيف يستفيدون من هذه العنوانات ، فيوهما أولئك السذج بأن اشتراكيّتهم هي غاية الإسلام ، لأنها السبيل الوحيد لبناء ( مجتمع الكفاية والعدل ) و ( الديمقراطية الاجتماعية ) ... ولا يزال كثيرون من الناس يتذكرون تلك الدعاية المركزة التى استمرت على بثها لمدة طويلة إذاعة إحدى الحكومات العربية التى أوقعها الديكتاتورية في حبال الماركسية باسم ( الاشتراكية العلمية ) مستغلة اسم أحد هذه المؤلفات وشهرة مصنفه الإسلامية ، فراحت تقتطع منه نصاً من هنا ومنتفة من هناك ، وعبرة من



هنالك لتعمق في صدور المضللين من مستمعها شعور التصديق بهذه الانحرافات الخبيثة ، ولم يمنعها من ذلك احتجاج المؤلف — غفر الله له — يومئذ وتسفيه تصرفها غير الشريف على صفحات الصحف ! ..

### (٣)

ولقد كان الجهل بحقيقة الاشتراكية ولا يزال من أكبر المساعدات على انتشارها في غمار العامة وأشباههم .. إذ كان كل ما يعرفونه من أمرها أنها تنظيم اقتصادي بحت ، يصون للعمال والفقراء حقوقهم في الحياة وفي ثمرات كدهم من عبث الظالمين من ملاك المال ووسائل الإنتاج .. لا يتجاوز ذلك إلى أى شيء من مقدسات الناس وكرامتهم الإنسانية وتطلعاتهم الروحية .. ولكنهم ما إن أسلموها ثقتهن حتى وجدوا أنفسهم مقطوعين بعجلتها إلى أعماق الظلمات ، وإذا هم أخيراً في أقصى القاع ، لا يملكون قدرة حتى على رفع أبصارهم إلى ما فوق مواقع أقدامهم ، وهناك فقط علموا أن الاشتراكية ليست تنظيمًا اقتصاديًا صرفاً كما أوهوا من قبل ، ولكنها ( دين شيطاني ) يريد أن يفرض نفسه على كل مقدرات الإنسانية خلقاً وفلسفة وفناً وأدباً وعلماً وسلوكاً .. ثم يجسها ضمن أغلال المادة فلا يسمح لها بالتفكير في ما وراء هذه القضبان من روحانية وألوهية وحشر وحساب .. ثم كان عاقبة ذلك ما نراه من إقدام هؤلاء المضللين على تخريب الحياة كلها بإغراقها في سيل من الكوارث لا يكاد يتصورها الخيال ، لولا بروزها في كل مكان تغلغلت إليه سموم هذه الدعوة اليهودية المدمرة ..

ولا جرم أن المؤلف رحمه الله لو امتدت به السن إلى اليوم ، وأتيح له أن يشهد ما شهدنا وتسامعنا به من جنون هذه النحلة الشيطانية وزوابعها المتبرة في الصين ، حيث قامت زخوف الثورة الثقافية بما عجزت عنه كل الثعابين والجرذان والسباع الضواري في سائر أنحاء العالم ، إلى جانب عملها في المجر حيث سحقت أربعة عشر ألف دبابة روسية أجساد مئات الألوف من الناس الذين جرؤوا على المطالبة بحقوقهم الإنسانية ، ثم في تشيكوسلوفاكية ، حيث

اقتحمت مئات ألوف الجنود الحمر بآلياتهم الجهنمية أنحاء البلاد ، التي حاولت تحرير نفسها من بعض قيود التبعية الشيوعية ، وفي مصر حيث علق كبار علماء الإسلام ورجاله على المشانق ، لأن الطغمة الماركسية قد أبت إلا إغراق الكنانة كلها في بحران من الإرهاب لا يتيح لفرد منها أن يحرك لسانه إلا بالهتاف المزور لصانعي الذل<sup>(١)</sup> .. وفي الشام الجريح حيث دفعت المصفحات - المشتراة بأموال المسلمين لقتال عدو الإسلام - إلى حرم المسجد الأموي تحصد بالرصاص الأحمر القائمين والراكعين والقارئون ، وإلى قلب مسجد سلطان - بحماة - فتهدمه على رؤوس العشرات من المصلين العزل إلا من إيمانهم بهذا الإسلام<sup>(١)</sup> ، وفي العراق من قبل ومن بعد حيث سُجن الأبرياء ، وأعدم بمحاكم هزلية عشرات الشرفاء ، ودفن في الرماد أكداس الأحياء ، وأخيراً ما صرنا إليه من هزائم حزيران التي توجت بها الاشتراكية المذلة جرائمها في تحطيم الطاقات الإسلامية ، والحيلولة بينها وبين الدفاع عن بقية الوطن الإسلامي في قلب الديار العربية ، ثم ما تواجهك اليوم من عدوان صارخ تجتاح به الوثنية - ومن ورائها أعوانها الطغاة من موسكو وواشنطن وتل أبيب - حرمت الأرض الطاهرة - باكستان - التي أقامها الإسلام لتكون مجال التطبيق العملي لنظامه الأمثل في العالم الضائع ، فأبى حكامها الرائفون إلا أن يجردوها من كل المقومات الإسلامية ، حتى فتحو حصونها للاشتراكية الهدامة ، فإذا هي تقتحم القلوب الفارغة من معانيه العليا ، ليكونوا الأدوات المنقذة لأهداف الوثنية الهندية والبلشفية الصينية والروسية ، فيعملوا في أمتهم من ألوان الفتك مالم يخطر حتى في تصورات الوحوش الضواري .

أجل .. لو أتيح له أن يرى ذلك وأشباهه من مذابح ومحارق الاشتراكية في قلب الوطن الإسلامي وما حوله .. لما اكتفى بصفحاته هذه ، ولوجد المجال متسعاً لأضعاف ما كتب ولإيراد أضعاف ما عرض من شواهد ، بل فضائح هذه النحلة الشيطانية ، التي لم يعرف التاريخ قط وسيلة أنجع منها في الهبوط بمكانة الإنسان إلى أدنى دركات الحيوان ..

---

(١) من عجائب قدر الله أن معظم الذين تولوا هذه الكباير قد انتهوا إلى مصايرهم العادلة ، فهم بين صريع برصاص غدره ومحكوم بتهمة الخيانة العظمى ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ .

ومن مقتضيات المقارنة بين الإسلام والاشتراكية أنها تسوق إلى الكلام عن الجانب الآخر من الجاهلية العالمية الجديدة ، وكذلك فعل المؤلف إذ تناول بالنقد العلمى نفسه معائب الرأسمالية وعواقب بغيها الرهيب وأبرز بإنصاف العالم الدقيق دورها فى التمهيد لذلك الطغيان ، الذى هدم السدود الخلقية ، التى أقامها الوحى والحضارة وتجارب عشرات الأجيال من حكماء البشر فى وجه الغرائز المنحطة ، التى فجرتها التحريضات الاشتراكية فى صدور الطبقة العاملة ، فجعلت منها ألغاماً تنسف كل ما بنته الإنسانية من مشاعر الاستقرار والمودة والخير .. وبذلك كشف الستار الموهوم عن مدى القرابة بين الاشتراكية وأختها الفوضوية من جانب ، وبين الرأسمالية الباغية المستهترّة من جانب آخر ، إذ تبدو الرأسمالية على حقيقتها الأمّ الوالدة سفاحاً لكل المذاهب الاشتراكية ، إذ كانت كلها بمثابة ردود فعل لفسود النظام الرأسمالى الذى سيطر على كل شىء ، وأحال المجتمع العامل إلى أرقاء محرومين من كل وسائل الكرامة والعدالة ، فكان لابد لمثل هذا الطغيان المدمر من أن يحرك أولى الفكر للبحث عن أسباب الوقاية من ذلك الوباء الكاسح .. فكانت هذه المذاهب التى أتمت دور الرأسمالية الغربية فى تخريب الحياة البشرية .. لأن من طبيعة الوباء أن يوقظ أقصى طاقات الجسم الموبوء ، فيكون رد الفعل لكل صدمة متناسباً مع ثقلها ..

وهكذا قوبل نزوع الرأسمالية إلى التهام كل شىء بالاشتراكية التى تستهدف تجريد الإنسان من كل الوسائل التى تمكنه من السيطرة على أى شىء! ..

وبإزاء هذا النقد الموضوعى الرصين المنصف لكلا النظامين الهدامين ، يأتى مجهود المؤلف الموفق فى عرض عظمة الإسلام واحتوائه كل الأسباب التى من شأنها حماية الجنس البشرى من الانحرافات المهددة لأمنه .. فبينما تعطى الرأسمالية الفرد كل الحرية فى تسخير القوى الإنسانية لمصلحته بكل الوسائل الممكنة حتى القانون والاحتكار والاستعمار .. والتحكم فى مختلف المرافق الحيوية دون تحديد .. وبينما تقيد الاشتراكية حريته حتى تمسخ إنسانيته ،

وتلغى فطرته ، لتجعل منه أداة إنتاج لمصلحة الطبقة الحاكمة وحدها .. بينما يحدث ذلك يتقدم الإسلام بحلوله العملية المبرأة من كل نقيصة ، إذ يقيم كيان الإنسان على أساس الإيمان بالله رب كل شيء وخالق كل شيء ، فيجمع بذلك أفراد المجتمع البشرى على دستور الأخوة ، الذى يحدد للفرد مجاله الحيوى

ضمن مصلحة الجنس كله ، فالفرد فى ظل هذا النظام الربانى مطلق الطاقات ، يضرب فى مناكب الأرض للحصول على الثروة ، ولكنه ملزم الوقوف عند حدود مصادرها المشروعة التى لا ضرر فيها ، ولا ضرار ، وملزم المشاركة فى تأمين كيان الجماعة بأداء حقها من جهده ، ثم بترك ثمار مساعيه أخيراً لتأخذ طريقها إلى التوزيع ، فلا تجتمع فى يد واحدة على حكم القانون الانجليزى أو الوثنى .. ولا توقف على الكلاب والقطط على طريقة حماقة الأميركية .. وفى أثناء ذلك يحرم عليه استغلال درهم واحد من ماله فى امتصاص جهود الآخرين عن طريق استخدامهم لإثراء ثروته بالرأى الذى لا يشارك فى أى جهد ، كما يحرم عليه احتكار ضروريات الحياة للحصول على المزيد من الربح ، ويعتبر مجرد كنز المال ، بعزلة عن مجال النشاط ، المساعد على توسيع دائرة النفع العام ، جريمة تستحق العقاب الأليم .. إلى آخر ما هنالك من عوامل التضامن الأخوى ، الذى يضع الثروة على اختلاف صورها فى مكانها الطبيعى ، وسيلة للسعادة التى يستأهلها المخلوق ، الذى أكرمه الله فأسجد له ملائكته ، ونفخ فيه من روحه .

وبمثل هذه الموازنة الرائعة يزيّف المؤلف ادعاء أولئك المخدوعين والخادعين الذين يزعمون أن الإسلام هو الاشتراكية ، أو أن فى الإسلام شيئاً من هذه الاشتراكيات التى تدمر هناءة الشعوب ...

\* \* \*

وأخيراً ... إن المدقق فى تضاعيف هذا الكتيب ليقدر للمؤلف المؤمن - رحمه الله - جهده المشكور فى خدمة الحقيقة ، ويتوقع مخلصاً أن يكون عمله هذا أحد الميراث الثلاث التى إذا مات المؤمن انقطع عمله إلا منها - كما ورد فى الحديث الصحيح

وأما بالنسبة إلى مترجمه فألى جانب مشاركته فى الأجر الذى نرجوه له من الله على نقل هذا البحث النافع إلى قراء العربية ، لا يسعنا إلا أن نستشعر الكثير من الغبطة إذ نعتبر عمله هذا إحدى ثمرات الجامعة الإسلامية التى نتوقع لها إخوات وراء أخوات بفضلله تعالى ومنه ، إنه نعم الموفق والمستعان ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على مصطفىاه الأمين للناس أجمعين .

\*\*\*

## متى يدرك المسلمون أنهم المسئولون ؟

«بالأمس أصدرت محكمتنا العليا قراراً يعتبر عملاً غير دستوري كل تعليم ديني يقدم للأطفال في مدارسنا .. وأن مما يناقض روح الدستور الأمريكي أن ندمج في برامج التعليم أية معرفة عن الله .. وإنك لترى اليوم خمسة وثمانين مليون أمريكي أي ٦٣٪ من السكان لا ينتمون لأي كنيسة .»

وبالأمس كذلك أصدرت إحدى الولايات قراراً حرمت به إعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى أثر ذلك ، انعقدت المحكمة العليا بالولاية وأصدرت حكماً بعدم شرعية هذا الحكم ومخالفته لروح الدستور .. »

هذه الفقرات ليست من بنات الخيال ، ولكنها جزء من خبر طويل أثبتته مجلة ( دعوة الحق ) المغربية في نهاية صفحاتها التي تنشرها عادة تحت عنوان ( من أنباء العالم الإسلامي ) .. وذلك في عدد ربيع الآخر<sup>(١)</sup> من عام ١٣٩٢ هـ ، وقد نقلته بدورها من تقرير ( نشرته إحدى المجلات المسيحية على لسان طبيب أمريكي ) وكان الأحوط أن تقصيه وأشباهه عن ذلك الجانب الذي يتوقع القارئ أن يكون خاصاً بالعالم الإسلامي - كعنوانه - إذ لولا ما ينطوي عليه من ذكر أمريكا والأمريكيين والدستور الأمريكي ، لكان من حقه أن يزلزل أعصاب القارئ المسلم خشية أن يكون بلد من وطنه العالمي قد سقط إلى هذا المستوى الشيطاني ...

وإذا أنعمنا النظر في محتوى هذه الفقرات الغريبة وجدنا خلاصتها كما يلي :

١ - أن الكيان القانوني لأرق دول العالم المسيحي يقوم على نفى الروح الدينية عن نطاق التعليم ، وتجريد الفرد الأمريكي من كل أثر للمعرفة عن الله ! ..

---

(١) ربيع الآخر وجمادى الآخرة ولا يقال فيهما الثاني والثانية ، لأنهما لا ثالث لهما .

٢ - أن أمريكا قد بدأت تقطف ثمرات هذا التدمير الروحي بما سجلته نسبة ضحاياه التي توشك أن تأتي على ثلثي المجتمع الأمريكي ١ .

٣ - أن حرية الفحشاء في أوساط الجامعات وسائر الفتيات الأمريكيات ( حق مقدس ) لا يجوز لسلطة أيأ كانت أن تمسه أو تعترضه .. وأن على المجتمع الأمريكي أن يتقبل بكل تقدير سيل اللقطاء دون أن يسأل عن مصدرهم ١ .

ولو أن مفكراً مسلماً قرأ هذا الخبر قبل مئة سنة لا كفى بإبداء عجبه ، مع الحمد لله على سلامة أمته من ذلك الوباء ، أما الآن ، وقد بات العالم أضيق مساحة من بلدة كجدة ، لا تكاد فتنة تنجم في زاوية منه حتى تتسرب في اليوم نفسه إلى سائر جوانبه .. كالحريق يشب في بيت لعدوك المجاور فلا يسعك إلا أن تتخوف امتداده إلى حجرتك .. أما الآن وبإزاء هذا التقلص ، الذي أحدثه العاكس الفلكي<sup>(١)</sup> وما وراءه من التلفاز والإذاعة والكتاب والجريدة في كيان الإنسانية ، فلن يجد هذا المفكر المسلم مسوغاً للاطمئنان على نفسه ، فضلاً عن من حوله من أهله ، عندما يقرأ النذر عن مثل هذه الأوبئة .. ومما يضاعف قلقه من زحفها ما يعلمه من تضعضع المعادل الروحية في أنحاء الوطن الإسلامي ، بحيث أصبح مكشوفاً لكل وافد من السموم الخائقة ، بعد أن ألقى بأزمته إلى هؤلاء الموبوتين من الغرب والشرق ، يتتبع مسالكهم ، ويعتقق مناهجهم ، ويتخلى لهم عن بقية حصونه الواحد تلو الآخر .. حتى إن جيلاً من المخذوعين بطرائق أولئك الموبوتين قد تكفل لهم بإيصال سمومهم إلى كل عضو من جسم هذه الأمة ، فليس عليهم إلا أن يأمرؤا ويشيروا فينفذ ، ولو كلفته هذه التبعية بتر كل صلة له بماضيها وتراثها ومقوماتها ، التي بها ثبتت في وجوه الأعاصير إلى اليوم ..

أجل .. إن سقوط العالم المسيحي شرقياً وغريباً ، لا مناص من أن يجر معه إلى الهاوية سكان الكرة الأرضية جميعها ، لأن هؤلاء قد ارتبطوا بعجلته المتدهورة راضين أو كارهين ، فالصير واحد للجميع ، وإن تأخر بعض عن بعض .. وقد كان ثمة بصيص من أمل في بقية رجال الدين في الغرب ،

(١) نريد به التل ستار .

أن يتداركوا الخطر بتنبيه مجتمعاتهم إلى هول الكارثة التي هم في الطريق إليها .. ولكن هذا البصيص قد انطفأ نهائياً منذ أن قضت اليد اليهودية على سلطان الكنيسة الروسية ، وباشرت التهديم في أسس المسيحية الغربية حتى في أوساط رجال الدين أنفسهم ! .

لقد انجرف قسوس الغرب مع القطيع الضال ، فبدلاً من التشمير لموقف الانهيار أسلموا أنفسهم لما يحسبونه تطوراً لا مندوحة من قبوله ، وهكذا بدأ العالم يرى قسساً هيبين ، وقسساً يدعون إلى عبادة الشيطان والمسيح معاً ، وآخرين ينادون بإباحة اللواط ، وبأمر من كبارهم تنشأ مشارب الخمر ومحافل الرقص إلى جانب الكنائس ، استهواء للشباب الذين ضاقوا بطقوس القدايس . وقد شاء الله أن أرافق ذات يوم قسيساً من هؤلاء في جو الحرية الأمريكية ، فكان أغرب ما سمعته منه هو إيمانه المطلق بحق الإنسان في تحقيق رغباته دون أن يخضعها لأي اعتبار اجتماعي ؟ (١) !

وإذا كان في هذا كله من دلالة فعلی أن الحضارة الغربية قد انتهت إلى الوضع الذي واجهه العالم قبيل مبعث خاتم النبيين ﷺ الذي يصف ذلك الواقع الرهيب أبلغ وصف حين يقول : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا من بقايا أهل الكتاب » (٢) وإنما مقت الله عباده أيامئذ لأنهم تخلوا نهائياً عن مقومات الخير ، حتى لم يبق فيهم من يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر ، سوى أفراد من حملة العلم الرباني لا يكاد يستجيب لهم أحد .. وهل نحن في حاجة للتوكيد على دقة المطابقة بين اليوم والأمس .. بين ذلك الانهيار العالمي الذي شهدته إنسانية ما قبل البعثة الإسلامية ، وانهيار اليوم الذي نشهده ، ونلمسه في تداعي الكيان الغربي ، الذي يزلزل الأرض تحت أقدام البشرية ! .

لقد بدأت المؤتمرات السليمة تسجل هذه الحقيقة ، حتى في قلب المعترك الغربي ، فتنتلق بعض الألسنة بالتحذير من هول المصير ، وقد كانت هذه الألسنة صريحة في تحذيرها ، فلم تعتمد إلى الرمز والألغاز ، بل كشفت للعالم معالم الكارثة بما سمته ( سقوط الغرب ) و ( سقوط الحضارة ) وما إلى ذلك

(١) في العدد ٣٢٥٥ من / الشرق الأوسط . في ص ١٦ من العدد ٣٢٥٥ من الشرق الأوسط خبر عن تقرير جاء فيه أن واحد من كل ٣ من رجال الكنيسة مصابون بالشذوذ .

(٢) رواه مسلم في حديث طويل



من مؤلفات كانت جديرة بإيقاظ الوعي في قلوب الشعوب ، لو أبقى لها  
الانسياق الضريع خلف الغرب قدرة على التفكير الصحيح ...

ولقد كان بين المفكرين بعض الخلاف حول الصلة بين ديمقراطية الغرب  
وشيوعية الشرق ، من حيث المصدر والأثر .. وكثيرون يحسنون الظن بأنظمة  
الغرب لما توفره من حرية التحرك للإنسان الغربي ، على خلاف ما يعانيه إنسان  
الشرق - الشيوعي - من ثقل الأغلال التي تسلبه كل حق إلا حق الخضوع  
للطغمة الحاكمة .. وقد نسي هؤلاء وأولئك في معترك خلافهم أن الشيوعية  
ليست إلا قمة الانهيار الذي يسوق إليه فساد التصور الديني ، الذي يحجب  
الفطرة البشرية عن نور الله ، ويصرفها عن الطريق القويم إلى سعادتها الحقة ..  
وقد أثبتت شواهد الحياة في مختلف أحقاب التاريخ أن هذا الإنسان لا يعرف  
الحرية الصحيحة والاطمئنان النفسي إلا بقيادة النبيين وأتباعهم من المصلحين ،  
وأن كل زيغ عن طريقهم مهما يكن قليلاً مؤدبه إلى أسوأ العواقب ، فكيف به  
حين يعرض كلياً عن دعوتهم ويلقى بنفسه في أحضان الشياطين ، وهو يحسب  
أنه يحسن صنعا ! ..

يمكن للإنسان أن يوغل في مجاهل الكون حتى يستكشف كل مخبأته ،  
يفسخر الهواء ، ويمتطي ثير ، ويقصر المسافات .. ويتضخم شعوره بذاته  
حتى يمسي كالبالون البالغ حدود الانفجار .. ولكن إنسان الآلة هذا لا يعرف  
السييل إلى مصلحته ، بل إن كل مجهوداته ستتجه به إلى تدمير نفسه في  
النهاية .. ولا غرابة ولا عجب لأنه تمرد على السنن الكونية ، فأصبح وجوده  
كالقاطرة التي يقودها سكران .. وهذا ما صار إليه ذلك المخلوق الضائع في  
صحراء الحضارة الغربية .. آمن بالمادة وكفر بخالقها ، فجنى بذلك على  
جنسه ، إذ فقد نعمة الاستقرار والأمل بما وراء المادة .. وما أحسب عبارة  
أصدق تصويراً لهذا الضلال الشقي من قول نيكسن - رئيس الولايات  
المتحدة - السابق في بعض أحاديثه عن المجتمع الأمريكي : ( نحن أقوى دولة في  
العالم ، ولكن في أعماقنا مرضاً خفياً ، يمزقنا من الداخل ) وأى مرض أفنك في  
كيان مجتمع من هذا الذي يصوره ذلك الطبيب - الذي نقلنا بعض كلامه عن  
( دعوة الحق ) - حين يقول في تقريره ذاك : ( إن الممثل الهزلي يتقاضى مليون  
دولار في العام ، على حين لا يزيد دخل الأستاذ في مدرسة عالمية عن ألفي

دولار ، وبلغ عدد القتلى في حرب فيتنام خلال تسع السنوات ثلاثة وأربعين ألفاً ، في حين أن ضحايا السائق المخمور في شوارع أمريكا بلغت أربعة وعشرين ألفاً في غضون هذه المدة ، وقد كشفت الإحصاءات عن أن عشرين ألفاً يقتلون سنوياً بإطلاق الرصاص عليهم ... ) .

على أن أفجع المفارقات في هذا المجتمع المريض هو أنه كلما أوغل في شقائه أسرف في البعد عن أسباب شفائه ، حتى يجعل تجهيل الأجيال الناشئة بربها ، وإقصاءها عن معرفة خالقها عنصراً أساسياً في دستورهِ ، يحميهِ القضاء ، وتحرصه الدولة ..

وطبيعي أن مرض الكفر والتجهيل ليس مقصوراً على أمريكا والأقطار الشيوعية ، بل هو طابع الحضارة المادية في سائر مصادرها الغربية .. وحسبنا أن نشير هنا إلى تلك الظاهرة المذهلة التي تجلت في بعض كبريات الصحف الفرنسية يوم زيارة بابا روما لفرنسة ، إذ كتبت بالخط الطويل العريض ، وفي صدر صفحاتها الأولى : ( ألفا سنة من عمر الكنيسة تكفى .. ) وليس ذلك إلا ترجمة لمشاعر ملايين المثقفين في فرنسة وأوربة تجاه المسيحية ، يعلنون بها أن المسيحية - لا الكتلكة فقط - قد استنفدت أغراضها ، فلم يعد للمجتمع بها من حاجة ! .

\* \* \*

وأخيراً .. هل يعنى ذلك أن الأضواء قد انطفأت كلها ، فلم يبق للبشرية من رجاء في معرفة سبيلها الراشد !!

قد يكون الرد على هذا التساؤل إيجابياً لدى الكثرة من الناس ، لأن اليأس من قدرة العقل البشرى على الوقوف بوجه القاطرة الهاوية قد بلغ ذروته في نفوسهم .. ولكن لن يكون كذلك عند أولى العلم من بقايا المؤمنين في عالم الإسلام ، بل إن ترايد الظلمات في حياة البشرية من شأنه أن يزيدهم ثقة بأن خلاصها موقوف عليهم ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، وحملة مشاعله التي أعادت للأرض نور ربها من قبل ، فكما أنقذت سفينة الإنسانية من الدمار في فجرها المشرق ، فهذهت إلى

مسالك النجاة ، كذلك هي اليوم ، لا تزال مسؤولة عن مهمة الإنقاذ للقاطرة  
التي أصبحت على قاب قوسين من الكارثة ..

أجل .. إن أمراض المجتمعات المادية شرقية وغربية لا شفاء لها إلا في  
صيدلية الإسلام .. ولكن أين هم الأطباء الذين يحسنون إقناع المرضى بهذه  
الحقيقة ؟! .. ومتى يدرك المسلمون أنهم المسؤولون عن مصير هذه الإنسانية  
الضائعة أمام الله .. ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب  
سليم ﴾ ؟!

\* \* \*

## لكم نرتفع إلى مستوى المسئولية

في فجاري التاريخ مراكز انطلاق أشبه بأجهزة التقوية في طريق التيار الكهربائي ، ما إن ينتهي إليها كل منعطف حتى يستأنف سيرته بنشاط مجدد ، ولكن كثيراً ما تشبه المسالك على بعض البشر فيتوهمون كل منعطف نقطة اندفاع إلى الأعلى ، ثم لا يتبينون خطأهم إلا بعد فوات الأوان .

ولقد تحقق لدى أولى العلم بعد المرير من التجارب أن مراكز الانطلاق الصاعد في مراحل التاريخ البشري ليست سوى تلك الانفجارات النبوية التي أقامها الله ضوى مضيئة في طريق الإنسانية ، تحدد لها خط السير الأمين ، وتكشف لأعينها ما انطمس من معالم الجادة بين الحين والحين ، وقد شاءت عناية الله بالجنس البشري أن تتابع عليه أضواء السماء منسكبة من مشكاة النبوات عبر التاريخ ، يحمل كل نبي رايتها في نطاق قومه ، فيعدونهم بذلك للتلاقى تحت لواء خاتم النبيين ﷺ الذي عيّن الله مهمته منذ أنزل عليه في محكم كتابه المبين : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

وهكذا كان مبعث هذا النبي الحبيب مبدأ الوحدة الإنسانية التي جعلها الله الغاية الحتمية لكل تطور حضارى على هذا الكوكب .. وبذلك احتلت منه مركز القيادة العالمية ، إذ أصبحت مناط رجاء الإنسانية كلها في توطيد الإخوة والإجهاز على حُمى العصبية والطائفية ، التي من شأنها أن تحول دون كل استقرار أو سلام .

ولقد فهم المؤمنون الأولون من عرب الجزيرة هذه الحقيقة ، فأدركوا عِظَم الدور الذي اختارهم الله لأدائه فوهبوا له أنفسهم ، ووقفوا عليه وجودهم ، واندفعوا بلواء السماء يردون للفكر المقيد حرية ، ويُعيدون للشعوب الضالة اعتبارها ، وينفضون عن المرأة - وهي نصف الإنسانية - غبار الحقارة والهوان ، ويصرخون برجال الدين المتآمرين مع الظالمين : ارفعوا أيديكم عن المظلومين ، فليس الدين استئثاراً ولا استغلالاً ، ولكنه أخوة

ورحمة ومساواة ، ثم يهيبون بجزارى الأمم من الحاكمين : إنما هؤلاء عباد الله : « ابتعثنا لإخراجهم من عبادتكم إلى عبادته وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » وسرعان ما تبدلت المفهومات فى ظل هؤلاء المنقذين ، فإذا البشرية المعذبة تفتح أبوابها لهم ، وتتسابق إلى الاستغلال برايتهم ، وتهافت فى لهفة وطمأ على عقيدتهم ، فتشرق الأرض بنور ربها ، وتعرف البشرية لأول مرة عن طريق هذه الأمة الجديدة معنى الأخوة والحرية والإنسانية .

وكان طبيعياً أن تستمر الشعلة الإلهية فى التهابها ، لولا أن كواهل العرب تعبت ذات يوم من أعباء المجد ، فوسوس لهم الشيطان أن يستريحوا فى منحدرات الإثم ، التى جرفت الأمم قبلهم ، فإذا هم مقبلون على السموم المختلفة الألوان والأسماء يتجرعونها مجوناً يقتل الرجولة ، وخلاعة تحطم الأخلاق ، ونظريات مزوقة تشل العقول وتفسد القلوب ، وتحجب عن الفطر الصافية أشعة الوحي !..

ولابد لكل انحراف من جزاء وهكذا جاء تأديب السماء نكبات جائحة من وراء الحدود ، ومؤامرات كاسحة من داخل السدود ، تندفع لتتعاون مع الغزاة الغرباء على تقويض كل ما شيده الآباء !..

ولكن الله شاء أن تتحقق الأعجوبة ، وذلك أن الإسلام الذى ملم ظلاله عن بعض المناطق ما زال باقياً يزود الثابتين من المؤمنين بالمدد الذى لا ينفد حتى انجابت ظلمة الصليبيين بالجلاء ، وانتهت فواجع التتار إلى أغرب انتصار إذا ابتلعتهم لجج الإسلام ، فاستحالوا من غزاة يدمرون ويفتكون إلى مؤمنين مجاهدين يحملون راية السماء إلى مناطق جديدة من الغرباء .

ونحن لو وقفنا قليلاً على أحداث التاريخ هذه نُنعِم النظر فى أسرار كل نكسة ونبضة ، لرأينا كلا من هذه وتلك عائداً إلى قانون ربانى محكم ، ترتبط نتائجه بمقدماته ، ارتباط السبب بمسببه ، دون خلل أو تخلف ، فكل انحراف عن طريق الله مؤد إلى الهاوية التى لا مخرج منها ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ولا خلاص من ذلك الشقاء إلا بالعودة إلى مخطط السماء ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى

عزيز ﴿ ومهما أجلو لك الليل فالطريق إلى النصر مفتوح ، ولا يئأس المؤمن من رحمة الله متى أخذ نفسه بطاعته ﴾ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

ولقد ينفعنا اليوم ، والإسلام يخوض إحدى معاركه التاريخية الكبرى ، أن ننظر في عوامل النصر الذي انتهت إليه معاركنا مع التتار والصليبيين ، بعد تلك العوامل الانتكاسية التي مكنتهم قبل ذلك من اقتحام الوطن الإسلامي . وفي اعتقادي أننا لن نلبث إلا قليلا حتى نرى أنفسنا تلقاء صورتين لا الثالثة لهما .

أما إحداها فقيادة عسكرية يوجهها صفوة أبطال الإسلام : « عماد الدين زنكي وابنه الشهيد نور الدين وصلاح الدين وقطر وبيبرس ومن دار في فلکهم وتفاعل بطريقهم من جنود الإيمان .. ثم قيادة فكرية تتركز في الصفوة من أبطال الشريعة كابن تيمية والعز بن عبد السلام ، والعديد من الذين عاشوا في جوهما الروحي ، الذي ألهب المشاعر ، وفجر الطاقات ، وعبأ قوى الأمة للنضال الظافر .

إن ذلك التعاون المحكم بين سلطان الشريعة ، الذي احتل مركز الأمر المطاع وبين القوة الضاربة التي وقفت عند حدود التنفيذ الحازم لأحكام الشريعة ، هو الذي ضبط الأمور ونظم القوى ، ومن ثم وضع طاقات الأمة كلها في طريق النصر ، وطبيعي أنه لولا هذا التجاوب الفعال بين الجانبين لاستحال على أيهما منفرداً أن يثبت يومئذ في مهب تلك الأعاصير وقتاً طويلا ، ولقد جربنا هذا الضرب من التعاون في معاركنا المعاصرة ، جربناه في الكفاح الطويل الذي خاصته الجزائر طوال عهد الاستعمار الفرنسي ، وبخاصة في ثورتها الأخيرة التي كان وراءها عبد الحميد بن باديس ورجال مدرسته المجدة من علماء الجزائر .. وجربناه في فلسطين التي لم تخسر معركتها إلا بعد أن استبعد الإسلام عن مركز القيادة في كفاحها ضد الصهيونية والاستعمار ، وكذلك جربناه في مراكش وتونس وطرابلس ومصر وفي أفريقية السوداء ، فكانت الدلائل قاطعة مانعة على أن الروح الإسلامية هو القوة التي لا غنى عنها في معارك الحرية ، والعامل الذي لا مثيل له في تعبئة المشاعر ، وتوطين النفوس على الصبر المحقق للنصر ...

وإذا كان في وقائع التاريخ من عبر يستنتجها الدارسون ، فالعبرة التي يجب على العرب والمسلمين أن يتعلموها من تاريخهم هذا هي أن كل محاولة لعزل الإسلام عن

نضالهم في سبيل أهدافهم العليا إنما هي لعبة فاشلة ، لا حصيلة لها سوى تفريغ جهودهم من المحتوى الروحي ، الذي لا بديل عنه في تحقيق العظيم من الأهداف .

هذه حقيقة لا يجوز أن تغيب عن أذهان العاملين في ميدان الإصلاح الاجتماعي والسياسي لهذه الأمة ، وهي أحق بالاستحضار في هذه المناسبة المباركة ، مناسبة ميلاد الرسول ﷺ الذي به دخل العرب أبواب التاريخ العالمي ، وبه بدأت الإنسانية على أيديهم تاريخها الصاعد .

إن العالم الإسلامي ليستقبل هذه الذكرى العزيزة وهو يترنح تحت ضربات النوازل .. ولكنه على الرغم من ذلك محتفظ بصبره ومؤمن بأن المستقبل للإسلام .. هذا النظام الذي يثبت التطور البشري كل يوم أنه هو وحده الحقيقة الكبرى التي تنطوي على أصح الحلول لمشكلات إنسانية جميعاً .. وهو مؤمن كذلك بأن هذا الإسلام كدأبه ، سيتلع اليسارى من أبنائه الذين يعادونه اليوم لجهلهم بفضائله ، كما ابتلع من قبلهم الملايين من الذين خيل إليهم أنهم قادرون عليه ، فأتاهم من حيث لم يحتسبوا ، وإذا هم بين عشية وضحاها من أصدق أوليائه وأخلص أصفياه .

وجدير بشباب الإسلام في غمرة هذه الذكرى المجيدة أن يشحذوا عزائمهم لاستئناف الكفاح الذي يدعوههم قائدهم المصطفى لخوضه ، إذ ينبئهم بأنهم لا بد مقاتلو اليهود فقاتلوهم ، وإذ ييشرهم بأنهم لا محالة مجددون للزحف المقدس حتى يفتح الله عليهم رومة ، كما فتح على أسلافهم القسطنطينية . لقد بشر النبي ﷺ آباءنا الأولين بافتتاح مكة والشام ومصر وعاصمة هرقل ، وبالانتصار على فارس والروم ، فما ارتابوا بما سمعوا على ما فيهم من ضعف في العدد والعدة ، بل أخذوا في إعداد أنفسهم لتنفيذ المخطط السماوي بكل ما استطاعوا من جهد ، وإننا لنقرأ اليوم في أحاديثه الثابتة ما ييشرنا بالانتصار على اليهود ، وتحطيم الاستعمار الغربي في صميم قلاعه ، فما ينبغي أن يشغلنا ضعفنا الحاضر عن التفكير بذلك المستقبل الباهر .. ولتكن الحن التي نمر بها هي المصهر الذي يصفى العزائم ، ويحرق عوامل الضعف ، ويمكننا من الارتفاع إلى مستوى المهمة التي وضعها على عواتقها هذا النبا العظيم .. وبهذا الإعداد وذلك التصميم نحقق لصاحب الذكرى الحبيبة أفضل ما يرضيه من التكريم ، وبعض ما يستحقه من التعظيم .

فاللهم صل على محمد في الأولين والآخرين واجعلنا بهديه عاملين وبرسالته

جديرين .

## يا حُكَّامَ المُسْلِمِينَ ... أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ

لعل بعض القراء يقفون مترددين أمام الوقائع التي أوردها بيان الأمين العام الخاص بالعلاقات الخارجية لجهة مورو ، والمنشور في مختلف الصحف العربية مؤخراً ، إذ يخطر في بالهم أنها كغيرها من ظواهر الدعايات القائمة على التضخيم ، وما هي في الحقيقة سوى خطوط مصغرة لحقيقة لا تتسع لها البيانات .

لقد شاء الله أن أطالع هذا البلاغ بعد ساعتين فقط من سماعي وصفاً شفهيّاً لبعض ما يكتنف مسلمي الفلبين من أهوال ، فكان ذلك هو الباعث لكتابة هذه الكلمة التي أخرت من أجلها الكثير من أعمالى الهامة .

لم يمض على وصول محدثي من الفلبين سوى أيام ، وقد جاءنى لدراسة مؤهلاته وتعيين مكانه من مراحل الجامعة الإسلامية ، فما إن استشعر اهتمامي بأنباء بلده حتى غلبه الدمع وراح يفضى إالى بالرهيب الغريب من مآسى ذلك البلد الإسلامى السليب .

يقول هذا الفتى : إن قوات ماركوس ماضية في انتهاك حرمت المسلمين والتنكيل بهم ، في وحشية لا يمكن وصفها فهي لا تكتفى بقتلهم بل تحرق بيوتهم ومساجدهم وتتلغ مصاحفهم وتمحو آثار وجودهم ، وقد تألفت من هؤلاء القتلة منظمة سرية باسم ( باليك بيان ) تخرج تشكيلاتها ليلاً إلى مناطق المسلمين ، فإذا أقبلوا على البيت بادروا أهله بالتحية من الخارج ، وما إن يفتحون لهم الباب حتى يفاجئوهم بالرصاص فيأتوا على آخرهم .

ويمضى هذا الأخ في حديثه المثير ، فيذكر أن هذه السلطات الباغية زيادة في التضيق على المسلمين قد أحاطتهم بضروب من الحصار توشك أن تقضى عليهم بغير قتال ، ذلك أنها قيّدت جركتهم فلا تسمح لأحد منهم بمغادرة



منطقته إلى سواها، حتى الصيادين حظرت عليهم الخروج إلى البحر ،  
والفلاحين منعهم الوصول إلى حقولهم ، وهذا الحصار قائم في كل مكان يقع  
تحت سلطات هؤلاء البغاة من ديار المسلمين هناك .. وقد امتد إلى مصادرة  
الأفراد لمجرد التوهم ، أو لعلاقة بعض أقربائهم بحركات المجاهدين ، من ذلك  
اعتقالهم السيد عبد الغفور ألتو محافظ لاناو الجنوبية ، لأن ولده أبا الخير يقود  
مجموعة من المجاهدين ، والسيد ليمفى لأن زوج ابنته يعمل في صفوف المجاهدين  
أيضاً .

وعلى الرغم من كل هذه الأحوال لا يزداد المجاهدون إلا اندفاعاً واستماتة  
لأنهم موقنون أنهم إنما يدافعون عن الإسلام ، وعن بقائه في هذه الديار ، كما  
فعل أجدادهم في مواجهة الغزو الأسباني الأول .. وقد ملأتهم التجارب المرة إيماناً  
بأنهم تلقاء أمرين لا ثالث لهما : الخروج من الإسلام إلى النصرانية ، أو القتال حتى  
الموت أو النصر ، فأثروا الأخرى حفاظاً على أمانة الله وإبتغاء مرضاته .

وهكذا تتفاقم المعارك ويتساقط الشهداء زرافات ووحدانا ..

ويتابع الأخ الفلبيني فيقول : قبيل مغادرتي البلاد أغارت مجموعة من  
المجاهدين بقيادة أحد أبنائكم من خريجي كلية الدعوة بهذه الجامعة ، على  
معسكر لقوات ماركوس وكادوا يتغلبون عليه ، لولا وصول الطائرات  
والدبابات لنجدته ، فاضطرت إلى اللجوء للغابات تاركين للعدو دورهم  
وأموالهم ، فلم يدع بيتاً إلا أحرقه ولا مالا إلا انتهبه ، ولا متخلفاً لعجز  
إلا قتله .. ولا يزال المجاهدون معتصمين بغاباتهم ، مهددين بالموت يقتحم  
عليهم من الجوع أو من العدو بين الحين والآخر ..

ويقص الفتى على قصة خريج آخر من أبنائنا يتولى قيادة إحدى فرق  
المجاهدين الذين ينزلون بعدوهم ألوان البلاء ، ومن ذلك غارة قام بها ومن معه  
من المؤمنين على تشكيلة عسكرية في منطقته ( كلا لا نؤان لاناو الجنوبية )  
فأوقعوا بها خسائر فادحة في الأنفس ولم يفقدوا سوى شهيدين .

ويردف الفتى هذا الخبر بقصة واحد من خريجي الأزهر يقود شلة أخرى  
من هؤلاء الأبطال وقد تمكنوا من القضاء على العديد من أفراد العدو في إحدى  
المعارك دون أن يفقدوا أحداً من أفرادهم ولله الحمد .

ويقول : لقد أزعج ماركوس جداً أن يتولى علماء الإسلام قيادة هؤلاء المقاتلين ، فهو لذلك يضاعف من ضغطه على أهل العلم ، ويتخذ مختلف الوسائل لرصد تحركاتهم والحيلولة بينهم وبين المجاهدين .

وفي صعوبة :بالغة استطاع الفتى أن يمسك بقية دموعه من التدفق ، ويضغط على أنفاسه ليخفي ما اعتراه من لدغ الأسى على أهله ودينه ووطنه ، حتى لم نكد نملك أنفسنا نحن السامعين فملأت الغصة صدورنا وفاضت بالدموع أعيننا .

ولكن .. لا مندوحة هنا عن التساؤل : أهذا كل ما ينتظره منا - نحن العرب المسلمين - ضحايا التعصب الصليبي في عذراء ماليزية ؟.. أو هذا كل ما يفرضه علينا الواجب نحو هؤلاء المعذنين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم من المسلمين !..

لقد عرض هؤلاء المظلومون قضيتهم على مختلف المؤتمرات الدولية الإسلامية ، وفصلوا لإخوانهم الكثير من جوانب المأساة التي يعانونها ، وذهب أكثر من وفد إسلامي إلى مناطقهم لاستقصاء الحقائق على الطبيعة ، فلم تستطع مغريات ماركوس ومضللاته أن تحجب ذلك الواقع الرهيب عن أعين هؤلاء الوفود ، بل وضعت أيديها على الكثير مما يكفي لتحريك الضمائر وإلهاب المشاعر .. ومع ذلك كله لم نر أى رد فعل عملي لهذه الوفادات .. اللهم إلا زيادة التقارب بين حكومة ماركوس وبعض حكومات المسلمين ، وبخاصة في مناطق النفط العربي ، حيث وجد ماركوس ألواناً جديدة من المساعدات التي تضاعف من قدرته على تقتيل المسلمين وتدمير ديارهم ..

فهل يعنى ذلك أن المسلمين قد بلغوا من العجز حداً لا يملكون معه نفعاً ولا ضراً ؟ أو أن القلوب قد تحجرت حتى لم يعد من سبيل للشعور بأخوة الإسلام ؟ .

لقد أوضح رسول الله عناصر هذه الإخوة بصورة لا تدع مجالاً للاعتذار عن أى تهاون بحقها حين قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ... » ولا ريب أن من أكبر الخذلان لأولئك المعذنين من أمة محمد ﷺ ألا نشعرهم بعطفنا ، وألا نهب لنصرتهم بكل ما نملك من أسباب

القوة ، ولقد أثبتت الأحداث أن في أيدي المسلمين من الطاقات ما يمكنهم من التأثير في مجرى السياسة الدولية ، و تعديل الكثير من الوقائع التي تعارض مصالحهم ، وليس النفط الذي يملكون معظم مخزونات الكونية سوى واحد من هذه الطاقات التي أئتمنهم عليها ربهم ، لينظر كيف يعملون ، فإما أن يستغلوها في نصرة دينه ونجدة المظلومين من عباده فيحفظها عليهم ، ويزيدهم من فضله ، وإما أن يسيئوا استخدامها فيسلبهم إياها وتكون في النهاية - لا سمح الله - وبالاً عليهم أى وبال .. وقديماً أعطى سليمان - عليه السلام - ملكاً لم يتح لأحد من بعده ، فلم يزده إلا تواضعاً لله وتقديراً لحقوقه فقال : ﴿ ذلك من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ... ﴾ .

قبل شهر أعلن كسينجر بتأييد من فورد أن لأمريكة مصالح لا بد من مراعاتها عند توزيع المعونات السنوية ... فكل دولة لا تقيم لهذه المصالح وزنها لن يكون لها حظ في معونة أميركة ، فلماذا لا نتعلم من أميركة فنقول لماركوس وأضرابه في تايلاند وسيلان وبلغارية وبورمة .. وكل بلد يضطهد فيه المسلمون : إن نفطنا وأموالنا رهن بمصالح المسلمين ، فلا حظ فيها لظالمهم وسالبي حرياتهم وأموالهم ؟ .

لقد جربنا هذا المبدأ الحازم مرة قبل سنوات ، فأعطانا من الثمرات فوق ما كنا نتصور ، إذ زلزلنا به أركان العالم كله ، وحتى الذين كانوا يعيشون في أولمب الدول الكبرى راحوا يلتمسون عطفنا ، ويخطبون ودنا ، ثم ما لبثنا أن حشدنا عن هذا الطريق معظم أعضاء الهيئات الدولية لتأييد قضايانا الحققة في كل مكان ، أفلا جربنا هذا السلاح القهار مرة أخرى في وجوه هؤلاء الطواغيت ، الذين يريدون القضاء على إخواننا الذين هم - لو أحسنا رعايتهم - أحد مصادر القوة التي تدعم وجودنا في العالم ...

ماذا ننتظر في شأن هؤلاء المظلومين ؟ .. وحتام نتردد في إعلان احتجاجنا على ظالمهم ! .. لقد تكلمنا حتى اليوم أكثر مما يجب ، فحان لنا أن نترجم مشاعرنا بعمل حاسم نكره به أولئك الطغاة على إنصافهم ..

إن الفرصة لا تزال سانحة أمام القادرين من حكام المسلمين على تحقيق هذه المآثرة الخالدة .. فليعلنوها إرادة حاسمة تؤكد لماركوس وفيرائه وأضرابه

من الطواغيت أن المسلمين لا يزالون على ما وصفهم نبيهم : « كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ولتكن الخطوة الأولى في هذه السبيل قطع شريان النفط الإسلامي عن آليات ماركوس ، فإن كل قطرة منه تتسرب إلى الفلبين إنما تشكل جزءاً من طاقة التدمير التي يصبها القتلة الغاصبون على ديار المسلمين .

إن دول أفريقية كلها تقف وراء المظلومين من أبناء روديسية ومانيبية ، معلنة دون موارد إمداد محاريهم بكل ما تملك من دعم مادي ومعنوي ، فما الذي يمنع دول المسلمين من إعلان تأييدها المطلق لأولئك المضطهدين المعذيين من مسلمي الفلبين وتايلاند وبورمة وسيلان وبلغارية والأريتيرية .. وإمدادهم علائق بكل ما يعينهم على استخلاص حقوقهم ، ومنع مضطهديهم كل معونة أو معاملة تزيد في قوتهم ...

يا حكام المسلمين .. الذين مكّن الله لهم في الأرض وآتاهم من فضله ما به يؤثرون في موازين العالم .. أجيئوا داعي الله وقيدوا نعمه عليكم بنصرة هؤلاء المظلومين من إخوانكم ..

إن الإسلام مهدد بالزوال في تلك المناطق المنكوبة ، فلا تؤخروا نجاته ولا تكتنوا أعداءه من اغتياله = كما اغتيلت الأندلس من قبل - وأنتم تشهدون ...

ولسوف تسألون ...

\*\*\*

## دعوة إلى المباحث

كانت جولة غير ممتعة .. فعلى الرغم من لقائى أكثر من يهمنى أمرهم من الأقرباء والأصدقاء ، لم أشعر بأى أثر من ذلك الانفراج الروحى ، الذى كنت أعود به قبل سنين ، كلما اقتطعت من اجازتى الصيفية بعض الأيام لمثل هذه الجولة فى مدن الساحل .

إن مرد ذلك أو معظمه للجو السياسى ، الذى غير إحساس الناس بالحياة والأحياء وشغلهم بالصراع الاجتماعى ، الذى شحن النفوس بالخوف والحقده والشر ، حتى أوشكت النفس الواحدة أن تنقسم على ذاتها ، فيكره بعضها بعضاً ، ويخشى بعضها بعضاً ، فلا يكاد المرء يلمح طيف الابتسامة العفوية على وجهه ، لكأن عضلات الابتسام قد فقدت خاصيتها ، فلم تعد قادرة على الحركة ، أو لم تعد تجد ما يحركها من الداخل أو الخارج .. .

و كنت أثناء عودتى ، من مسقط رأسى طرطوس إلى مستقرى باللاذقية ، أحس غير قليل من التوقعات الغامضة ، ولا عجب فالعمل الذى عرضت نفسى له ليس بالأمر السهل الذى من شأنه أن يمر دون حساب .. إن أقل ما ستصفه به تقارير رجال الخفية كونه تهجماً فوق المعقول على نظام الحكم ، وأنه لذلك حقاً .. ألم أصرح بالانكار لسياسة المسابح المختلطة ، التى تحدثها الدولة على امتداد هذا الشاطئ الشامى الجميل !.. ألم أسمها مذابح الأخلاق !.. ألم أكشف لرواد المساجد ، وبخاصة فى طرطوس ، عظم الأخطاء التى تدفع المسؤولين إلى إنفاق الملايين على تدنيس الشواطئ ، واجتثاث بقية الحياء ، فى حين تصرف البصر عن مآسى مئات الأسر من الفقراء ، الذين يقتلهم المرض والجهل والحرمان .. ولا يكلف إنقاذهم ، وإعطاؤهم حق الحياة الإنسانية ، أكثر من المبالغ التى تصب فى هذه المبالغ .

ومتى كان لمثل هذا النقد الصريح مكان أو احترام فى ظل الحكم الاشتراكى ، الذى لا يستطيع تحقيق سعادة الناس إلا بعد إراحتهم من عبء التفكير أو استعمال اللسان فى غير واجبات الإطراء لعباقرة النظام !..

ولقد كان في وسعي أن أسلك سبيل الناس ، فأشار بهم بما أَرْضَى ، وأتعمى عما لا أَرْضَى .. ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها .. غير أنى امرؤ طبعت على الفضول ، فلا أملك منع عقل من التفكير في أحوال الناس ، ودأبت منذ ثلث قرن على خدمة الكلمة المسلمة ، أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو تذكيراً بحق ، أو دعوة إلى خير .. حتى صار ذلك جزءاً لا يتجزأ من كياني ، ولو كلفني ألوان البلاء من السجون والاعتداء ، وحتى المحاربة في الرزق .. ومن هنا أصبح مثل هذا التعرض للمسئوليات ، بالنسبة إلى ، خلقاً لا سبيل إلى تجاهله أو عصيانه ، كائنة ما كانت عواقبه ، لأن الموضوع ليس خاضعاً لمعايير الربح والخسارة ، بمقدار ما هو جافز نفسى يفرض سلطانه دون أن يكون لي بإزاءه أى خيار .

ثم إنى إلى ذلك من أعلم الناس بحساسية الأوضاع ، التى لا يمكن أن تتسع لأى نقد ، بعد أن استمر سلطان الحزبية الثورية ، التى لا تتورع عن سحق أى بادرة من هذا النوع ، لقد ظل دعاة هذه الحزبية عاجزين عن إطباق قبضتهم على عنق البلاد ، على الرغم من كل المحاولات الزائفة التى هولوا بها على السذج ، والحملات الإعلامية الرهيبة ، التى شنوها على مخالفينهم من قادة الأكرثيات الشعبية .. أما الآن ، وبعد قيام الوحدة السياسية بين القطرين ، التى وضعت في أيديهم أزمة البلد - ولو إلى حين - فقد حققوا كل ما فاتهم ، حتى ليعلنون حربهم على النظام الإلهى نفسه كما حدث يوم وقف أحد وزرائهم يفتح مشروع سد الرستن بقوله : بعد اليوم لن نحتاج إلى السماء .. ، ومع أن السماء قد ردت على ذلك التحدى الصياني بحبس الغيث عن الشام كلها ، فلم تأذن لها بقطرة من الماء حتى تلك الساعة .. فإن قبضتهم لم تنزل يشتد ضغطها على عنق البلاد ، حتى بات من غير المتوقع أن يجروا إنسان على الإشارة إليها ولو همساً ، إلا أن يكون كارها لحياته ، أو مفارقاً لعقله .

ثم .. من أين لي أن أنسى تلك التظاهرة الحكومية الكبرى التى افتتح بها مسبح ( الشاطئ الأزرق ) فى اللاذقية ، أكبر تلك المذابح ، إذ شارك فيها وزراء الإقليم ، حتى الوزير الذى كان محسوباً على الإسلاميين ، ومعروفاً بالسلوك المحافظ .. وقد جشد لها فريق من السباحين والسباحات من القطرين .. وألقى فيهم معمم غير مجهول تلك الكلمة الرائعة ، التى كان

منها قوله : ( فى هذه المدارس - يريد المسابح - سيتخرج الجيل القوى الأمين الذى سيحرر فلسطين )!!

وطبيعى أن تعتبر تلك الحفلة يومئذ تعبير الدولة عن نظرتها الرسمية إلى مثل هذه المشاريع .. ولا سيما بعد إذاعة هاتيك الخطبة النفيسة ، التى صفق لها كبار الشخصيات الرسمية والمدعوة ، وحملتها وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمنظور إلى كل مكان .. وكان من حق هذا أن يقفل بى كل رغبة للكلام فى غير هذا الاتجاه .. لو كان لمثل فضولى أن ينتفع بمنطق الواقع فيلجأ إلى أضعف الإيمان .

وتذكرت أننى عضو منتخب فى تشكيلة ( الاتحاد القومى ) .. الذى كنا نتوقع أن يكون له مهمة أخرى غير التدريب على الاستقبال والتصفيق .. ولعل لهذه الصفة أثرها الأكبر فى اندفاعتي - غير المعقولة - التى حركت لسانى بكل ذلك التنديد المزعج .. إذ قلت لنفسى : ما جدوى انتخابنا وتنظيماتنا ، إذا لم يكن لأحدنا الحق فى أن يقول للمخطئ : إنك مخطئ !!

ولم تذهب توقعاتى سدى .. فما إن انتهيت إلى مكتبى حتى طالعتنى تلك المفكرة غير السارة .. متوجة بشعار ( المباحث ) وفيها دعوة ( المدعو محمد المجذوب ) إلى مواجهة المسؤولين وبأسرع وقت ممكن ! .

وكان ذلك عصر الخميس .. فخشيت أن أحجز هناك إلى يوم السبت ، فقررت تجاهل الدعوة ، وتأخرت المواجهة إلى صباح ذلك اليوم .

\* \* \*

● وطال انتظارى فى غرفة الكاتب .. وكان ذلك مألوفاً بالنسبة إلى كل مدعو للمباحث العامة ، لأنه أشد إثارة لأوهامه ، وأعمق تأثيراً فى أعصابه ، ولا معنى للمباحث إذا هى تخلت عن هذا الطابع ! .

وعلى مقربة من وقت الظهر جاء الأذن ليبلغنى موعد المقابلة ، فانطلقت خلفه إلى مكتب الرئيس .. فإذا عنده الضابط الذى تتناقل الألسن أخبار شدته على الذين يقذف بهم القدر إلى يديه ...

واستكمالا للفائدة المنشودة عرفنى الرئيس - بعد رد التحية - شخصية

مساعدته قائلاً : إنه فلان .. وضغط على اسمه بصورة تسترعى الانتباه ،  
وتظاهرت بالهدوء ، وأجبت بمثل المداعبة : يسرنى أن ألقاكما معاً ...

وافتح الرئيس الحوار بهذا السؤال : لعل الرحلة كانت موفقة ؟! ..

- أتريد زيارتي لأهلى فى طرطوس وبانياس ؟ ..

- طبعاً .. فهل لك أن تحدثنا بما ألقىت على الناس هناك ؟ ..

- عسى أن يكون المخبر أكثر تذكراً منى لما قلت .. لأنى لم أتحدث إلى

الناس بشئ معد ..

- لقد تكلمت عن المسابح .. وحذرت الناس شرها ...

- المسابح المختلطة طبعاً ..!

- هى لا غيرها ...

- يظهر أن المخبر لم يكذبك . إلا إنه نسى أنى لم أسمها مسابح بل مذابح ...

ولم يطق كتمان دهشته ، فنظر إلى فاغر الفم ثم قال : هكذا .. وفى دائرة  
حكومية تصرح بهذا !! ولم أجدنى قادراً على التمويه فأجبت : تلك كلمة حق  
لا قيمة لها إن لم تقل .. واسمح لى أن أوجه مثلها إليكما أيضاً ..

وصاح الرئيس وصاح معه المساعد الذى لم يحرك لسانه بغير هذه الكلمة

« إلينا » ؟!

- نعم إليكما .. إنها نصيحة لا يسقط الواجب إلا بأدائها .. وهى أن

تجنبنا تلك المذابح فلا تقرباها ولا سيما مع أهلكما ...

وركز الرئيس مقعده بانجهاى وهو يقول : يظهر أنك لا تفكر بعواقب  
كلامك .. عليك أن تفهم أن هذه المسابح ليست إلا إحدى الوسائل المخططة  
لإخراج المرأة من قوقعتها .. تلك هى سياسة سيادته ، ولا محيد عنها ، أرجو  
أن تفهم هذا جيداً .

وابتسمت بقدر ما يساعد الموقف ، ثم أجبت : إن سيادته مسلم ،  
وكثيراً ما يعلن تقديره للإسلام .. فلا يعقل أن يرضى بما يناقض دين الله ..

وأراد الرجل أن يسد باب الجدل ، فإذا هو يتحول إلى التلويح بالسلطة ،  
وفى لهجة مشحونة بالوعيد يسأل : من كلفك إرسال هذا الكلام ؟! .. وهل  
أنت موظف فى قسم الإرشاد ؟!



ولم أجد مندوحة عن الاستسلام إلى حوافز الضمير فقلت : بلى .. إننى موظف وفى القسم نفسه ..

قال : ومن الذى وظفك ؟ .. ومتى ، ..

قلت : اسمح لى أن أسألك : باسم من أنت توجه إلى هذا التحقيق ؟

وفى شموخ متعال أجاب : إننى أتكلم باسم سيادة الرئيس ..

قلت : إذن فاعلم أن رئيسى أكبر من رئيسك .. إنه الله الذى ألزمنى هذه المهمة منذ آمنت به وبرسوله ..

وسادت القاعة لحظة صمت .. لم يلبث أن قطعه بقوله : إذن فاستعدّ

لمغادرة البلاد بأهلك وسنعد لكم الجوازات اللازمة ..

وسألت بدورى : ولم هذا ؟

قال : لأنك معارض لسياسة سيادة الرئيس .. ولا مقام فى جمهوريتنا

المتحدة لمن يرفض هذه السياسة ! ..

وكان على أن أفكر جاداً وبسرعة فى ذلك العرض الذى لم أكن بكاره

له ، فقد طالما تطلعت إلى الضرب فى أرض الله تطلع السجين إلى ما وراء

الأسوار .. غير أنى تخوفت أن يكون وراء العرض خطة للاستدراج ..

فأجمعت على التظاهر برفضه ، وبالصراحة نفسها قلت للرجل : اننى امرؤ

ذو رسالة أعمل لها منذ ثلث قرن ، ولا يزال أمامى الكثير لإتمامها ، ومن أجل

ذلك لا أريد مغادرة وطنى فى الوقت الحاضر .. غير أنى أنصح لكم أن تدفعوا

بمثل هذه الجوازات إلى جماعة ( الهاشناق ) فهم أحق بها من مثلى ..

وكانت أخبار هذه الفئة من الأرمن لا تبرح جديدة على ألسنة الناس ،

بعد الذى أذاعته وسائل الإعلام عن مصادرة أجهزتها التجسسية ، حتى من

بعض المعابد التابعة لها ! .. وكأنه وجد فى إشارتى إليها ما استدعى وقف

الحديث .. فأعلن انتهاء المقابلة دون أية نتيجة ..

وعدت الى البيت وفى نفسى أشتات التصورات ، وما هي سوى أيام حتى

تسلمت الأمر الصادر من السلطة المحلية بتسريحى من عملى فى التدريس ..

وفى المساء نفسه جاء لزيارتى محام صديق ، جعل يعزىنى ويذكرنى

بما لا ينبغي أن أغفله من الثقة برحمة الله ، وتكلم بعض أبنائى يعدون بأن

يؤمنوا لى مثل راتبى الذى فقدته وفى اطمئنان غريب قلت لولدى : إننى

لشديد الأمل ألا يحوجنى الله إلى معونتك ، وقلت لذلك الصديق : لقد أتيت

ما أتيت نشداناً لمرضاة الله ، وسترى يا صديقى أنه لن يغفلنى ...

● وكنت مدعوا لإلقاء بعض شعري في الحفلة التي يقيمها المجلس الثقافي بدمشق ، فسافرت في اليوم التالي ، وألقيت قصيدتي ( ناقور القضاء ) عن فلسطين واللاجئين .. ثم التقيت بوزير التعليم الإقليمي سيد يوسف ، وقصصت عليه مشكلتي كاملة ، فوجدت لديه إصغاء كريماً ، وكان على أهبة السفر إلى القاهرة فوعدني خيراً ، وأنظرني إلى موعد رجوعه لدمشق ، ولدى عودتي إلى الفندق وجدت خلاصة مكالمة هاتفية واردة من أهلي ، تفيد أن فلاناً ، وهو مدير ثانوية خاصة في حلب ، قد أبرق يعرض على عملا يقارب ضعف مرتبي المقطوع .. فقلت في نفسي : إنها المبادرة الأولى للفرج الرباني .

وعدت إلى اللاذقية ومن ثم إلى حلب ، ولكنني لم أكد أتم الاتفاق حتى فوجيء العالم بنبأ الانقلاب الذي أطاح بالكيان السياسي كله .. وإذا الوحدة التي خلقتها الظروف غير الطبيعية تتبخر خلال ساعات معدودة ، ويخلفها نظام جديد .. وحكومة جديدة تولى وزير التعليم فيها صديق لي قديم !..

ولم أتردد في استجابة الحافز الأول ، فشخصت إلى دمشق واتصلت بالوزير الصديق ، الذي أحاط بواقع مشكلتي ، فكتب علي بطاقة خاصة رسالة حاسمة إلى ذلك المسئول ، الذي كان قد وجد في تسريحي فرصته الذهبية للانتقام وفيها يقول : إني أمر بإعادة فلان إلى عمله دون أي تأخير ..

وعلى الرغم من محاولات المأمور تأخير التنفيذ ، لم يجد مفراً من إلغاء قراره الظالم ، فاسترددت مكاني المغصوب .. ثم رحت أتابع شريط الأحداث ، فأرى بعيني إلى مصير الأربعة الذين تواطؤوا عليّ وقد أصبح كل منهم عبرة لكل ذي عينين !..

وجاءني الصديق المحامي مرة ثانية ليقول : لا أدري بأي النصرين أهنتك .. بسقوط الذين بغوا عليك أم بعودة حقلك إليك ؟ ..

قلت : ولكن .. أني للنصرين أن يخفا من أساي لانفصام القطرين !..

وأطرق صديقي يفكر بما أثارته عبارتي في نفسه ثم أردف : لست والله بأقل أسى لهذه النهاية .. ولكن .. لا تنس يا صديقي أن الوحدة التي فقدناها ولدت ميتة منذ يومها الأول ، لأنها لم تحمل روح صلاح الدين ، ولهذا لم تنظر بالقرار المكين ، ثم لم تعرف سبيلها إلى الشاطئ الأمين !..

## جيلنا المدخن

ولجت مدخل المصلحة لانجاز معاملة أرى تحقيقها لازماً علي عملا بواجب الطاعة لأولى الأمر وأول ما استقبلني هناك روائح التبغ ، تمازج الهواء ، وتشبث بالجدران ، وتداعب وجه المراجعين مع أنفاس الموظفين ..

وحملت أوراقى أجول بها مابين المكاتب ذوات العلاقة، وكلما تخطيت عتبة واجهتنى هذه المشاهد المؤثرة دخان يتصاعد إلى أعلى ، متموج كأنه عفريت من الجن استحال ضباباً ، فهو يتمعج في صعوده يمنة ويسرة .. ولفائف تحترق بين أصابع هؤلاء الغافلين ، يمتصونها بين الحين والحين ، ليعبّوا منها ما يحرق أفئدتهم ورئاتهم ، وهم يحسبون أنهم يستمتعون ، وأنهم لأنفسهم يحسنون ..

كل شيء أبصرته من هذه المشاهد كان طريفاً وغريباً ومبكياً حتى الضحك ، وشر البلية ما يضحك !.. على أن أطرفها وأبعدها في الغرابة ذلك المنظر الذى لا أنساه أبداً .. إذ دخلت على كبيرهم لاستكمال المعاملة ، فإذا هو وراء مكتبه مكباً على عمله في اهتمام ونشاط ، وكأنه خشى أن يفارق شيشته لحظة واحدة ، فمد أنبوتها ما بين صدره ومكتبه ، حتى صارت في مستوى فمه ، ولم يعد بحاجة إلى إمساكها بيده ، إذ ثبتها هناك بما لا أعلم ، وراح يُعمل كلتا راحتيه فيما بين يديه .. فهو كالنحلة ، وهى على صدره كالفسيلة !..

وضحكت في سرى ثم أطلقت لخيالى العنان ..

(٢)

قلت لنفسي : « كان هؤلاء المقبلون على الاحتراق معذورين إلى ما قبل سنوات ، إذ كان الفقهاء أنفسهم على خلاف في أمر هذه النبتة الشيطانية » أحلال هى أم حرام ؟ .. فمنهم من رآها في نطاق المحرمات ، لاندراجها في أصناف الخبائث بنظره ، ولأن في استعمالها نوعاً من التبذير الذى هو كفر

لنعمة الله ، إذ هو انفاق في غير مردود .. وذلك دون ريب من عمل الشيطان  
بنص القرآن ..

وكان منهم من أخذ بها فجعل يسوِّغها محتجاً بأنها من المباحات التي لم يرد  
لها ذكر في تحریم أو تحليل .. ويمعن في التطرف فيقول : « إن كانت حلالاً  
فقد شربناه ، وإن تكن حراماً حقاً فقد أحرقناه !..

وطبيعي أن هذا الصنف من المفتين بحلها لا يرى فيها خبثاً ولا سرفاً ، بل  
يراها تحت تأثيرها المفتر من أطيب الطيبات !..

أجل .. كان هؤلاء معذورين إلى حد .. ولكن أى عذر لهم بعد أن أجمع  
علماء الصحة في الشرق والغرب على القول بخطر هذه النبتة الرهيبة على القلب  
والشرايين والرئة والنسل ؟!..

لقد أثبتت موازين الإحصاء العلمي لدى أدق خبراء العالم أن التدخين من  
أهم أسباب سرطان الرئة ، وأن الخبراء قد انتهوا إلى اليقين بأن نسبة الوفيات في  
صفوف المدخنين تعادل مثلها لدى غيرهم ، وأن الاجهاض لدى الحوامل من  
المدخنات هو كذلك أضعاف أمثاله لدى السويات من النسوة .. إلى عشرات  
البلايا والرزايا التي تجرّها هذه اللفافة السامة وأختها الشيثة الطامة !..

ولقد بلغت ثقة الشعوب الغربية بهذه الاحصاءات العلمية إلى حد أنهم ،  
وهم المتفانون في عبادة الشهوات ، قد أخذهم الرعب من مصير المدخنين ،  
فجعلوا يتهيبون التدخين ، ويفطمون أنفسهم عنه ، حتى بات هاجروه في  
تزايد مستمر ..

ومع ذلك كله فإنخواننا وأبناؤنا لا يزالون أسارى هذه العادة الخبيثة ،  
يقلد فيها الصغير الكبير ، والفقير الميسور .. حتى لتجد بين مُعاقريها مَنْ  
لا يعدو من عمره العاشرة !..

فياليت شعري أغزَل هؤلاء عن مجرى الحياة فلم يسمعوا هذه الأنباء عن  
طريق الإذاعات ، ولم يقرؤوها في الكتب والمجلات ، ولم يطالعوها في  
ما يسطره العلماء من المقررات التي أسفرت عنها مختلف المؤتمرات !..

أم علموا وسمعوا وقرؤوا وأدركوا تلك الحقائق من خلال تجاربهم

ومشاهداتهم اليومية ، ولكنهم عجزوا عن الاستجابة لداعى الهدى ، فأثروا  
سهولة الانحدار فى مهاوى العبودية ، على التسلق إلى مقامات الأحرار !..

ليتهم يقرؤون فى تدبر سيرة آبائهم من تلاميذ النبوة كيف كانوا أسارى  
الإدمان للخمور ، يكرعونها صبحاً وغبوقاً ، يفخرون بها ، ويتغنون بنعوتها  
وآثارها والتزامهم . إياها ، إلا من رحم الله منهم وقليل ما هم ، ثم كيف  
لفظوها من صدورهم ، وهراقوها من أنيتهم ، وقذفوا بها مجارى الأقدار ، منذ  
أن أنزل الله فى تحريمها قوله الحكيم المبين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ  
والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم  
تفلحون ﴾ .

لكن .. وهل تنفع شيئاً ليث ليت شباباً بُوعَ فاشترىث !

(٣)

وانطلق بى الخيال إلى أبعد من ذلك .. إذ تذكرت أن جيلنا ( المدخن )  
هذا يعيش أخرج مراحل التاريخ العربى والإسلامى .

ف—هناك وطن ورثناه من فضل أولئك الفاتحين ، تمتد إليه مخالب  
الطواغيت فينتقصون من أطرافه ، دون أن نستطيع عنه دفاعاً ، لأننا أصبحنا  
فى الشعوب المتخلفة التى لا تملك سلاحاً تذود به العدو عن مقدساتها إلا إذا  
قايضته عليه بحريتها ، أو اشترته منه بخبزها !..

وهناك صُبابة الخلق الإسلامى الأصيل ، تهاجمها ثعابين الكفر ، لتستأصل  
جذورها باسم المدنية والحضارة والتقدم ، فنفتح لها أبوابنا ، بل قلوبنا .. ونحن  
غافلون عما وراءها من تخطيط يريد بهذه البروق الزائفة نسف البقية الباقية من  
معاقل المقاومة فى وجودنا كله !..

وفى ظلمات هذه المأساة تنطلق اللفافة والشيشة لتسهم فى التهام ما تخلف  
من أموالنا وصحتنا .. حتى إذا انتهينا إلى الملحمة الحاسمة ، التى لا مندوحة من  
اشتعالها ذات يوم ، كنا كالقصب الأجوف لا نستطيع الصمود أكثر من  
أيام — دون الستة — أمام الإعصار الذى لا يرحم مريضاً ، ولا يقبل  
اعتذاراً ...

وسألت نفسي كم ترى من أموال أمتى ينفق كل يوم ثمن هذه السموم و هذه المصلحة أولاً ؟.. ولم يتطلب الأمر كبير جهد فقد توسط ذلك بما لا يقل عن خمسين دولاراً ، ثم مضيت في تتبع هذا التقرير في المصالح الأخرى ، ثم في البلد ، ثم في القطر ، ثم .. في العالم الإسلامي ، وإذا أنا تلقاء ما لا يقل عن خمسين مليون من الدولارات ، تدفعها أمتى كل يوم لصنّاع هذه الرزايا في معامل العالم الصليبي ، وما وراءه من البطون اليهودية التي لا تشبع ! .

وكان لابد لي من أن أتساءل : وماذا يصنع أعداؤنا بهذه الأموال التي تشتري بها مصنوعاتهم المغوية جداً من سموم كنت وكرفن ولو كى ؟.. فيأتي الجواب عجيباً رهيباً : إنهم يصنعون بها الرصاص الذي يطلقونه على إخواننا في كشمير والأرترية ونيجيرية وتنزانية وتشاد وفلسطين !.. فيكون ربحهم بذلك مضاعفاً ، إذ يضمنون إلى القذائف والرصاص ، التدمير الذي لا مندوحة منه لصحة هؤلاء الإخوة ، ليس فقط في المصالح والمؤسسات والمتاجر والأسواق والمقاهي ، بل في خنادق القتال أيضاً !..

#### (٤)

ويصل بي هذا التساؤل إلى تصور الشباب المقاتل من أمتى وهو يزحف للقاء العدو ، وفي جعبة كل واحد منهم زاده من تلك السموم التي أسرته حتى لا يستطيع منها فكاكاً .. كيف يعيش مع هذه السموم المدمرة في حومة القتال ؟.. وكيف به إذا لجأ إلى الكمون لمراقبة غرة من عدوه ، حيث يكون اشتعال الدخينة الواحدة سبباً في القضاء على الكتيبة المحاربة كلها !..

كيف يصبر نفسه عن التدخين !.. وكـم يعاني من القلق والتوتر والضياع أثناء ذلك الانقطاع !.. وإذا مسته نفحة من البرد في كمينه ذاك فماذا تحرك في صدره من تفاعلات تدفعه إلى الكحة المتتابة كالذي يطلقه المصلون المدخنون أثناء الانتقال من فصل الحر إلى أوان القر ، حتى ليستحيل المسجد على سعته ميدان صراع ، تتنافس فيه أصوات السعال على تبديد ذاك الجلال !..

وشدّ ما حيرني ذلك التدبير العبقري الذي نهضت لتحقيقه بعض حكومات أمتى .. إذ تمخضت أفكارهم العاملة في حقل التنمية الاقتصادية ، فكان من ولأئدها مصانع لإنتاج السجائر تغني البلاد عن الاستيراد .. ويتبع ذلك تطوير

زراعة هذه الشجرة الإبلسية ، حتى تكون قادرة على مضاعفة الدخل عن طريق ذلك التحسين ، ثم زيادة الاقبال على هذا التخريب الصحى من قبل المدخنين !.. هذا إلى تعطيل ملايين الأفدنة ، وملايين الأيدي النشيطة على هذه التجارة الوبائية ، وحرمان المجتمع الإسلامى من البركات التى كان من حقها أن تفيضها عليه ، لو وجهت فى الطريق السوى الأمين !..

\* \* \*

وهكذا استسلمت إلى تصوراتى المحزنة ، وأنا ألقى بصدري تلك الروائح العفنة ، وأتملّى بعينى ذلك الدخان الذى يتصاعد إلى الأعلى من الأفواه ، ومن خلال تلك الأصابع كأشباح العفاريت !..

ولما غادرت المصلحة كان شئ رهيب قد استقر فى خاطرى الكئيب ، هو أن قومى يعبثون ويعبثون ، وهم لا يعلمون ما يعملون .. على حين أن الشيطان واليهود والصليبيين هم وجدهم الذين يضحكون ، وهم قاصدون لما يصنعون !.. .

\* \* \*

## أليس لمذابح المسلمين من نهاية ؟!

لا أدري كيف أبدأ أحديثي عن محنة الإسلام في مخيمتي ( صبرا وشاتيلا ) ..!؟

إن اللغة وهي أداة التعبير الأولى لتعجز أحياناً عن الوفاء بما يختلج في أعماقنا من الانفعال ، فكيف بها تلقاء هذه المجزرة ، التي هزت العالم ، وأرهبت حتى قلوب بعض اليهود ، الذين أصبحوا مضرب المثل في التحجر والحقد على أبناء آدم جميعاً ، بما ورثوه من كره لهم ويقين تلمودي بأنهم وحدهم شعب الله المختار ، فكل من سواهم لا يعدو أن يكون ملكاً خالصاً لهم ، من حقهم أن يتصرفوا به قتلاً وتشويهاً واستلاباً .. وهاهي ذى أصوات هؤلاء اليهود تضج بالنقمة من القتلة الذين - على قول شيمون بيريز - ضاعفوا كراهية البشر لشعب إسرائيل في كل مكان ..

أجل .. إنها لكارثة تحرس الألسن ، وتُفحم البيان .. ومع ذلك فإني لأعجب من الأقلام التي تطلق عليها اسم ( مذبحه العصر ) لأنه يوهم القارئ أنها نسيج وحدها في كوارث هذا العصر ، وربما خيّلت للقارئ أنها وحيدة نوعها في ماضيات العصور أيضاً .. على حين أن الواقع يصادم هذا الظن ، لأن تاريخ المسلمين لا يزال يفيض بأمثال هذه الفواجع ، منذ انصرفوا عن مهمتهم الكبرى في هداية القطعان البشرية إلى الانغماس في ضروب اللهو واللغو والاختلاف على شهوات الدنيا ، ومن هنا كان الأولى بنا أن نسمى كارثتنا الجديدة ( مذبحه اليوم ) بدلا من ( مذبحه العصر ) إذ يستحيل توقف هذه المذابح في أوساط المسلمين ، ما داموا غافلين عن خلفيات هذه الأحداث ، لا يعرفون السبيل إلى مواجهتها بالوسائل الصحيحة الرادعة .. وفي مقدمتها التأمل الواعي في عبر الفواجع الماضية للانتفاع بها في مسيرتنا القادمة .

إن فاجعة اليوم لتوقظ في أعماق ذكريات المآسي المتلاحقة من تاريخ



أمتي ، فلا أدري أيها أعرض ، وبأيها أبدأ .. وعلى أيها أقصر .. وحسبي من حلقاتها الفائقة للحصر بعض النماذج المنبئة بما وراءها .

أقرب الفواجع شياً بكارثة اليوم مذابح المسلمين في ساحات الأندلس ، عقيب نزوح رايات الإسلام عن فضائها ، إذ تخلف عن النزوح جموع من المسلمين صدقتْ عهدَ أعداء الإسلام بالحفاظ على أرواحهم وأعراضهم وأمواهم ومعابدهم ، فما إن غادرت بقايا المقاتلين شواطئ الأندلس حتى انقضوا على أولئك العزل ، فأعملوا فيهم السيف والنار ، حتى لم يسلم منهم أحد إلا من أعلن الانسلاخ من الإسلام واعتناق النصرانية .

ثم تلت ذلك مذابح التتار في خراسان وبغداد ، التي ذهبت بالملايين من المسلمين وبالعشرات من المدن والقرى التي طمست معالمها ومُحيَتْ آثارها .. وفي تلك الحقبة نفسها وصل المد الصليبي إلى بيت المقدس ، وخلت الساح من أبطال الإسلام ، فلجأ العزل المسلمون إلى أحضان المسجد الأقصى ، فلم يلبث الحقد الصليبي أن أحاط بهم واقتلع شأفتهم فأغرق خمسة وسبعين ألف مسلم بدمائهم في بيت الله ...

ويتتابع الشريط فإذا في ساحات دهلي من حواضر الهند ، حيث نرى قذائف الانكليز تحصد المسلمين حتى تمتلئ بجثثهم الشوارع ، وتفيض بدمائهم الأرجاء ، فلا يوارون الثرى إلا بعد أن خشي القتلة على أنفسهم روائح الموت التي بدأت تلوث الفضاء ...

ويشاء الله أن نشهد استمرار المأساة في الهند ، حتى بعد جلاء المستعمر ، فلا يكاد شهر يمضي دون أن يُقضى على العشرات بل المئات من المسلمين ، أو تحرق بهم ديارهم وقراهم .. ولم يمض بعد سوى عامين على مذبحه مراد آباد في أنتربرادش تلك التي حصدت فيها رشاشات الشرطة الهندوس قرابة الألفين من المسلمين وهم في مصلى العيد ...

ثم من ينسى مذابح دعاة الإسلام في سجون عبد الناصر وجلاديه ، حمزة البسيوني وصلاح نصر وشمس بدران وبقية الزبانية ، الذين مرغوا وجه مصر بالعار - كما قرر قضاتها الشرفاء -

ويتتابع البلاء على هؤلاء الدعاة البرآء على أيدي صاحب كامب ديفيد

وأعوانه من أعداء الإسلام ، وما يزال الطريق مشحوناً بمواكب الشهداء  
مسوقة إلى محاكم تقاضيههم بقوانين ( النائب العام الاشتراكي ) الذي لا عمل له  
سوى تسليمهم إلى حبال المشانق ، أو زجهم في غياهب السجون ...

وهل نسي المسلمون مجزرة مقديشو يوم سيق علماء الإسلام إلى أخلود  
الماركسية ، فأحرقوا أحياء ، ولا ذنب لهم سوى أن يعلنوا حكم الله على  
قوانين الشيوعيين ، التي تريد القضاء على دين الله ...

ودير ياسين .. وما أدراك ما دير ياسين .. تلك التي سوتها وحشة  
مناحم يبجن وعصابته بالأرض ، وقضت على كل نسمة حية فيها ، ك ما  
أوصت كتبهم المزورة بالقضاء على كل إنسان وحيوان في أريحا العربية قبل  
آلاف السنين ...

ومن على هذه التلال من أشلاء شهداء الإسلام نطل على مذبحه تل الزعتر  
التي شارك فيها أحفاد المردة من حلفاء الصليبيين وأنصارهم ضباط إسرائيل  
حسب إقرار المجرم شارون في برلمان إسرائيل ، وكل ذلك على مرأى  
ومسمع من ( حماة الديار ) الذين لم يملكوا إلا أن يباركوا المذبحة المقررة ..  
وكان لابد لهذه الكوارث من أن تؤتي ثمارها فواجهت تتلوها فواجه ،  
فكانت مذابح أعقت مذابح دمرت أحياء وهدمت مساجد ودفنت تحت  
الأنقاض عشرات الآلاف من المسلمين .

وقد ينفعنا أن نلقى نظرة تحليلية على ظروف الفاجعة الراهنة وخلفياتها ،  
فنتخذ من دروسها عبرة تجنبنا الوقوع في أحيال مثلها في الكثرة القادمة .. إن  
كنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ...

لم يكن شيء من كارثة اليوم مفاجئاً .. بعد أن يأسر عرفات القضاء  
بأنباء الاستعداد اليهودي لاجتياح لبنان ، حتى إذا دقت ساعة الصفر تدفقت  
قوى صهيون على معاقل المقاومة ، التي أدهشت الدنيا بصمودها الخارق .  
وكفاحها الجبار ، الذي أثنى في العدو فكلفه - باعترافه - ما لا يقل عن  
عشرين ألف إصابة في الأنفس فضلاً عن تحطيم مئات الدبابات والآليات ،  
وفجأة تخلت عن اليسرى شقيقتها اليمنى ، فوقف أبطال الصمود والتصدي  
إطلاق النار ، وتقهقروا إلى المدى الذي يريده المعتدى ، وهكذا أصبحت

المقاومة الجبارة مكشوفة لأسلحته لا يسترها عن طائراته أى غطاء ، وقد أحاط بها من البر والبحر والجو ، حتى بلغ ما تلقته من قذائفه وصواريخه أكثر من مئتي ألف ، وهى ماضية فى نضاله مصممة على تحويل الأرض جحيماً تحت أقدامه ...

ولكنها .. بيروت العزيزة الغالية يعز على أولئك الأبطال أن يروا إلى بقيتها تستحيل أكواماً من الأنقاض ، تهوى على رؤوس الأطفال والشيوخ والنساء ، فلم يسعهم إلا أن يستجيبوا لنداء السلام يطلقه فيليب حبيب ، ويتعهد لهم بشرف أميركا أن تحمى أهلهم وأبناءهم وإخوانهم من عدوان الغادرين إذا هم تركوا باختيارهم بيروت ...

ووفى الأبطال الشرفاء بعهدهم ، فخرجوا مشيعين بالثناء والإعجاب والدموع ، ثم ما لبثت القوات الثلاث التى تولت الحجز بينهم وبين أعدائهم أن تبعثهم على الأثر ، زاعمة أن مهمتها قد انتهت عند هذا الحد .. وهو زعم سرعان ما افتضح كذبه ، حين تحركت قوات صهيون لاقتحام العرين الذى خلا من حماته ، وما هى إلا ليلة وضحاها حتى أقبلت عصائب الكتائب والخنوة تحملها الطوائر الأميركية بحماية صهيون ، إلى المخيمات الأعززين لتحيلهما مقابر جماعية لآلاف المسلمين من لبنانيين وفلسطينيين .

ولا حاجة للوقوف طويلا على هذه الوقائع ليحكم العقل بأنها حلقات متماسكة فى تنظيم ، أريد به من اللحظات الأولى أن يصير إلى غايته التى شهدها العالم ..

● ولكن .. هل حققت المؤامرة كل ما حدده لها المتآمرون من أهداف ؟ ..

أغلب الظن أن النفى هو الجواب الصحيح لهذا التساؤل .. ذلك أن الغرض الأكبر من المؤامرة هو إبادة المسلمين بعامه ، سواء منهم نزلاء المخيمات الفلسطينية أو سكان الجانب الغربى من العاصمة المعذبة .. أو تشريدهم فى داخل لبنان أو خارجه على صورة لا تترك لهم أى أثر أو نفوذ فى سياسة البلد .

ومعلوم أن تفريغ بيروت من العنصر الإسلامى كتفريغ المخيمات من الهوية الفلسطينية ، هو المطلب الأكبر فى التخطيط الصليبي اليهودى الذى كلف لبنان المسكين عشرات الآلاف من الضحايا ، فى حروبه الأهلية طوال السنوات السبع ...

فلا بد إذن من افتعال فرصة أخرى لتحقيق ذلك التخطيط ...  
وهاهى ذى الفرصة المنشودة قد أطلت بوادرها فى عودة القوات الثلاث  
المتعددة الجنسيات .

لقد وقف العالم العربى من المحيط إلى الخليج ، ومن حوله العالم الإسلامى  
كله ، من أقاصى البسيطة إلى أدانى الدنيا ، وهما يشاهدان بأم أعينهما من خلال  
العواكس الفضائية التى لا تحسن الكذب ، ويسمعان بآذانهما على ألسنة الثقات  
من مغامرى الصحافة ووكالات الأنباء العالمية ، يسمعان ويريان وقائع الجريمة  
التي تخطف إخوتهم وأخواتهم ، فلا يكتفى الغادرون بانتزاع أرواحهم حتى  
يمزقوا وجوههم وجثثهم بالسكاكين ..!

فماذا صنع العرب والمسلمون بإزاء هذه الأحداث ، التى تذهل المرضعة  
عما أرضعت ، وتزلزل الأرض بمن حملت !! أكثر مما صنعه الأبعدون من  
سكان الشرق والغرب .. صراخاً لا يخيف ظالماً ، واحتجاجاً لا يردع باغياً ،  
بل لا يزيده إلا إمعاناً فى طغيانه ، اعتماداً على تجاربه السابقة فى ميدان العدوان  
على أمة العرب والإسلام .. لا بل إن التظاهرة التى انتظمت أربعمائة ألف من  
سكان إسرائيل استنكاراً للمذبحة واحتجاجاً على بقاء المجرمين العالمين ييجن  
وشارون فى الحكم ، هذه التظاهرة التى لم تشهد مثلها قط دولة العصابات  
والتي لا نزال نستمع إلى أخبارها الكبيرة ، من خلال الإذاعات الدولية ،  
لأروغ أثراً من كل ردود الفعل التى أبرزها العرب والمسلمون حتى الآن بإزاء  
تلك الهجمة الوحشية على أهلهم وأعراضهم وكراماتهم ..!

وإذا كان للتجارب الواقعية من مدلول فالمُتَوَقَّع أن تنتهى غضبتهم  
كسوابقها ، إلى الخمود الذى عهدناه عقيب كل محنة تلم بهؤلاء المظلومين  
فلا يعودون لليقظة إلا على محنة جديدة تطير الكرى عن أعين الغافلين ...

ولعل أغرب ما يواجه المسلم كل مسلم فى ظلال هذا الجو الرهيب هو  
تقلص أمانى الحكومات العربية حتى لتتحصص فى تطبيق قرار التقسيم بإعطاء  
الفلسطينيين حقهم فى وطن قومى بجانب إسرائيل ، التى جعلها ضعف العرب  
والمسلمين دولة تفرض وجودها حتى على أميركة بعد كفاح ثلث قرن فى سبيل  
استعادة الأرض المغصوبة كلها لأهلها ..!

ولو أن هؤلاء الألف مليون من العرب والمسلمين قد عرفوا كيف يستغلون النعمة العارمة التي تكتسح العالم كله نحو دولة الشُّذَّاذ هذه الأيام لأمكنهم أن يقنعوا السواد الأعظم من دول المنظمة العالمية بخطر هذه النبتة الخبيثة على مصالح الإنسانية كلها ، ريثما يأتي اليوم الذي تتمكن فيه هذه المنظمة من إلغاء الوجود السياسي لإسرائيل ، وإعادة الوضع الشرعي إلى فلسطين السليبة ، في ظل حكم شورى يؤمن العدالة والأمن لكل سكانها من مسلمين ونصارى ويهود ...

● ونعود إلى رؤية الموقف الجديد بعد المذبحة ...

هذه القوات المتعددة الجنسيات تعود كرةً أخرى إلى بيروت ، ويعود معها الأمل بفترة من الأمن لآلاف المروّعين من بقايا الفلسطينيين ومسلمي المنطقة الغربية .. ولكنه أمل لا يعدو خيال الغريق الذي يستهويه منظر القشة في البحر الذي يوشك أن يبتلعه .. وإلا فما هو الخير الذي ننتظره من قوة يحدد ناطقها كل مهمتها بأنها استعراضية ، لا تدفع شراً ولا ترد عدواناً ، وإن مجموعته -الأميركية - ستسحب من حيث أتت بمجرد حدوث أى قتال !..

أليس معنى ذلك أن هذه القوات على أتم الأهبة لتسليم بيروت كلها إلى القَتَلَة عندما يتحركون لتنفيذ بقية مخططهم !..

وما الذي يمنع أعداء الله من افتعال أى سبب لاستئناف القتال مرةً ومراتٍ ما دام الجو ملائماً لأهوائهم إلى هذا الحد ؟..

لقد رأينا آثار التوقعات المرعبة في تظاهرة النسوة المسلمات اللواتي خرجن بأطفالهن غرب بيروت وفي أعقاب المجزرة الهائلة يهتفن ( الله أكبر ) فيعبرن بهذا الهتاف المثير عن مدى الذعر الذي يملأ قلوب المسلمين ، حتى لا يجدن ملجأ من الله إلا إليه .. وياله من نذير يذكر العالم الإسلامي كله بالمسؤولية التي يتحملها بتقاعسه عن نصرة هؤلاء المروّعين قبل فوات الأوان ..

ثم هاهو ذا الجيش اللبناني - الذي بات سفينة الخلاص بنظر المساكين - يقوم بمصادرة بقية الأسلحة من دور مسلمي الغرب ، على حين لم يمد يداً إلى أسلحة الآخرين في شرق بيروت ، وهم المشاركون الأول في مذبحة الخيّمين .. فهل لذلك من معنى إلا تجريد المسلمين من كل وسائل الدفاع ، لكي يموتوا كإخوانهم السابقين دون مقاومة ؟..

وإذن فليتنظر العالم الإسلامى مذبحة تلو مذبحة ما دام لا يملك من الحس الإسلامى ما يحركه لحماية هؤلاء المساكين .. اللهم إلا الكلام الذى أصبحنا به أضحوكة الأنام ..

• وأخيراً .. أليس لهذا الليل الفاجع من آخر ؟ ..

ألم يأن للملايين الألف أن تخشع قلوبهم لذكر الله ..  
ألم يحن لؤهلاء النائمين موعد اليقظة التى تفتح أعينهم على واقعهم الأليم ..

ألا يقرؤون تاريخهم ليتذكروا من هم ، وما مهمتهم ، وما مدى مسئوليتهم العالمية ؟ ..

لقد جربوا حتى الساعة كل الأفكار ، ومارسوا مختلف الأطوار ، فلم يعودوا بغير الذل والاحقاق والعار ..

أفلا يجربون مرة واحدة العودة إلى رسالتهم ، التى أخرج بها الله أوائلهم من الظلمات إلى النور ، فعرفوا طريقهم إلى العزة ، فأدركوا واجبهم نحو الخليقة ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله !!! ..

اختباران قريبان مارسوهما فخرجوا منهما بأعظم العبر والدروس ..  
كان أولهما عام ١٩٦٧ يوم زحف جيش مصر تحت رايات ( الفنانين ) من عصائب الرقص واللغو والموسيقى والغناء ، فكانت العاقبة هزيمة مكنت للعدو من احتلال سيناء وتهديد مصر كلها بأنواع البلاء ...

ثم جاءت ثانيتهما عام ١٩٧٣ إذ زحفت الكتائب المؤمنة تحت راية ( لا إله إلا الله ) فكان النصر الذى أذهل العالم .. ولو ترك لدفقة الإيمان أن تأخذ سبيلها إلى النهاية لتغير تاريخ المنطقة ، ولما سقط ( بلعام ) فى فخ ( كامب ديفيد ) .

فلم لا تستأنف أمة القرآن تجربتها تحت راية التوحيد فتستعيد عزتها من جديد ، وينتهى الأمر بكل مسلم إلى إحدى الحسينين فأما سعيد وإما شهيد ...

ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

## مرحى لقضاء مصر

من سنن الله الحاسمة فى حياة الأمم أنها متى بلغت النهاية فى الترف والبغى ، شارفت البداية فى طريق الانهيار فالدمار .

وقد وصلت أميركة إلى قمة القوة عسكرياً واقتصادياً ، ولكنها لم تكن تملك العاصم من إغراء القوة ، فاستسلمت إلى الشهوات ، وتجاوزت نطاق الحفاظ على كيانها إلى البغى على غيرها ، وبذلك شرعت تواجه المصير الذى لا مندوحة عنه لامثالها ..

وأول بوادر هذا الهوى فى حياة أميركة تلك الزعازع التى بدأت تعصف فى نظامها الديمقراطى ، وقد لاحت مؤشراتنا فى مقتل كندى ، ثم فى فضيحة ووتر غيت ، واليوم تتجلى فى أزمة المخابرات ، التى بدأت إشاعات هامسة ثم مضت تكبر وتكبر ، حتى برزت على حقيقتها الرهيبة فى تقرير نائب الرئيس روكفلر .

لقد كشف هذا التقرير بعض أسرار هذه المؤسسة بما أوضح من تجاوز القائمى عليها حدود صلاحياتهم إلى ما لا تجيزه القوانين الديمقراطية .

وخلاصة القضية أن المخابرات التى أنشئت لمهمة خارجية صرف ، هى مراقبة أعداء أميركة ، ورصد تحركاتهم ذات الصلة بمصالحها ، قد مدوا شباكهم إلى الداخل ، حيث تناولوا بتجسسهم تصرفات بعض الأميركيين ، لمصلحة السلطة الحاكمة ، أو لأغراض أخرى لم يكشف عنها النقاب بعد .

ولقد اعتبر هذا التقرير فى مستوى فضيحة ووتر غيت ، التى زجت بالعديد من الرؤوس الكبيرة فى أعماق السجون ، وأوشكت أن تلحق بهم الرئيس نيكسون نفسه ، لولا قرار العفو الذى تداركه به فوراً ، فاكتمى منه بالاستقالة ، وكان أشد على سمعته من حكم القضاء .

والمسلم الذى يقرأ أو يسمع مثل هذه الأخبار لا يستطيع أن يمنع نفسه

من هذا التساؤل : وهذه المخابرات التى تنشر شباكها فى بلاد العرب والمسلمين كلها ، وتكاد تنحصر مهامها فى رصد حركات المواطنين وسكناتهم ، ولا تقف عند حدود الوقائع ، فتخترع من الأحداث كل ما يحقق رغبة الحاكم وحده... هذه المخابرات .. متى يتاح لها مفتش عادل يكشف أстарها ويفضح أسرارها؟!..

حتى الآن لم يثبت على المخابرات الأميركية أى عدوان على حريات الناس خارج نطاق التجسس ، فلا ضحايا يقتلون ولا معتقلون منسيون فى غيابات السجون ، ولا أبرياء يعذبون فى مالا يعلمون ، ولا تهم ملفقة توجه إلى الغافلين .. بل مجرد تتبع للأسرار الشخصية ، مما تعتبره الشعوب المتحضرة عدواناً على حريات الأفراد المقدسة .

أما مخابراتنا - أسرع الله بفضيحتها - المبرزة فى ميادين الإبداع ، فقد أغرقت الأرض الطيبة بالدماء ، وشحنت السجون بالأبرياء ، وملأت الفضاء رعباً بمحادثات الخطف والاعتقال .. وكان لها السبق فى استخدام الأسيد لاذابة الأجسام البشرية .. ومع كل ذلك ، ومع أن الكثير من هذه الأحداث لم تعد من المجهولات ، فقد ظلت مخابراتنا وحدها متمتعة حتى الآن بالحصانة الهائلة ، التى تجعلها فى منجاة من كل تبعة ، فلا تفتيش ، ولا تحقيق حتى ولا مؤاخذه!..

أيام محنة الإخوان فى مصر استُصرخت ضمائر الهيئات العالمية لما يجرى فى المعتقلات من أفانين التعذيب الوحشى .. ورأى الجلادون أن يأذنوا لبعضها بدخول مصر للاطلاع ، ولجورد تضليل الرأى العام .. وفعلوا واجهوا بعض نزلائها ، ثم خرجوا يعلنون على ألسنة الوكالات العالمية سلامة الوضع ، وتمتع المعتقلين بكل حقوقهم الإنسانية!..

ولا حاجة إلى القول بكذب تلك التوكيدات ، بعد أن ثبتت الوقائع. باعتراف المسؤولين ، وعن طريق المشوهين الذين أتيح لهم أن يغادروا سرايب الموت فى السجن الحرى ، ومعتقل الطور ، وظلمات إلى زعبل وأخواتها .. ولكن .. الشئ الذى لا يزال ملفوفاً بالغموض هو نوعية الأكاذيب التى أعلنتها تلك المنظمات ، أقدر تعمدتها وهى بها عالمة ، أم أن الجلادين قد



جمعوا ممثلى الصليب الأحمر ببعض سجناء اليهود ، الذين كانوا ينعمون بمستوى عال من الرفاهية هناك - كما يرى مؤلف كتاب ( أقسمت أن أروى ) - وأوهموهم أنهم أمام معتقلى الإخوان ، بالاتفاق مع أولئك السجناء اليهود طبعاً ؟ ..

وهكذا خرجت مخبرات القاهرة يومئذ ظافرة فى ذلك الامتحان ، فلم يُشَرَّ إليها حتى بكلمة استنكار .

واليوم ، وبعد انقشاع سحب الإرهاب عن ربوع مصر العزيزة ، رأينا الدكتور عبد الله رشوان الخارج من ظلمات السجن الحرى ، يحاضر فى نقابة المحامين بالقاهرة عن عهود التعذيب ، التى وضعت مصر كلها فى القيود ، ويكشف من أسرارها ما فاق كل معلوم من أخباره ، وفى نهاية المحاضرة يعلن الأستاذ نقيب المحامين أن النقابة سترفع الدعوى على جلادى مصر أثناء تلك الفترة الحالكة .

وانتظرنا ، ولا نبرح ننتظر ، دون أن نلمح أى بادرة تبشر بتحقيق ذلك الوعد ..

على أن أسعد ما لمسناه حتى اليوم من انتفاضة الضمير المصرى فى نطاق هذه الأحداث ذلك القرار الذى أصدرته إحدى محاكم القاهرة ، فى قضية الأستاذ على أبى جريشة ، أحد ضحايا تعذيب السجن الحرى طوال عدة سنين ، فسجلت به أول انتصار فى التاريخ الحديث على السلطة الخفية ، إذ كان مضمون القرار إدانة فاضحة للعهد الناصرى كله .

لقد قضى القرار للأستاذ أبى جريشة بثلاثين ألف جنية تعويضاً له عن مصادرة حريته ، وتعريضه لألوان التعذيب خلال سنوات اعتقاله الظالم .

وقضى كذلك بوجوب إحالة وزراء العدل لذلك العهد إلى القضاء ، بتهمة التستر على تلك الجرائم .

وطالب أخيراً بهدم السجن الحرى بوصفه رمز الذل الذى فرض على مصر طوال ذلك العهد الدامى .

أجل .. لقد كان هذا القرار العظيم أول انتصار للحرية على عبودية

القهر ، فاستحق أن يخلد بجانب الانتصار العسكرى ، الذى حققه الجيش المصرى على خط بارليف تحت راية ( لا إله إلا الله ) فأثبت أنها لا تزال صالحة لآحداث العجائب ، بعد الهزيمة التى جللته بالعار حين أقحم الوغى تحت راية الطغيان مزوداً برسوم الرقعاء من ( نجوم ) الرقص والغناء .. إنه الضربة الأولى فى أساس ( باستيل ) حمزة البسيونى ، وشمس بدران ، وصلاح نصر وبقية الطواغيت ..

ولابد من أن تتبعها قريباً أو بعيداً الضربات التى تأتى عليه من القواعد ، فيخر ملعوناً مذئوماً ، كما خر من قبله باستيل الطواغيت فى فرنسة على رؤوس جلاديه ..

بهذا القرار العظيم دخل المسلمون مرحلة التحرير من كابوس المخابرات .. فبات من حقهم أن يترقبوا الخطوات التالية التى ترد للإنسان المسلم الكرامة التى قررها الإسلام وسلبه إياها الظلام .

أما ما سبق ذلك من إحراق أشربة التجسس فلا يعدو أن يكون محاولة لإخفاء الوقائع الرهيبة بدلاً من إبرازها - على رأى الدكتور رشوان - .  
فمرحى لقضاء مصر . ومرحى لقراره الذى كان أكبر فضيحة لمحاكم جمال سالم وزكريا محيى الدين وبقية السفاحين ...

\* \* \*

## من المسئول عن هؤلاء الضّائعين ؟!

في طريقنا إلى الفلبين كان لابد لنا من الهبوط في بومباي لتغيير الطائرة ، وكان علينا أن نقضى معظم الليل في ردهة المطار بانتظار موعد الطائرة التي ستقلنا إلى مدراس .

وبينما أنا أغالب إغفاءة خفيفة أخذ سمعى دوى بعيد ترافقه ضجة موزونة ، ثم ما زال يقترب شيئاً فشيئاً حتى انجلى لنا عن موكب يضم قرابة العشرين رجلاً ، كلهم من العرق الأورنى الأبيض البشرة ، الأزرق العيون ، الفارع الهيكل ، كان أحدهم حدثاً لا يتجاوز الخامسة عشرة ، وبينهم واحد في سحنة اليهود .

وقد استرعى انتباهى من هؤلاء أزيائهم الغريبة ، فهى عبارة عن سراويلات من الجاكي قد فصلت على الطريقة الباكستانية ، منضدة الجانبين بعضها فوق بعض ، تتسع من الأعلى ثم تضيق تدريجياً حتى تنتهى إلى الكعبيين ، وفوقها قمص تنسدل إلى الركب ، وكانت رؤوسهم حلقة كلها ، إلا من امتداد كذيل الثعلب ، يبدأ من وسط الرأس ثم يتدلى إلى مؤخرة الرقبة .

كان بعض هؤلاء يحمل طبولاً على شكل أسطوانى ، ينتهى طرفاه بفتحتين ضيقتين ، الصقت بهما قطعتان من الجلد ، عليهما يضرب حاملوها .

وينطلق الجميع فى أناشيد محفوظة يكررونها وهم يترنحون فى انتظام ، وكلما انتهوا إلى فقرة منها معينة قفزوا معاً إلى أعلى ، ثم يعودون إلى اهتزازتهم الأولى .

وهكذا جعلوا يُبدئون ويعيدون حتى نال منهم الإرهاق وجعلت أصواتهم تخفت من التعب .. فإذا استعادوا بعض قدرتهم أعادوا العمل ضرباً وترنحاً وقفزاً وإنشاداً .

لم أستطع بادى الرأى تفسير عملهم .. وخطر فى بالى أنهم مجموعة من

الضائعين ، الذين يتكاثرون هذه الأيام في شوارع أوربة وحواضر أمريكا ، قد أقبلوا على الشرق في سياحة ترفيهية ، فهم يجوبون شوارع بومباي على هذا الوضع ، إعراباً عن تمردهم على الحضارة الغربية ، التي أعطت الانسان الغربي كل وسائل الرفاه ، وسلبته مقابل ذلك كل أسباب الطمأنينة ، إلا أني لم ألبث أن هديت إلى التفسير الصحيح حين أقبل رفيق رحلتي الدكتور عبد الرحيم فبين لي أن هؤلاء نموذج لكثيرين من الغربيين الذين فرغت قلوبهم من سكينه الإيمان فراحوا يهيمنون على وجوههم حتى احتضنهم دعاة الوثنية الهندية ، فاعتنقوا بعض مذاهبها ، ثم جاؤا إلى الهند ليمارسوا شعائر ديانتهم الجديدة على النحو الذي ترى .. فهم يؤدون هذه الحركات داخل المعابد ولعلمهم يريدون من إجرائها في الشوارع تذكير الناس بها ودعوتهم إلى إحيائها .

وسرعان ما وجدتني مشدوداً بما شاهدته من هذه الغرائب إلى التأمل فيما وراءها من عبر وأحداث .

لقد وثبت بي الذاكرة إلى منظر بعض الطريقين في العديد من ديار المسلمين وقد تحلقوا حول ( الراقص المولوى ) يعزفون له ويقرعون وينشدون ، وراح هذا يدور في وسطهم على قدم واحدة ، كخذروف الوليد ، وقد انفتحت ( تنورته ) الواسعة حتى أشبهت مظلة الطيار الهابط من الأعلى .

ثم تتابعت عليّ الرؤى حتى وقفت بخيالي على واحدة منها لم تنزل تعمل عملها في صدور الغافلين .. إنها صورة هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، فكان من بين مبتدعاتهم تلك الحلقات الأخرى ، التي يتوسطها ( قائد السيرك ) فتأخذ في التمايل وفق إشارته ، وقد تصاعدت من صدورهم همهمات تبدأ واضحة باسم الله ، ثم ما تنفك تتغلغل في الغموض ، حتى تستحيل زفيراً وشهيقاً لا مفهوم له ، ثم لا تفتقر ولا تهدأ إلى أن يأخذها الإرهاق ، الذي يأخذ هؤلاء الراقصين في ردهة مطار بومباي .

فمن هنا إذن .. من رقصات الهنادك والبوذيين لأهتهم ، قد تسرب هذا الرقص الطرقى الذى يسميه المضللون في بلاد المسلمين ( حلقات الذاكرين ) ! ثم الفيتنى أتساءل : هذا الجيل المتمرد على حضارة المادية والشهوات

وعلى تعاليم الكنيسة ، بعد أن تمردت الكنيسة نفسها على وحي الله ، حتى  
صارت تعاليمها مجموعة من مقررات رجال الدين ..

هذا الجيل الذى تتخطفه البوذية والبرهمية والهيوية .. و .. و .. لماذا أغفله  
دعاة الإسلام ، فلم يفتحوا أعينه على نور ربه ؟

أليس الإسلام هو خاتم رسالات الله إلى عباده ؟ .

فمن المسئول عن تبليغهم حقائقه ، إذا لم يقم المسلمون من أولى العلم بهذه  
المهمة ؟

ولا حول ولا قوة إلا بالله !..

\* \* \*

## رسالة إلى الأستاذ الطنطاوى

إلى فضيلة الأخ الأثير الشيخ الطنطاوى وفقنا الله وإياه إلى كل ما يحبه ويرضاه من قول وعمل .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأشواق حارة إلى لقاء أرجو أن يكون قريباً ونافعاً بفضلته ومنه .

أما بعد :

فقد سمعتك يوم أمس - الأربعاء ٢٧/٦/١٣٩٩ ، واليوم إذ أعيد حديثك نفسه - فى برنامج الساعة ٣ ( مسائل ومشكلات ) تجيب على أسئلة بعض المستمعين ، وتقف بخاصة على قول الشاعر الشاى :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

وقد أشرت أثناء الكلام إلى ما سبق أن أرسلته من نقد لهذا التعبير ، إذ اعتبرته خروجاً عن منهج الحق فى موضوع القضاء والقدر ، وكان الباعث لتلك الإشارة ما رفع إليك من قول أحد المرورين :

نحن حب مخلص نتحدى به القدر

فجمعت بين البيتين فى قرْنٍ واحد ، وأصدرت عليهما الحكم نفسه . وقد خطر لى وأنا أستمع لنقدك بيت الشاى - ولعل ذلك للمرة الثالثة أو الرابعة - أن أجاذبك الحديث عن تعبيره ، لما بيننا من اختلاف فى تقييمه واسمح لى أن أصبر على هذا الاستعمال جرياً على قاعدة العرب فى ما أسميه ضرباً من الاشتقاق الثانى ، كفعلهم فى عَيْدٍ ونَيْفٍ وما أَجِيلَه - فالشاى - غفر الله لنا وله - لا يريد بقوله هذا أكثر ما يريده أحدنا عندما يقول : لا سبيل إلى استعادة فلسطين إلا بعد التحرر من عوامل الضعف والتردد والالتكال على غير الله ، فإذا فعلنا ذلك كنا أحرىء بالظفر الذى وعد الله المؤمنين مهما تتعاضم وسائل الكافرين .. وليس هذا ببعيد عن التوجيه الربانى الذى نطالعه فى قوله

تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... ﴾ (الرعد: ١١)  
ومما يؤيدنى فى ما ذهبت إليه من توجيه لكلام الشاىء إيمانه بالقدر الذى  
جعل استجابته مشروطة بتصحيح إرادة الخير فى الشعب ، وسلوك الطريق القويم  
إلى أهدافه العليا .. فكأنه بذلك يذكر القوم بقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ تَنْصُرُوا  
اللَّهَ يَنْصُرْكُم ... ﴾ .

ومن العبارات المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله قوله :  
( نازعت أقدار الحق بالحق للحق .. ) !.. وقد تولى إيضاح مراده شيخ الإسلام ابن  
تيمية فى فتواه ، فكان من ذلك قوله ( ومن عبادة الله وطاعته فى ما أمر بإزالة ما قدر  
من الشر بما قدر من الخير ، ودفع ما يريد الشيطان ويسعى فيه من الشر قبل أن يصل  
بما يدفعه الله من الخير ) ويستشهد لذلك بالحديث : « إن الدعاء والبلاء ليتلقيان  
فيعتلجان بين السماء والأرض » ثم يعقب على ذلك وهذا بقوله رحمة الله :  
( فالذى ذكره الشيخ هو الذى أمر الله به ورسوله ) (١) .

ومن هنا نرى أيها الأخ الأثير أن لمثل ذلك التعبير مسوغات كثيرة ، وبخاصة إذا  
صدرت عن مؤمن ، ولو أن أحدنا كشف له الغيب - عن طريق رؤيا صادقة  
مثلاً - أن فلاناً سيصيب منه مقتلاً لا محالة ، بل أقول لو أن هذا الكشف جاءه عن  
طريق نبي ، لما كان له أن يستسلم للقاتل ، بل عليه أن يتخذ كل الأسباب  
المؤدية إلى نجاته مع القطع بأنه مقتول ، لأن مجرد الإيمان بالقدر لا يفضى  
الاستسلام للأمر المقضى ، كما يزعم المضللون من العامة ، حين يقصون خبر  
خضرتهم وقد تقدم جيوش تيمورلنك لينصح المسلمين بعدم مقاومته ، لأن تنكيهه  
بهم أمر مقدور ! .. وهل دمر جماهير المسلمين وسلهم إرادة التحرير إلا سيطرة  
هذه المضلات عليهم فى موضوع القضاء والقدر ! ..

وفى اعتقادى أن تلاقى الشيخين ، الجيلانى وابن تيمية على هذا الفهم العالى من  
شأنه أن يبعث على التأمل فى موضوع التحدى .. فليس سواء صدوره عن مؤمن أو  
كافر .. ولا بد من ملاحظة القرينة لتخرج المضمون .

وبهذه المناسبة أذكر فضيلة الأخ حفظه الله وأمتع بحياته زلة صاحب مجلة الرسالة

---

(١) الفتاوى ج ٨ ص ٥٨٨ .

وبهذه المناسبة أذكر فضيلة الأخ حفظه الله وأمتع بحياته زلة صاحب مجلة الرسالة يوم جعل عنوان إحدى افتتاحياته في مجلة الأزهر ( شعب تحدى القدر فقدر ) ومع أنه لا يعدو عبارة الشيخ عبد القادر من حيث المدلول المجرد ، فإن القرائن التي انطوت عليها المقالة ، من حيث تفضيله الوحدة الناصرية المزورة على الوحدة النبوية المطهرة ، كافية للحكم على كاتبه بالردة أو الخرف ..

ثم أن في قول الفاروق رضي الله عنه وهو يرد على استفهام أحد إخوانه بشأن الحجر الصحي : ( أتفر من قدر الله ؟ ) : ( نفر من قدر الله إلى قدر الله ) لتقريراً حاسماً في الموضوع يستمد من قول رسول الله للآخر الذي سأله : ( أرأيت رُقي نسترقى بها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها .. هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ ) فأجاب : ( هو من قدر الله )<sup>(١)</sup> .

فبقدر الله إذن نواجه قدر الله ، ولا عذر لمحتج بالقدر في تقاعسه. عن بذل الوسع للوصول إلى الأفضل من كل مأمول .

وأخيراً : أراني حقيقاً بالاعتذار إليك عن هذه الإطالة التي لا بد أن وقتك ضائق بها .. ولكن الحديث إليك متعة لا تفوت وقليل ما تنأح .

وإني لأسأله تعالى أن يُقدّر لنا لقاء قريباً يساعدني على تدارك ما فاتني من الكلام عنك في الجزء الأول من كتابي ( علماء ومفكرون عرفتهم ) وبخاصة بعد أن استيقنت أن وراء ذلك التأخير خيراً كثيراً ، إذ قيض لي أن أعرف المزيد من مواهبك ومزاياك ، ولعمري لن أكون راضياً ولا معذوراً إذا لم أقدمك إلى القراء على الصورة التي ترضى الله وتنصفك إن شاء الله .

والسلام عليك أولاً وآخر ورحمة الله وبركاته .

المدينة المنورة ص. ب : ٤٣ في ٣٠/٦/١٣٩٩ هـ

---

(١) أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح .



## رسالة إلى صديقي صبحي

إلى صديقي القديم صبحي .. وفقه الله ..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد :

فقد تلقيت رسالتك الكريمة قبل أيام نسيت عددها ، وكدت أنساها ، لو لم تُطل على صباح اليوم من خلال بعض الأوراق التي جعلتها على مقربة من يدي للإجابة عليها في أول فرصة ، وكنت على مثل اليقين بأنني كتبت جوابها، بل لعلني بعثت به إليك فور وصولها ، فليت شعري هل فعلت ؟ .. لا يعلم ذلك ولا يقطع به إلا الله ثم أنت ، ومهما يكن فقد وجدت فرصة ، أثناء عملي في معادلة الشهادات ودراسة المناهج لحوار معك انقطع من عشرين سنة ، ولا أحبّ إلَيَّ من وصله في ظل التطور العقلي والروحي الذي منّ الله به علينا ، فبصّرنا الحقيقة التي من أجلها ذرأنا على هذه الأرض .

لقد ربطت بيننا وشائج كانت على جانب طيب من الخير ، ففيها المودة والوفاء والتقدير المتبادل .. وكل أولئك من الشيم التي لا غنى عنها لعامل يبتغي مرضاة الله ، على أنها لم تكن من التكامل بحيث يستحق أصحابها أن يحشروا في زمرة المتحايين في الله ، لذلك لا أرى في مثل هذه المناسبة خيراً من أن تذكرني وأذكرك بكل ما يقربنا من هذه الحقيقة .

أخبرك عن نفسي أولاً : فأنا بحمده تعالى على غاية من الجور بما أتمتع به من قرب المسجد الذي تعدل فيه الصلاة ألفاً وصلاة الجماعة سبعة وعشرين ألف صلاة ، غير المسجد الحرام الذي تعدل به صلاة الجماعة مليونين وسبعمائة ألف صلاة ، وغير المسجد الأقصى السليب - ردّ الله غربته - الذي تعدل فيه الصلاة الواحدة خمسمائة صلاة ، كما أنبأنا الصادق المعصوم عليه صلوات الله وسلامه ، وفي مهبطي الوحي ذكريات تهز القلوب المؤمنة بما يحیی مواتها ، وينمي مشاعرها ، ويفسح أمامها ومن حولها رحبات الحياة .. ومن

هنا توافر لي من الحبور والسرور ما أنا سعيد ، سعيد ، والله الحمد على فضله الذي لا يكافأ .

ولقد تكرمتم فأحطتني علماً بما صار إليه كل من بنيك ، الذين هم ما بين متخرج في الجامعات ناجح في عمله ، ومثابر على دراسته للحاق بإخوته في مدارج التوفيق .

وقد كان بودي أن أنبئك من أمر بنّي بمثل الذي أنبأتني به من أمر أبنائك فأقول إنهم جميعاً والله الحمد ظافرون بما يغبطهم عليه الكثيرون من أهل الدنيا ، وإن كان بينهم من تحول الجندية بينه وبين الانطلاق إلى استكمال ما يجب حتى الآن .

إلا أني مع ذلك لا أكتمك أني غير راض عن مسلكهم في الحياة - إلا قليلاً - ذلك أنهم آثروا الدنيا على الآخرة ، وقد كاد بعضهم ينسى أنه ابن الإسلام ، وأن أشرف ما يملكه في هذه الدنيا امتلاؤه شعوراً بعزة الإسلام ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

وكيف لا آسى على أجزاء من قلبي أراهم يقذفون بأنفسهم إلى النار دون أن أستطيع إنقاذهم !..

إن هذا الجيل - الذي غسلت أدمغته من معاني الإسلام - هو الذي انتصرت به الصليبية واليهودية العالمية على المجتمع ، الذي كان العالم الضائع ينتظره لانتشاله من ضياعه ، فإذا هو ينزلق معه في الهاوية التي صار إليها ، ولا يكتفى حتى يعلن كفره بكل قيم الإسلام العليا ، التي بها دخل العرب أبواب التاريخ من قبل ، وباغفالها خرجوا من الأندلس وفلسطين والأقطار الأخرى ، التي طالما سعدت تحت رايته بنور الله ، وإنه لَمما يحرق قلوبنا نحن دعاة الإسلام أننا لا نجد السبيل إلى قلوب هؤلاء الغافلين لنخاطبها بكلمة الله ، لأن السدود قد ضربت حولها فلا طريق إليها ولا مجال لإضاءتها ، فهي قاعة بما انتهت إليه من ظلام لا تؤمن بأن وراءه نوراً ، وقد زادتهم شهاداتهم - المغرورة - عناداً للحق فكانوا بها كالذين قال الله فيهم : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به

يستهنئون ﴿ وأنى لهم وقد فرغت الشياطين أرواحهم من آثار الحقائق العليا ،  
أنى لهم أن يدركوا أنهم لا يعلمون إلا : ﴿ ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن  
الآخرة هم غافلون ﴾ ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار  
الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ !

وما إخالك إلا عاذرى عندما تعلم أن بين أولادى من لا يذكر الله  
إلا قليلاً .. وكاد يتعزى من كل أثر للإسلام ، وأن بين حفيداتى من سلكت  
سبيل الكوافر فهى تتخطر بالبنطال فى الجامعة وخارجها ، دون أن يعترىها من  
بقية الإسلام أثارة من حياء .. بل إنها لتعالننى البغضاء والعداء إذا حاولت  
تذكيرها بهويتها وواجبها نحو هذه الهوية ..!

أجل .. ذلك هو الوضع الذى صرنا إليه ، وليس هو مما يغبط عليه  
مؤمن ، ولكنى مع ذلك سعيد لأننى أعمل على إنقاذ نفسى من عذاب الله  
ما وجذت إلى ذلك سيلاً ، ولأننى لا آلو هؤلاء الظالمين لأنفسهم نصحاً  
وتذكيراً بآيات الله كلما الفيت إلى أسماعهم طريقاً .

ولعلك أيها الأخ الحبيب نجوت من هذه الأوبئة ، فاطمأن قلبك إلى التزام  
أبنائك سبيل المؤمنين ، فلم يخدعهم المفسدون ، ولم يحتلهم الشياطين  
المضلون ..!

وإنى لأسأل الله جلّت قدرته أن ينقذنا وذرياتنا من معصيته ، ويأخذ  
بأيدينا جميعاً إلى رياض طاعته ، حتى نكون أهلاً لاجتماعنا معهم فى ظل  
رحمته ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم  
ذريتهم وما ألتاهاهم من عملهم من شيء ... ﴾ .

ولك أخيراً آخر تمنياتى ، وأخلص تحياتى ، سائلاً إياك الدعاء بظهر  
الغيب .

والحمد لله رب العالمين .

.. .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ — بين يدي الكتاب	٥
٢ — نفح الطيب من مدينة الحبيب	٧
٣ — تأملات في يوم الذكرى	١٤
٤ — سبحان الذي أسرى	٢٦
٥ — نفحات مباركات	٣٤
٦ — السراج الذي أوقده الله	٤٢
٧ — الأسوة الحسنة	٤٦
٨ — الزحف الأحمر على قواعد الإسلام	٥٧
٩ — إيران العزيزة .. إلى أين !	٦٥
١٠ — حقوق الإنسان في الإسلام	٧٥
١١ — لا نصر ولا سلام إلا تحت راية الإسلام	٨٣
١٢ — مأساة الإسلام في الهند	٩١
١٣ — دفاعاً عن الحق لا عن ضياء الحق	٩٨
١٤ — الظاهرة الأولى في أحداث القرن الخامس عشر	١٠٤
١٥ — الاقتصاد العالمي بين الاشتراكية والإسلام	١٠٩
١٦ — متى يدرك المسلمون أنهم المسئولون ؟	١١٦
١٧ — لكي نرتفع إلى مستوى المسئولية	١٢٢
١٨ — يا حكام المسلمين .. أجيئوا داعي الله	١٢٦
١٩ — دعوة إلى المباحث	١٣١
٢٠ — جيلنا المدخن	١٣٧
٢١ — أليس لمذابح المسلمين من نهاية ؟	١٤٢
٢٢ — مرحي لقضاء مصر	١٤٩
٢٣ — من المسئول عن هؤلاء الضائعين ؟	١٥٣
٢٤ — رسالة إلى الأستاذ الطنطاوي	١٥٦
٢٥ — رسالة إلى صديقي صبحي	١٥٩
٢٦ — دليل الكتاب	١٦٣

## من آثار المؤلف المطبوعة

- فضائح المبشرين  
المرشد في الأدب العربي ( مع آخرين )  
نار ونور . شعر الديوان الأول  
قصص من الصميم  
صور من حياتنا  
الأدب العربي للسنة الأولى من الجامعة الإسلامية ( بالاشتراك )  
الأدب العربي للسنة الثانية من الجامعة الإسلامية  
دروس من الوحي  
مشكلات الجيل في ضوء الإسلام  
تأملات في المرأة والمجتمع  
مشاهد من حياة الصديق  
همسات قلب - شعر الديوان الثاني -  
قصص من سورية  
قصص لا تنسى - للشباب والطلاب -  
بطل إلى النار  
الآيات الثلاث  
بطل من الصعيد  
دماء وأشلاء  
من تاريخنا  
الألغام المتفجرة  
اللقاء السعيد  
تحفة اللبيب من ثقافة الأديب  
مع المجاهدين والمهاجرين في باكستان

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٥١٠٣

الترقيم الدولي X - ٢٠٩ - ١٤٢ - ٩٧٧

دار الناصر للطباعة والإدارة

٤ - شارع نشاط شبرا القمامة

٧٧٣٤٢١، ت